حرف الباء

٧١ ـ بَحِيرى الراهب

الـــذي حـــذَّر على النبي ﷺ من الروم ، وردَّه من أرض بصرى ، وكان على دين المسيح ، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام . توفي قبل البعث ، كان يسكن قرية يقال لها : الكفر ، بينها وبين بصرى ستة أميال تُعرف [٧٢ آ] اليوم بدير بحيرى[١] ؛ وقيل : كان يسكنُ البَلقاء بقريةٍ يقالُ لها : ميفعة وراءَ زَيْزاء[٢] .

عن ابن عباس :

أن أبا بكر الصديق صحب رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان عشرة ، والنبي ﷺ ابن عشرين ، وهم يريدون الشام في تجارة ، حتى إذا نزلوا منزلاً فيه سِدْرة قعد رسول الله ﷺ في ظلِّها ، ومضى أبو بكر إلى راهب يقال له بحيرى يسأله عن شيء ، فقال له : من الرجل الذي في ظلّ السِّدْرة ؟ فقال له : ذلك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، فقال : هذا والله نبي ، ما استظلَّ تحتها بعد عيسى بن مريم إلا محمد . ووقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق ، فلما نَبّئ النبي ﷺ اتبعه .

حدث أبو داوود سليمان بن موسى :

أن أبا طالب عمّ رسول الله ﷺ خرج به إلى الشام ، فلما مروا بقرية يقال لها : ميفعة من أرض البلقاء ، وفيها راهب يقال له : بحيرى ، فخرج إليهم بحيرى ، وكانوا قبل ذلك يقدمون فلا يخرج إليهم ولا يلتفت ، فجعل يتخلَّلهم حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ .

---

(١) لعل دير بحيرى هذا هو دير بصرى الذي ذكر ياقوت في معجمه حيث أشار إلى أن بحيرى قد كان به (معجم البلدان) .

(٢) زيزاء : كان ينزلها الحاج ، وفيها بركة عظيمة ، انظر معجم البلدان .

فقال : هذا سيِّد العالمين ، هذا رسول ربِّ العالمين ، هذا الذي بعثه اللهُ رحمة للعالمين . فقال شيوخٌ مَنْ قدم معه من قريش : وما علمك ؟ قال : عِلْمي أنكم لما أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً ولا يسجد إلا لنبي ، وأعرفه بالصِّفة وبخاتم النبوة مثل التفاحة أسفل من غضروف كتفه ، ثم انطلق بحيرى فأتاهم بطعام ، والنبي ﷺ في رعيهِ إبل أصحابه ، فقال : أرسلوا إليه ، فأرسلوا إليه ، فقال بحيرى : انظروا عليه غمامة تظله ! فانتهى إليهم وقد علموه على الشجرة في فيء الشجرة ، فجلس رسول الله ﷺ ومال إليه فيء الشجرة ، فقال : انظروا إلى فيء الشجرة كيف مال إليه ! فبينا هم يأكلون وهو قائم عليهم ؛ إذ هو بفوارس من الروم مقبلين ، فلما رآهم بحيرى استقبلهم ، فقال : ما جاء بكم ؟ فقالوا : جئنا لأنه بلغنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر ، فلم يبق طريق من طرق الروم [٧٢ ب] إلا وقد بعث عليه قوم وبعثنا إلى هذه الطريق . فقال : ما وراءكم أفضل لكم ، قال : أرأيتم أمراً أراد الله أن يمضيه يستطيع أحد ردَّه ؟ فتبعوه وأقاموا وأتاهم بحيرى فقال : أيكم ولي هذا الغلام ؟ فأشاروا إلى أبي طالب . فقال : إنهم إن رأوه عرفوه ، فقتلوه ، فرده أبو طالب .

وذكر حديث بحيرى لما عمل الطعام ودعاهم إليه ، وقد ذكرناه في ترجمة سيدنا رسول الله ﷺ ، وقال في آخره : وكان رجال من يهود قد رأوا رسول الله ﷺ ؛ وعرفوا صفته ، فأرادوا أن يغتالوه ، فذهبوا إلى بحيرى فذاكروه أمره فنهاهم أشد النهي ، وقال لهم : أتجدون صفته ؟ قالوا : نعم . قال : فما لكم إليه سبيل ، فصدقوه ، وتركوه ، ورجع أبو طالب فما خرج به سفراً بعد ذلك خوفاً عليه .

٧٢ ـ بَخْتَريّ بن عبيد بن سليمان الطَّابخي

الكَلْبي من أهل القلمون من قرية الأفاعي[1] .

حدث البَخْتَري بن عبيد عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رجل من الناس :

يا رسول الله ما العاديات ضَبْحاً ؟ فأعرض عنه ، ثم رجع إليه من الغد . فقال :

---

(١) ذكر ياقوت أن الأفاعي واد قرب القلزم . وردَّ قول ابن عساكر بأن القلزم مصحَّفٌ عن القلمون . انظر معجم البلدان . والأفاعي اليوم اسم بئر يقع إلى الشرق من قرية الناصرية في القلمون . انظر الريف السوري لأحمد وصفي زكريا ٦٤/١

ما الموريات قدحاً ؟ فأعرض عنه ، ثم رجع الثالثة ، فقال : ما المغيرات صبحاً ؟ فرفع العمامة أو القَلَنْسُوة عن رأسه بمِخْصَرته[1] فوجده مُفْرعاً رأسه . فقال : لو وجدتُه طامّاً رأسه لوضعت الذي فيه عيناه[2] ففزع الملأُ من قوله . فقالوا : يا نبي الله ولم ؟ قال : إنه سيكون أناس من أمتي يضربون القرآن بعضه ببعض ليبطلوه ويتبعون ما تشابه منه ويزعمون أن لهم في أمر ربهم سبيلاً ولكل دين مجوس وهم مجوس أمتي وكلاب النار . فكان يقول : هم القدرية .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ :

سَمُّوا أولادكم فإنهم من أطفالكم ـ والمحفوظ : أفراطكم .

وقال رسول الله ﷺ [٧٣ آ] :

أَشْربوا أعينكم الماء ولا تنفضوا أيديكم من الماء فإنها مراوح الشيطان .

وقال رسول الله ﷺ لعلي :

إنك لأول من يقاتل الخوارج ، فلا تتبعن مدبراً ، ولا تُجهز على جريح .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ :

إذا أعطيتم الزكاة فلا تنسوا ثوابَها أن تقولوا : اللهم اجعلها مَغْنماً ولا تجعلها مَغْرماً .

بَخْتَريّ باء معجمة بواحدة وخاء معجمة ، وتاء معجمةٌ باثنتين من فوقها .

كان فيه ضعف ، وروى عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قدر عشرين حديثاً عامتها مناكير ، منها : أشربوا أعينكم الماء ، ومنها : الأذنان من الرأس .

٧٣ ـ بُخْت نَصَّر بن بيت بن جُوذرز

الملك البابلي . دخل دمشق ومضى منها إلى بيت المقدس فخرَّبها وسَبى أهلها وحملها إلى بابل وقيل إنه أمن بعد ذلك .

---

(١) المخصرة : ما اختصره الإنسان بيده فأمسكه من عصا أو مقرعة أو قضيب أو عكازة وما أشبهها .

(٢) الأفرع : كثير الشعر التام . والطامُّ : من طمَّ شعره أي جزَّه واستأصله .

حدث مجاهد قال :

كان من قصة بخت نصر أنه كان يتيماً بأرض بابل لا يؤبه له ، وكان فيما ذكروا من جيش نمرود صاحب إبراهيم ، وكان لزنية ، بغت أمه فكان من شأنه أن دانيال الأكبر وكان قد قرأ التوراة ذات يوم فأتى على هذه الآية ﴿ فجاسوا خلالَ الديار وكان وعْداً مفعولاً ﴾[1] قال : فطوى التوراة فقال : يا رب من هذا الذي يكون خراب بيت المقدس على يديه وهلاك بني إسرائيل ؟ قال : فأري في المنام أن يتيماً بأرض بابل يقال له بخت نصر عليلاً فقيراً قضيت ذلك على يديه فلما أصبح تجهز بمال عظيم ، ثم خرج نحو أرض بابل حتى وردها ، وملكها يومئذ سَنْحاريب .

فدخل عليه ، فقال : من أنت ومن أين أقبلت ؟ قال : أقبلت من أرض بني إسرائيل وحملت معي أموالاً أقسمها في فقراء أهل أرضك ويتاماهم . قال : فأنزله وأكرمه ، وجعل يلطف اليتامى والفقراء فيعطيهم ويسأل عن أسمائهم حتى قسم مالاً كثيراً [٧٣ ب] فكان لا يظفر ببخت نصّر حتى أعياه ذلك فبعث من يطلبه في قرى بابل ومدائنها فلا يظفر به حتى أيس منه فأقام ببابل رجاء أن يظفر به . قال : فخرج غلامه ذات يوم إلى بعض قرى بابل للميرة ، قال : فمر بغلام مريض على طريق الناس قد اتُخِذَ له عريش ، وقد فرش له الرماد ، به الذَّرَب[2] يسيل الماء الأصفر منه ، فلما نظر إليه غلام دانيال رأى منظراً فظيعاً فقال له : ما حالك يا غلام ؟ قال : أنا غلام يتيم قد كنت أكُدُّ على أم لي عجوز حتى أصابني ما ترى فعجزت عني فوضعتني ها هنا يعطف الناس عليّ والمارة فأصيب الشيء والكسرة . فقال له : وما اسمك ؟ قال : ما تسأل عن اسمي ؟ قال : إن مولاي قسم مالاً كثيراً في اليتامى والمساكين فكيف غبت عنه ؟ قال بخت نصر : هي أرزاق ، قال : فأخبرني عن اسمك حتى أخبره بحالك فيعطيك كما يعطي غيرك ، قال : اسمي بخت نصر . قال : فلما انصرف الغلام إلى سيده فأخبره بما رأى . قال دانيال : هذا بغيتي وأسرّ في نفسه ، وانطلق معه غلامه إليه . فقال له : ما اسمك ؟ قال : اسمي بخت نصّر ، وأنا غلام يتيم من أهل بيت شرف ، ولكن انقلب علينا الزمان وأصابتنا الشدة فعجزت أمي عني فألقتني هذا الموضع .

---

(١) الإسراء ١٧ الآية ٥ . وإلى جانب السطر في الأصل حرف (ط) لعله يشير بذلك إلى توافق التوراة والقرآن .

(٢) ذَرِب الجرح ذَرَباً فهو ذَرِب : فسد واتسع ، ولم يقبل البرء والدواء ، وقيل : سال صديداً . (لسان) .

قال : فأمر غلامه فغسله وطيّبه وكساه ، ثم حمله حتى جاء به إلى أمه ، وأجرى عليها حتى برأ وصح ، وكان قبل أن ينزل به المرض يخرج مع أتراب له إلى البراري فيحتطب فكانوا يؤمرونه على أنفسهم فيحتطبون له ويحملونه فيما بينهم حتى ينتهوا إلى القرية فيحتزمون له حزمة فكان يدخلها السوق فيبيعها ، فكان منها معيشته ومعيشة أمه ، فلما صح قال له دانيال : يا بخت نصَّر هل تعلم أني قد أحسنت إليك ؟ قال : نعم . قال : فما رأيك إن وصلت إليّ مكافأتي هل أنت مكافيّ ؟ قال : يا سيدي هل صنع أحد بأحد إلا دون ما [٧٤ آ] صنعت بي ، ومن أين أقدر على مكافأتك ! قال : أخبرني إن ملكت يوماً من الدهر بابل وغزوت بلاد بني إسرائيل فلي الأمان منك ولأهل بيتي ؟ قال : نعم . غير أني أظن أن هذا منك استهزاء ! قال دانيال : لا بل هو الجدُّ مني . قالت أمه : يا سيدي ، إن كان الذي تقول حقاً فأنت الملك وهو تَبَع لك ، فقال دانيال : أتكتب لي كتاباً أماناً لي ولأهل بيتي يكون كتابك علامة بيني وبينك وبين أهل بيتي وأعطيك عشرين ألف درهم ؟ قال : نعم . قال : فكتب له بخت نصَّر كتاباً أماناً بخط يده ولأهل بيته ، وجُهز بالذهب ، وأعطاه دانيال عشرين ألف درهم ، ثم ودَّع الملك ولحق ببلاده ، فعمد بخت نصَّر ففرَّق تلك الدراهم في الغِلْمَة الذين كان يترأس عليهم ، فكساهم واشترى لهم الدوابّ ، وكان ظريفاً كاتباً أديباً ، فانطلق إلى سَنْحاريب الملك ، فانتسب له ولزم بابه في أصحابه ، فكان يوجهه في أموره وكان مظفَّراً حتى بدا لسَنْحاريب أن يغزو بيت المقدس ، فبعث جواسيسه يأتونه بخبر الأرض ، فانطلق بخت نصَّر فركب حماراً ثم جاء حتى دخل على الملك ، فقال : أيها الملك إنك تبعث عيوناً إلى أرض بني إسرائيل فأحبُّ أن أنطلق أنا بنفسي ، فإني أنا أعْلَم منهم بالأمر الذي تدرك به حاجتك . قال له الملك : ألا أعلمتني فكنت أستعملك عليهم ، ولكن امضه . فمضى حتى وردها ، فكان أصحابه يسألون عن الحصون وعن العدة والرجال والمدخل والمخرج وكان بخت نصَّر يسأل بقوله : هل فيكم اليوم أنبياء وكتب تقرؤونها ؟ قالوا : نعم . قال : أفتطيعون أنبياءكم ؟ قالوا : لا . قال : أفتقيمون كتبكم ؟ قالوا : لا . قال : فانصرف ، وانصرف أصحابه ، فأعلموا الملك ما عاينوا . وقال بخت نصَّر : أيها الملك إن فيهم أنبياء لا يطيعونهم وكتباً لا يقيمونها فإن نصرت فبهذا . قال سَنْحاريب : إنه ليس للقوم بنا يدان ، وسأغزوهم بجنود لا قبل لهم بها ، وكان من قصته ما كان . [٧٤ ب]

يروى أن بخت نصَّر دخل الشام ومصر في ست مئة ألف وهو راكب على أسد أحمر

متعمِّم بثعبان ، متقلِّداً سيفاً طوله عشرة أشبار في عرض شبر ، أخضر النَّصْل ، يقطر منه الماء شبه الشَّرر ، غمده من ذهب مرصَّع بصنوف الجوهر والياقوت الأحمر ، منقوش عليه هذه الأبيات : [من السريع]

وأنت إن لم ترج أو تَتَّقي ... كالَّليْث محمولاً على نعشِهِ

لا تنجشِ الشرَّ فتصلى بهِ ... فقلَّ مَنْ يسلم من نَجْشِهِ[1]

وأخمِدِ الشَّرَّ فإنْ هِجْتَهُ ... فاحْرِصْ لأعدائكَ في جَشِّهِ[2]

للبحر أقْراشٌ لها صَوْلةٌ ... فاحذَرْ على نفسكَ من قِرشِهِ

إذا طغى الكبشُ بشحم الكِلى ... أدخَلَ رأسَ الكبش في كِرْشِهِ

ونـاطِحُ الكبشِ لَهُ سَاعةٌ ... تأخُذُهُ أنطح من كَبْشِهِ

فكم نجا منْ يَدِ أعدائهِ ... ومَيِّتٌ ماتَ على فَرْشِهِ

مَنْ يفتحِ القُفْلَ بمفتاحِهِ ... نجا من التُّهْمَةِ في فَشِّهِ[3]

ونابشُ الموتى لهُ ساعةٌ ... تأخُذُهُ أنْبَش من نَبْشِهِ

والبَغْيُ صرَّاعٌ لهُ صَوْلةٌ ... تستنزل الجبَّار عن عَرْشِهِ

قال ابن المبارك :

رئي لقمان يعدو خلف بخت نصَّر فراسخ ، فقيل له : يا وليّ الله تعدو خلف هذا الكافر ؟ قال : لعلِّي أسأله في مؤمن فيجيبني فيه .

قال وَهْب :

لما فعل بخت نصَّر ما فعل ـ يعني ما ذكر في ترجمة أرميا ـ قيل له : كان لهم صاحب يحذِّرهم ما أصابهم ، ويصفك وخبرك لهم ، ويخبرهم أنك تقتل مقاتلتهم ، وتسبي ذراريهم ، وتهدم مساجدهم ، وتحرق كنائسهم ، فكذبوه ، واتهموه ، فضربوه ، وقيَّدوه ، وحبسوه ، فأمر بخت نصَّر فأخرج أرميا من السجن ، فقال له : أكنت تحذِّر هؤلاء القوم ما أصابهم ؟

---

(١) نجش الشر : استثاره واستخرجه .

(٢) الجش : الدق والضرب .

(٣) فشه : أي فتحه .

قال : نعم . قال : فأنّى علمت ذلك ؟ [٧٥ آ] قال : أرسلني الله تعالى إليهم فكذّبوني . قال : كذّبوك وضربوك وسجنوك ! قال : نعم . قال : بئس القوم قوم كذّبوا نبيّهم ، وكذّبوا رسالة ربّهم ، فهل لك أن تلحق بي فأكرمَك ، وأواسيَك ، وإن أحببتَ أنك تقيم في بلادك فقد أمّنْتُك . قال له أرميا : إني لم أزل في أمان الله منذ كنت لم أخرج منه ساعة قطُّ ، ولو أن بني إسرائيل لم يخرجوا منه لم يخافوك ولا غيرك لو لم يكن لك عليهم سلطان . فلما سمع بخت نصّر قوله تركه . فأقام أرميا بأرض إيلياء ، وأخرج أهلَ بيت دانيال الأكبر كتابَ أمانِ بخت نصّر فأمضاه لهم ، وأخرج بهم معه فكانوا خمسة أنفس : دانيال بن حِزْقيل وميشائيل وميخائيل وعيصو ، وحرسوس[1]، ويقال : كان عُزَير معهم وعزرائيل . والله أعلم . وكانوا شباباً لم يبلغوا الحلم ، دانيال بن حزقيل كان أعطاه الله الحكمة ، وكان عبداً صالحاً كريماً على الله عز وجل .

وقال ابن عباس :

إنه مزّق كتاب دانيال فنشأ هؤلاء الغِلْمَة فكانوا وصفاء وكان أكبرهم دانيال ، وهو دانيال الحكيم الذي أنقذ الله به بني إسرائيل من أرض بابل فعمد بخت نصّر ـ حين سمع كلام دانيال وحكمته ونظر إليه ـ إلى جُبٍّ في فَلاةٍ من الأرض ، فألقى فيه دانيال مع شِبْلين ، وأطبق عليه الجُبَّ وهو مَغْلول ، وقتل على دم يحيى بن زكريا سبعين ألفاً ، وذلك أنّ ما بعث الله تعالى بخت نصّر عليهم عقوبة لهم بما قتلوا يحيى وزكريا ؛ وذلك أنه مر بالموضع الذي قُتل فيه يحيى وزكريا ، فرأى دماءهما تغلي ، فسأل عن ذلك ؟ فقالوا : هي دماء نبيَّين ، ولا تَسْكن حتى يُقْتل بكل واحد منها سبعون ألفاً ، فلما قَتل بخت نصّر على دمائها هذه العِدَّة سكنتْ تلك الدّماء .

قال ابن عباس :

لم يَقتل كهلاً ولا وليداً ولا امرأة ، إنما قتل أبناء الحرب وقادة الجيوش حتى استكمل هذه العِدَّة ، ودانيال في الجُبِّ مع الشِّبْلَين سبعة أيام ، [٧٥ ب] فأوحى الله إلى نبيٍّ من بني إسرائيل كان بالشام ، فقال : انطلقْ فاستخرجْ دانيال من الجُبّ ، فقال : يا رب ! ومن يدلُّني عليه ؟ فقال : هو في موضع كذا وكذا يدلُّك عليه مركبك ، فركب أتاناً له وخرج

---

(١) كذا الأصل .

حتى انتهى إلى ذلك الموضع ، فدارت به حمارتُه ثلاث مرات في أرض مَلْساء ، فعرف أن بُغْيَته فيها ، فقال : يا صاحب الجُبّ ، فأجابه دانيال ، فقال : قد أسمعت فما تريد ؟ قال : أنا رسول الله إليك لأستخرجك من هذا الموضع ، فقال دانيال : الحمد لله الذي لا يَنْسى مَنْ ذَكَره ، الحمد لله الذي لا يَكِلُ من توكّل عليه إلى غيره ، والحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحساناً ، والحمد لله الذي يجزي بالإساءة غُفرانا ، والحمد لله الذي يكشف ضُرّنا عن كَرْبنا ، ثم استخرجه ، وإن الشِّبْلَين لَعَنْ يمينه وعن شماله يمشيان معه ، وإن ذلك النَّبي لفي ناحية يَفْرَق منهما ، حتى عزم عليهما دانيال أن يرجعا إلى الغيضة .

قال ابن عباس :

من قال عند كل سَبُع : اللهم ربّ دانيال ورب الجُبّ ، وربّ كل أسد مستأسد ، احفظني واحفظ عليّ ، لم يضره سبع .

وحدث قتادة عن كعب :

أن بخت نصّر انطلق بدانيال معه إلى أرض بابل يَصْدُر عن رأيه ، حتى قيل له : إنه مخالفٌ لك ولا يأكل لحم الخنزير . قال : فدعاه إلى طعامه فأبى أن يأكله ، فسجنه في السجن حتى رأى رؤياه التي قطع بها على ما سنذكره .

وحدّث وَهْب

أن بخت نصّر سار ببني إسرائيل وكنوز بيت المقدس إلى أرض بابل ، فأقام أرميا بأرض إيلياء وهي خراب ، فكان يبكي وينوح على بيت المقدس ، وكان يساعده عليه الخُطّاف[1] فيطوف حوله ، فمن ثَمّ نهي عن قتله ، وكانت بقايا من بني إسرائيل متفرقين بَلَغَهُم أمر أرميا ومقامه بإيلياء ، فاجتمعوا إليه ، فقالوا : قد عرفنا الآن أنك نصحتنا ، ولو أطعناك لم يصبنا ما أصابنا فَمُرْنا بأمرك . فقال لهم : أقيموا في أرضنا فنستغفر الله ونتوب إليه [٧٦ آ] لعله يتوب علينا ، فقالوا : إنا نخاف أن يسمع بنا بخت نصّر ، فيبعث إلينا من يتخطّفنا ، ونحن شِرْذِمة قليلون ، ولكن ننطلق إلى ملك مصر ، فنستجيره ، وندخل في

---

(١) الخُطّاف : طائر .

ذمته . فقال أرميا : ذِمّة الله أوفى الذِّمم لكم ، وإنكم لا يسعكم أمان أحد في الأرض إن أخافكم الله ، وإن أمان الله هو أوسع لكم . قالوا : إن الأمر كما تقول ، لو كان الله راضياً عنا ، ولكن الله ساخط علينا ، ولسنا نأمن سطوته أن يسلمنا إلى عدوّنا ، فانطلقوا إلى ملك مصر . فأوحى الله إلى أرميا أنهم لو أطاعوا أمرك ثم كنت أطبقت عليهم السماء والأرض ، لجعلت لهم من بينهما مخرجاً ، وما كنت لأخفرك لو أطاعوك ، وإني لأقسم بعزّتي لأعلمنّهم أنه ليس لهم ملجأ ولا مَحيص إلا طاعتي ، واتّباع أمري ، فلما وردوا على ملك مصر شكوا إليه شأنهم . فقال : أنتم في ذِمّتي وجواري ، فمع بذلك بخت نصّر ، فأرسل إلى ملك مصر أن لي قبلك عبيداً أبَقُوا مني ، فابعث بهم إليّ مُصفّدين وإلا فأذن بحرب ، فكتب إليه ملك مصر : إنك كاذب ما هم بعبيد . إنهم أبناء الأحرار ، وأهل النبوّة والكتاب ، ولكنك ظلمتهم واعتديت ، فلما سمع بذلك أرميا رحمهم ، فبادر إليهم ليشهدهم . فأوحى الله إليه : إني مظهر بخت نصّر على هذا الملك الذي اتخذوه حِرْزاً . فقال لهم ذلك أرميا ، فإن لم تطيعوني أسركم بخت نصّر وقتلكم ، فإن آية ذلك أن الله قد أراني موضع سرير بخت نصّر الذي يضعه فيه بعدما يظفر بمصر وملكها ، ثم عمد فدفن أربعة أحجار في الموضع الذي يضع بخت نصّر فيه سريره ، ثم قال : تقع كل قائمة من سريره على حجر منها . قال : فلجُّوا في رأيهم ، فسار بخت نصّر ، فأسر الملك وبني إسرائيل ، وقتل جنوده ، وقسم الفَيء ، وأراد قتل الأسارى وقد وضع سريره في ذلك الموضع ، فوقعت كل قائمة منه على حجر من تلك الأحجار التي دفن أرميا . فقال له بخت نصّر : ألا أراك مع أعدائي بعد أن أمّنتك [٧٦ ب] وأكرمتك ؟ ! قال له أرميا : إنما جئتهم محذّراً أخبرتهم خبرك ، وقد وضعت لهم علامة من تحت سريرك ، وأريتهم هذا المكان الذي يوضع فيه سريرك ، فإن تحت كل قائمة حجراً دفنته ، فلما رفع سريره وجد مصداق ما قال ، فقال لأرميا : لو أعلم أن فيهم خيراً لوهبتهم لك ، وما بي إلى قتلهم من حاجة ، ولكن أقتلهم غضباً لك إذ كذبوك ، واتهموا نصيحتك ، فقتلهم ثم لحق بأرض بابل ، فأقام أرميا بمصر ، واتخذ بها جُنينة وزرعاً يعيش منه . فأوحى الله تعالى إليه : إن لك عن الزرع والمقام بأرض مصر شغلاً ، فكيف تسعك أرض وأنت تعلم سخطي على قومك ولا يحزنك هذا البلاء الذي يُصَبُّ على إيلياء وأهلها ، فالحق بها حتى يبلغ كتابي أجله ، فإني رادٌّ بني إسرائيل تارة أخرى إلى الأرض المقدسة ، ومستنقذهم من عدوهم ، وناظر كيف يعملون . فخرج أرميا مذعوراً حتى أتى بيت المقدس ، فأوحى الله

إليه : سأعمره وأرفعه ، وإني باعث ملكاً يقال له كورش[1] من أرض فارس ، حتى ينزل بقومه ورجاله حتى يعمرها ، ويبني قصورها ومساجدها ، ويكشف عن أنهارها ، ويغرس أعنابها ونخلها وزيتونها ، فتوجه كورش إليها في جمع له ومعه ثلاثون ألف قيّم يستعملون الناس ، كل قيّم على ألف عامل ومعهم ما يحتاجون إليه ، ولما رأى أرميا عمارتها سأل ربه أن يقبضه إليه ، فمات أرميا ، وأنقذ الله بني إسرائيل بعد مئة سنة من أرض بابل على يدي دانيال .

وقال كعب :

كان سبب استنقاذ بني إسرائيل من أرض بابل أن بخت نصَّر لما صدر من بيت المقدس بالأسارى ، وفيهم دانيال وعُزير وأربعة وصفاء غِلْمان لم يبلغوا الحلم غير دانيال ، واتخذ بني إسرائيل خَوَلا زماناً طويلاً ، وإنه رأى رؤيا فزع منها ، فدعا كهنته وسحرته ، فأخبرهم بما أصابه من الكرب [٧٧ آ] بما في رؤياه ، وسألهم أن يَعْبُروها له ، فقالوا له : قُصَّها علينا . قال : قد أُنسيتها فأخبروني بتأويلها . فقالوا : إنا لا نقدر على أن نخبرك بتأويلها حتى تقصها علينا ، فغضب ، وقال لهم : اخترتكم واصطفيتكم لمثل هذا ، اذهبوا فقد أجَّلتكم ثلاثة أيام ، فإن أتيتموني بتأويلها وإلا قتلتكم ، وشاع ذلك في الناس ، فبلغ دانيال وهو مسجون . فقال لصاحب السجن وهو إليه محسن : هل لك أن تذكرني للملك فإن عندي علم رؤياه ، وإني لأرجو أن تنال بذلك عنده منزلة تكون سبب عاقبتي . قال له صاحب السجن : إني أخاف عليك سطوةَ الملك ، لعل غَمَّ السجن حملك على أن تتروَّح[2] بما ليس عندك فيه علم ، مع أني أظن إن كان أحد عنده من هذه الرؤيا علم فأنت هو . قال دانيال : لا تخف عليّ ، فإن لي رباً يخبرني بما شئت من حاجتي ، فانطلق صاحب السجن ، فأخبر بخت نصَّر بذلك ، فدعا دانيال ، فأدخل عليه ، ولا يدخل عليه أحد إلا سجد له ، فوقف دانيال فلم يسجد له ، فقال الملك لمن في البيت : اخرجوا ، فخرجوا ، فقال بخت نصَّر لدانيال : أخبرني عما يمنعك أن تسجد لي ، قال دانيال : إن لي رباً آتاني هذا العلم الذي

---

(١) كذا الأصل (كورش) وفي تاريخ الطبري ٥٤٥/١ كيرش بن أخشويرش .

(٢) يقال : تروّح الماء : إذا أخذ ريح غيره .

سمعت به على أن لا أسجد لغيره ، فخشيتُ أن أسجد لك فينسلخ عني العلم ، ثم أصير في يديك أميّاً لا ينتفعُ بي ، فتقتلني ، فرأيت بترك سجدة أهون من القتل ، وخطر سجدة أهون من الكرب والبلاء الذي أنت فيه ، فتركت السجود نظراً لي ولك ، فقال بخت نصَّر : لم يكن قطُّ أوثق في نفسي منك حين وقيت لإلهك ، وأعجب الرجال عندي الذين يوفون لأربابهم بالعهود ، فهل عندك علم بهذه الرؤيا التي رأيت ؟ قال : نعم . عندي علمها وتفسيرها . رأيت صنماً عظيماً رجلاه في الأرض ورأسه في السماء . أعلاه من ذهب ، ووسطه من فضة ، وسفله من نحاس ، وساقاه من حديد ، ورجلاه من فخار ، فبينا كنت تنظر إليه قد أعجبك حسنه ، وإحكام صنعته ، قذفه الله حتى طحنه ، [٧٧ ب] فاختلط ذهبه ، وفضته ، ونحاسه ، وحديده ، وفخاره ، حتى يخيل لك أنه لو اجتمع جميع الإنس والجن على أن يميزوا بعضه من بعض لم يقدروا على ذلك ، ولو هبَّتْ ريح لأذرَّتْه ، ونظرت إلى الحجر الذي قذف به يربو ويعظم ، ويكبر حتى ملأ الأرض كلها ، فصرت لا ترى إلا السماء والحجر ، قال له بخت نصَّر : صدقت هذه الرؤيا فما تأويلها ؟ فقال دانيال : أما الصنم فأمم مختلفة في أول الزمان وفي وسطه وفي آخره ، وأما الذهب فهذا الزمان وهذه الأمة التي أنت فيها ، وأنت ملكها ، وأما الفضة ، ابنك من بعدها تملَّكَها ، وأما النحاس فأمة الروم ، وأما الحديد ففارس ، وأما الفخَّار فأمتان تملكها امرأتان ، إحداهما في مشرق اليمن ، والأخرى في غربي الشام ، وأما الحجر الذي قذف به الصنم ، فدين يقذف الله به هذه الأمم في آخر الزمان ليظهره عليها ، يبعث الله نبياً أُمّياً من العرب ، فيدوِّخ الله به الأمم والأديان كما رأيت الحجر دوَّخ أصناف الصنم ، ويظهره على الأديان والأمم ، كما رأيت الحجر ظهر على الأرض وانتشر فيها حتى ملأها ، فيحق الله به الحق ، ويزهق به الباطل ، ويهدي به أهل الضلال ، ويعلِّم به الأميين ، ويقوّي به الضُّعَفَة ، ويعز به الأذلَّة ، وينصر به المستَضْعَفين . قال له بخت نصَّر : ما أعلم أحداً استعنتَ به منذ وليت الملك على شيء غلبني غيرك ، ولا لأحد عندي يدّ أعظم من يدك ، وأنا جازيك بإحسانك ، فاختر من ثلاث خلال أعرضهن عليك : واحدة إن أحببت أن أردَّك إلى بلادك وأعمر لك كل شيء خرَّبتُه ، وإن أحببت كتبت لك أماناً تأمن به حيث ما سلكت ، وإن أحببت أن تقيم معي ، فأواسيك . قال : أما قولك : تردُّني إلى بلادي وتعمر لي ما خربت ؛ فإنها أرض كتب الله عليها الخراب وعلى أهلها الفناء إلى أجل معلوم ، وليس تقدر على أن تعمر ما خرب الله عز وجل ، ولا تردّ

[٧٨ آ] أجلاً أجَّلَهُ الله حتى يبلغ الكتاب أجله ، وينقضي هذا البلاء الذي كتب الله على إيلياء وأهلها ، وأما قولك : إنك تكتب لي أماناً آمن به حيث ما توجهت ؛ فإنه لا ينبغي أن أطلب مع أمان الله أمان مخلوق ، وأما ما ذكرت من مواساتك ؛ فإن ذلك أوفق لي يومي هذا حتى يقضي الله فينا قضاءه ، فجمع بخت نصَّر ولده وحشمه وأهل العلم والرأي ، فقال لهم : هذا رجل حكيم قد فرَّج الله عني الكرب الذي عجزت عنه به ، وإني قد رأيت أن أوليه أمركم ، فخذوا من أدبه وحكمته ، وأعظموا حقه ، فإن جاءكم رسولان أحدهما مني والآخر من دانيال ، فآثروا حاجته على حاجتي ، ونزل منه دانيال بأفضل المنازل ، وجعل تدبير ملكه إليه ، فلما رأى ذلك عظماء أهل بابل حسدوا دانيال ، واجتمعوا إلى بخت نصَّر ، فقالوا له : لم يكن على الأرض ملك أعز من ملكنا ولا أعظم ، ولا قوم أهيب في صدور أهل الأرض منا حتى دانت لنا الأرض ، واعترفت لنا الأمم ، فليس يطمع فينا أحد ، وإنا نخبرك أن الأمم قد طمعوا فينا منذ قلَّدْتَ أمر مُلكك هذا العبد الإسرائيلي ، وإنك لم تفعل هذا حتى أنكرت عقلك ورأيك ، وعجزت عن السياسة ، وقد نصحناك ، فقال لهم بخت نصَّر : ما أنكرت عقلي ولا رأيي ، ولا تزيدني الأيام إلا تجربة وعلماً ، ولكنه كان نزل بي ما رأيتم ، فعجز عنه رأيي ، وعجزتم أنتم ، ففرَّج عني ، فماذا تنقمون أن عمدت إلى أحْكَمِ أهل الأرض فاستعنت به مع رأيي ، وكل ذلك أريد به صلاح أمركم وقوام ملككم ؟ قالوا : فإن كان كما تقول ، أفليس يخبرك أن له رباً عظيماً هو الذي يدبِّر له أمره ويطلعه على الغيب ؟ قال بخت نصَّر : بلى ، يزعم أن له رباً لولاه لم يك شيئاً ، ولا يعلم شيئاً . قالوا له : هذا العبد الضعيف قدر على أن يتخذ إلهاً يخبره بما شاء ، فكيف لا تقدر أنت في مثل خطرك وعظم ما أوتيت من الملك على أن تتخذ إلهاً ، فيخبرك بحاجتك ويكفيك ما أهمَّك ، وتستغني به عن الناس ، ونحن لك على ذلك مؤازرون ؟ . [٧٨ ب] قال بخت نصَّر : فأنتم وذاك . قالوا : فأعطنا الطاعة والسلطان حتى نفرغ مما تريد ، ففعل بهم ذلك ، فعملوا صنماً طوله في السماء سبعون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً من الألواح ثم دَسَروه بالحديد والمسامير ، وألبسوه الذهب ، وكلَّلوه بالياقوت وألوان الجوهر ، ثم صنعوا له عيداً عظيماً ، وذبحوا له الذبائح ، وواعدوا الناس لذلك اليوم يجتمعون فيه ، فيعبدون ذلك الصنم ويسجدون له ، واتخذوا أخدوداً في الأرض ، فأوقدوا فيها ناراً عظيمة ، وهم أصحاب الأخدود ، وكانت الأخدود باليمن وبابل ، فأما الذي كان باليمن فاتخذه يوسف ذو نواس الحِمْيري ، وهو الذي

مَلَكَ حِمْير ، وكان صاحب عنقصير[1]، وهو الذي قتل الناس وأحرقهم بالنار ليدعُوا الإسلام ، وكانت الأخدود الأخرى بابل اتخذها بخت نصر ، فلما اجتمع الناس يوم عيدهم ، أمروهم بالسجود لذلك الصنم فسجدوا ، فمن أبى حرقوه في تلك الأخدود ، وكان بخت نصَّر سبى من إيلياء سبعين ألف غلام ، فقسمهم في ملوك بابل ، ما خلا دانيال وميشائيل وميخائيل وعيصو ومرسوس[2] فأقاموا بذلك زماناً يستخدمونهم حتى أدرك الوصفاء ، فأنكر أهل بابل شأنهم ، فقالوا لبخت نصَّر : إنا أنكرنا شأننا منذ أدرك عبيدنا ، فإنا نحب أن تنفيهم منا فتخرجهم عنا ، أو تأذن لنا فنقتلهم . فقال لهم : أنتم وذاك . قال : فقتلوهم جميعاً ، وبقي هؤلاء العِدَّة التي في يدي الملك ، فكانوا يدعون الله ويقولون : يا رب قد عذبت آباءنا بذنوبهم فما بالنا ؟ ! فأوحى الله إلى دانيال : إني مخلِّصهم ، فعطف عليهم بخت نصَّر فلم يقتلهم ، فلما أخرجوا صنمهم ليوم عيدهم ، دعوا هؤلاء العِدَّة من بني إسرائيل ، فقالوا لهم : اسجدوا لآلهتنا ، فقالوا : إن هذا ليس بإله نسجد له ، إنما هو خشب عملته الرجال ، فإن شئتم سجدنا للذي خلقه فاغتنموا خلافهم ليحرقوهم وليغيظوا بهم [٧٩ آ] دانيال ، فكتفوهم ثم رموا بهم في تلك النار فباتوا فيها حتى أصبحوا ، فاطَّلع بخت نصَّر عليهم من قصره ، فرأى فيها خمسة نفر في النار ، ورأى خامسهم خَلْقاً عظيماً له ريش ، فرأى النار قد عادت جليداً ، وإذا صاحب الريش يكنفهم ويلحفهم بريشه من برد الجليد ، فلما نظر بخت نصَّر إلى ذلك امتلأ رعباً ، فدعا قومه فقال : كم كنتم ألقيتم في النار ؟ قالوا : أربعة . قال : فإن معهم خامساً له ريش وهيبة وجسم لا يقدر قدرها . قالوا : ليس لنا به علم ، فدعا دانيال ، فسأله . فقال : هؤلاء الأربعة أعرفهم فمن الخامس صاحب الريش ؟ قال دانيال : الخامس الذي وكله الله بالظِّل والبرد والثلج والجليد ، وهذه الخزائن بيده ، فأرسله إلى هؤلاء الفتية حتى صيَّر النار جليداً حتى لا يَضرُّهم برد الجليد . وقيل : إن دانيال قال لبخت نصَّر لما سأله عن الخامس ، قال : ذاك جبريل بعثه الله إليهم يروِّح عنهم ويؤنسهم ، وقيل : إن بخت نصَّر قال لدانيال : ألا أعلمتني حين عرض لهم فأحُول بينهم وبيْن ما صنعوا بهم ! قال دانيال : حملني على ذلك الرفق بك لما أدخل عليك أهل مملكتك ووثقت لهم

---

(١) كذا الأصل ، ولم نقف عليه ، ولعله (عَنْقَفير) وهو الداهية .

(٢) كذا الأصل ، ولم نقف عليه ، وقد ذكر في ص ١٦٠ بالحاء بدلاً من الميم .

بنصر الله ، وأن الله لم يخذلهم ، وأردت أن يرى قومك عزة الله وسلطانه وكيف يعز أولياءه ، فأمر بهم فأُخرجوا من النار .

قال وَهْب : لما وقفوا بين يدي بخت نصَّر قال : كيف بتُّم البارحة ؟ قالوا : بأفضل ليلة مرت علينا منذ خُلقنا ، قال بخت نصَّر : وهي أفضل من لياليكم في بلادكم ؟ قالوا له : سبحان الله ومتى كنا نطمع في بلادنا ملائكة الرحمن أن يلحفونا بالريش ، ويردون عنا أذى البرد ، ويستغفرون لنا ، ويصافحونا ! فأمرهم أن يلحقوا بدانيال فأكرمهم ، فلم يزالوا حتى أتى على ذلك ثلاث سنين ، ثم إن بخت نصَّر رأى رؤيا أهول وأعظم مما كان رأى ، فأرسل إلى عظماء قومه ، فقال لهم [٧٩ ب] : إني قد رأيت في مضجعي هذا ولم أتحوَّل عنه رؤيا فيما يُخيَّل إليّ أشدّ من الأولى ، وخشيت أن يكون فيها هلاكي وهلاككم ، وذهاب ملككم وقد نسيتها فما ترون ؟ فجعلوا علة عجزهم دانيال فقالوا : إنك عمدت إلى أسحر العالمين فوضعته عند رأسك ، فهو يفزعك بسحره ، ويريك الأحلام لينال منك المنزلة والكرامة ، فشأنك وشأنه ، وقد عُمِّرت قبله زماناً لا ترى شيئاً تكرهه . وأنت مُستغنٍ برأيك ، فأدخلت على نفسك هذا البلاء ، فقال لهم بخت نصَّر : أما عندكم غير هذا ؟ قالوا : لا . قال : اخرجوا عني ، ثم دعا دانيال ، فقال : إني قد رأيت في مضجعي هذا ولم أتحوَّل عنه رؤيا قد نسيتها هي عندي أعظم من الأولى فهل عندك علمها ؟ قال : نعم . قال : إذاً فاقصصها عليّ ، قال دانيال : رأيتَ شجرة عظيمة أصلها ثابت وفرعها ذاهب في السماء ، في فرعها طير السماء كلُّه ، وفي ظلِّها وحوش الأرض وسباعها كلُّها ، فبينا أنت تنظر إليها ، وقد أعجبك حسنها وعظمها وخضرتها ، والذي جمع الله في فرعها من الطير ، وفي ظلها من الوحوش ؛ إذ أقبل مَلَك يحمل حديداً كأنه الفأس على عاتقه ، وهو يؤمُّ الشجرة ؛ إذ ناداه مَلَك من فوقه من باب من أبواب السماء فقال له : ما أمرك ربك في هذه الشجرة ؟ قال : أمرني أن لا أدع منها شيئاً ، فناداه المَلَك من فوقه : إن الله يأمرك أن لا تستأصلها من أصلها خذ بعضها وأبق بعضها ، فنظرتَ إلى الملك قد ضرب رأسها بالفأس فانقطع منها بعض أغصانها ، وتفرَّق ما كان فيها من الطير ، وما كان في ظلِّها من السباع ، وبقي الجِذْع متغيِّراً قد تغيَّر حسنه وخضرته لا هيئة له . قال بخت نصَّر : هذه الرؤيا التي رأيتها فما تأويلها ؟ قال دانيال : أنت الشجرة ، وما رأيت في رأسها من الطير فولدك وأهلك وحشمك ، وما رأيت في ظلِّها من السباع والوحوش [٨٠ آ] فخَوَلُك وعبيدك ورعيَّتك ،

كانوا في ظلّك ومُلكك ، وقد أغضبت الله فيما بايعت هؤلاء عليه من عمل هذا الصنم ، فإنهم لن يأتوا بمثل الله أبداً ، فذكر الله بك عندما أراد من هلاكك فصفح عنك ، ثم رأيت الملك وقد همَّ أن يستأصل الشجرة من أصلها ، فتاداه الآخر من فوقه أن يأخذ منها ويبقي منها ، وكذلك يصنع الله بك يأخذ منك ويبقي . قال بخت نصَّر : وكيف يفعل بي ؟ قال : يبتليك ببدنك ، يُعرِّفك به قُدرته ، فلا يدع صورة مما خلق وأخرى فيها الروح إلا مسخك فيها ، فلبثت في ذلك البلاء سبع سنين ، ولو شاء أن يجعل ذلك في أوشك من طرفة عين لفعل ، ولكن ليطول عليك البلاء ويعرفك أنه ليس لك من دونه وال ، ولا يملك لك أحد معه شيئاً ، ثم لا يحوِّلك في صورة من تلك الصور إلا كنت مَلِك ذلك الجنس وتعلوه وتقهره ، فإذا انقضتْ السبع سنين رجعت إنساناً كما كنت أول مرة ، فقال بخت نصَّر : فهل يقبل ربك مني توبة أو فدية أو رجعة ؟ فقال : لا ، حتى يعرِّفك قدرته وينفذ قضاءه فيك . قال : فلما قال هذا اعتزل ملكه وأهله ووكل ابنه ، وأمره أن يكون السائس دانيال ، وأغلق عليه أبوابه وقعد يبكي على نفسه ، فمكث في البكاء سبعة أيام ، فلما عَمَّه البكاء ظهر فوق بيته يتروَّح من غمٍّ ما هو فيه ، فساعة ظهر أنبت الله له ريشاً وزغباً ، وجعل له مخاليب ومنقاراً ، فصار عُقاباً ، ثم ذهب يطير فلا يقوم له طير في السماء إلا قهره ، وتحدَّث به أصحاب النُّسور الذين يصيدون الطير فقالوا : إنه حدث في السماء طير عظيم على صورة العُقاب لا يقوم له شيء ولا يطيقه إنسان ، ثم حوَّله فرساً ، فتحدَّث به أصحاب الأرمال[1]، وقالوا إنه حدث في المروج حصان من الخيل ما رأينا مثله [٨٠ ب] عِظَماً وجسماً ، لا يقوم له شيء ، ولا يرومه إنسان ، فجعل لا يمسخ في شيء إلا ذُكر عِظَمه وقوته وتُحدِّث بذلك ، فلم يزل في ذلك سبع سنين وولده وملكه على حاله لم يتغيروا ، ولم يُحْدِثوا فيه شيئاً ، وكان يأمرهم دانيال أن لا يغيِّروا من أمره شيئاً حتى يرجع إليهم . وفي رواية ، وكان إذا مُسخ في جنس ذكراً فاشتهى الإناث واغْتَلَم حوَّله أنثى ، فأحرم[2] واشتهى الذكور حوَّله الله ذكراً ، فكان لا يصل إلى شهوته من الجماع ، ولا يوصل إليه .

---

(١) كذا الأصل ، ولعله (الأزمال) بالزاي ، من النشاط والسرعة ، يقال : فرس أزملة ، إذا انتشر في عدوه وأسرع . اللسان (زمل) .

(٢) الحرمة : الغُلْمة ، والاستحرام لكل ذات ظلف خاصة ، يقال : استحرمت الشاة إذا اشتهت الفحل . (لسان) .

قالوا : وكان آخر خلق مُسخ فيه بخت نصَّر البعوضة ، فأقبل في صورتها يطير حتى دخل بيته ، فحوَّله الله إنساناً ، فاغتسل بالماء ولبس المسوح ، وألقى جَفْن سيفه ، ثم خرج به صَلْتاً يتوكأ عليه حتى برز إلى جنَّاته ، فأمر بجمع قومه فاجتمعوا كأجمع ما كانوا قطُّ ، ثم قال : يا أيها الناس إني وإياكم كنا نعبد من دون الله ما لا يضرنا ولا ينفعنا ، ولا يخلقنا ولا يرزقنا ، ولا يميتنا ولا يحيينا ، ولا يملك لنا من الله شيئاً ، وإنه قد تبين لي من قدرة الله في نفسي أن لا إله إلا إله بني إسرائيل ، فمن بايعني على هذا أو أجابني إليه ، فأنا منه وهو مني ، وأنا وهو في الحق سواء ، ومن أبى وخالف ضربته بسيفي هذا ، وأشار به إليهم - وكان فيهم مهيباً - حتى يحكم الله بيني وبينه ، ألا وإني قد أجَّلتكم يومي هذا ، فإذا أصبحت فأجيبوني ، ثم انصرف عنهم ، فساعة دخل بيته وقعد على فراشه قبض الله روحه .

فقال وَهْب بن مُنَبِّه :

سألني ابن عباس عن قصة بخت نصَّر فقصصتها عليه ، فقال ابن عباس : ما شَبَّهتُ إيمانه إلا بإيمان سَحرةِ فرعون حين قالوا : آمنَّا بربِّ هارون وموسى .

وكان وَهْب بن مُنَبِّه يقول :

لما مُسِخ بخت نصَّر كان في ذلك يعقل عقل الإنسان ، ثم ردَّ الله روحه فدعا إلى توحيد الله ، وقال : كل إله باطل إلا إله السماء .

قال بكار :

فقيل لوَهْب : أمؤمناً مات ؟ [٨١ أ] فقال : وجدتُ أهل الكتاب قد اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : قد آمنَ قبل أن يموت ، وقال بعضهم : قتل الأنبياء ، وحرَّق الكتب ، وخرَّب بيت المقدس ، فلن تُقبل منه التوبة .

وقيل :

إن بخت نصَّر لما قَتل بني اسرائيل وخرَّب بيت المقدس ، وسار بسبايا بني اسرائيل إلى أرض بابل ، فسامهم سوء العذاب ، فأراد أن يتناول السماء ، فجمع بني اسرائيل وعظماء أهل بابل ممن عنده علم ، فقال لهم : إني قد قهرتُ أهل الأرض ، فأريد أن أتناول ملك السماء ، فهل عندكم علم أو حيلةٌ أصعد إلى السماء ؟ فقالوا : لا . فقال لهم : انطلقوا فاطلبوا لي حيلة أصعد بها إلى السماء . فسلَّط الله عليه بعوضة ، فدخلت مِنْخَره ، فوقعت في دماغه ، فلم تزل

البعوضة تعذّبه وتأكل دماغه ، فلم يزل ينطح رأسه على الحجر حتى مات ، ثم أوصى أن شُقُّوا هامته فينظروا ما كان فيه . قال : ففعلوا ، فرأوا قدرة الله ، فإذا هم ببعوضة قد تعلّقت بدماغه . والله أعلم أي ذلك كان .

قالوا :

ومُلْكٌ بخت نصّر خمسٌ وأربعون سنة ، منها تسع عشرة سنة قبل خراب أورشلم - وهي بيت المقدس - وسباء بابل ، وست وعشرون سنة بعد الخراب . قالوا : كان أمْره بعدما رُفع عيسى بن مريم ، وقيل : كان قبل عيسى بن مريم ، وقيل : كان قبل الاسكندر والمسيح بأكثر من ثلاث مئة سنة . قالوا : ومن زمن آدم إلى سَبْي بابل أربعة آلاف وتسع مئة وثمان عشرة سنة .

٧٤ - بُخَيْتُ بن محمد بن حسّان البُسْريّ

بخيت أوله باء مضمومة وخاء معجمة منتوحة وآخرة تاء معجمة باثنتين من فوقها هو بُخَيت بن أبي عُبيد البُسْري . من أهل بُسْر[1] . كان أبوه من كبار الزهاد .

قال أبو بكر الهلالي :

اجتمع أصحاب الحديث بطبريّة إلى بُخَيت بن أبي عبيد البُسْري ، فسألوا أن يُملي عليهم حديثاً ، فقال : ما أحبُّ أن ألقى الله وأنا صاحب حديث . قالوا : فاحكِ لنا عن أبيك شيئاً ، فقال : سمعت أبي يقول : [من الرجز]

البيت خالٍ والكباشُ تَنْتَطِحْ ... فَمَنْ نجا برأسِهِ فقد ربحْ[2]

---

(١) بُسْر : قرية من أعمال حوران من أراضي دمشق ، انظر معجم البلدان .

(٢) قوله : فمن نجا ... من الأمثال ، يضرب في إبطاء الحاجة وتعذرها حتى يرضى صاحبها بالسلامة منها . قال أبو عبيد : وهذا الشعر أراه قيل في ليالي صفين . انظر مجمع الأمثال للميداني ٢٩٩/٢ .

٧٥ ـ بدر بن الهيثم بن خالد بن عبد الرحمن [٨١ ب]

وقيل : بدر بن الهيثم بن نَصْر مولى بني هاشم الدِّمشقي .

حدَّث عن سليمان بن عبد الرحمن بسنده عن أبي هريرة قال :

قال رسول الله ﷺ : طاعة الإمام حقٌّ على المرء المسلم ، ما لم يأمر بمعصية الله ، فإذا أمر بمعصية الله عزَّ وجل فلا طاعة له .

٧٦ ـ بدر بن عبد الله أبو النَّجم

مولى المعتضد بالله المعروف بالحَمامي وبالكبير . قدم دمشق من مصر مَمِدًّا لأميرها طُغَجّ بن جُفّ الفَرْغاني في خلافة المكتفي من قبل الطُّولونية لما حاصر القِرْمِطِيّ دمشق ، فلقيه بكناكر ، فقتل القرمطي ، وانصرف إلى طبريَّة راجعاً إلى مصر ، ثم رجع من الطريق والياً على دمشق من قبل هارون بن خُمَارَوَيه بن أحمد بن طولون ، فقدمها في شعبان سنة تسعين ومئتين .

حدَّث أبو النَّجم بدر الكبير عن عبيد الله بن محمد بن رُمَاحِس بسنده عن أبي جرول زهير بن صُرَد الجُشَمي قال :

لما أسرنا رسول الله ﷺ يومَ حُنين يومَ هوازن ، وذهب يفرِّق السَّبي ، أتيته فأنشأت أقول : [من البسيط]

أَمْنُنْ علينا رسولَ الله في كَرَمٍ ... فإنَّك المرءُ نَرْجُوه ونَنتظِرُ

امْنُنْ على بَيْضَةٍ قد عاقَها قدرٌ ... مُشتَّتٌ شملُها في دهرِها غِيَرُ

أبقت لنا الحرب هتافاً على حزن ... على قلوبهم الغمَّاء والغمر

إنْ لم تداركْهم نعماءَ تنشرُها ... يا أرجحَ الناسِ حِلْماً حين يُختَبَرُ

أَمْنُنْ على نسوةٍ قد كنتَ ترضعها ... إذْ فُوكَ يَملؤهُ من مَحْضِها الدَّرَرُ

إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها ... وإذ يزينك ما تأتي وما تَذَرُ

لا تجعلنَّا كمن شالت نعامتُه ... واستَبْقِ منا فإنا معشر زُهرُ

[٨٢ أ] إنا لنشكر للنَّعماء إذا كُفِرت ... وعندنا بعد هذا اليوم مُدَّخَرُ

فألبس العفوَ مَنْ قد كنت تَرضعه ... من أمهاتك إن العفو مَشْتهرُ
يا خير مَنْ مَرَحَتْ كُمْتُ الجياد به ... عند الهياج إذا ما استوقد الشَّررُ
إنا نُؤمِّل عفواً منك تَلْبَسُهُ ... هذي البريَّةُ إذ تعفو وتنتصرُ
فاعفُ عفا الله عما أنت راهبُهُ ... يوم القيامة إذ يُهدى لك الظَّفَرُ[1]

فلما سمع هذا الشعر، قال ﷺ: ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم. وقالت قريش: ما كان لنا فهو لله ولرسوله، وقالت الأنصار: ما كان لنا فهو لله ولرسوله.

قال أبو نُعَيم الحافظ[2]:

بدر الأمير أبو النجم، قدم أصبهان سنة ثلاث وثمانين ومئتين لإخراج عمر بن عبد العزيز أخي أحمد بن عبد العزيز إلى مدينة السلام، وقدمها أيضاً واليها عليها سنة خمس وتسعين ومئتين في رمضان، فتولاها إلى صفر من سنة ثلاث مئة، وكان عاد لأحسن السيرة، منَعَ من نزول الجند في الدُّور إلا بالكِراءِ الوافي، وكان يقرِّب أهل العلم، ويرفع منهم.

وقال أبو نُعيم أيضاً:

كان عبداً صالحاً مُجابَ الدَّعوة.

قال أبو بكر الخطيب[3]:

ولي بدر الإمارة في بلدان جليلة، وكان له من السلطان منزلة كبيرة، وتولَّى الأعمال بمصر مع ابن طولون، إلى أن فسد أمر ابن طولون وقُتل، فقدم بدر بغداد، فأقام بها مدَّة، ثم ولاَّه السلطان بلاد فارس، فخرج إلى عمله وأقام هناك إلى أن تُوفي.

حدَّث جَحْظَة قال:

كنت بحضرة المعتضد ذات يوم، فأمرني أن أغنِّي صوتاً فغنيت، ثم استعاده دفعة أخرى، وطرب له طرباً شديداً، فأمر لي بمئة درهم، وقال: عرِّجوا به على بدر - يريد

---

(١) الأبيات في تاريخ بغداد ١٠٦/٧، والروض الأنف للسهيلي ٢٠٦/٢.

(٢) في أخبار أصبهان ٢٢٩/١.

(٣) في تاريخ بغداد ١٠٥/٧.

صاحب جيشه ـ فقلت : لعله أن يوجد مما أطلق لي حقّ الجراية ، فلما وثب أمير المؤمنين حملني الخادم إلى قصر بدر ، فرأيت مجلساً أحسن من مجلس الخليفة ، وفيه من الغناء طرائقه ، فلما رآني وثب وأجلسني في دَسْته[1] [٨٢ / ب] وقال له الخادم : هذه تحفة أمير المؤمنين ، فأكرمني ، فغنيّته ثلاثة أصوات ، فلما سمعهنّ أمر لي بمئة ألف درهم ، وعشرة تخوت[2] ثياب ، وشهْريّة[3] ليّنِ الركوب ، وغلام أسود . وانصرفت وعدت إلى مجلس أمير المؤمنين في الغد ، فغنيته صوتاً فأطربه ، فأمر لي بالجائزة فقلت : يا أمير المؤمنين ويعرج بي علي بدر ، فقال : ذلك لا يعاود .

قال إسماعيل بن علي الخُطَبي :

ورد الخبر في ربيع الأول سنة إحدى عشرة وثلاث مئة بموت بدر غلام ابن طولون المعروف ببدر الحمامي[4] ، وكان أميراً على بلاد فارس كلها وكورها ، وقد طالت أيامه بها ، وصلحت بمكانه ، والسلطان حامد لأمره فيها ، وشاكر إلى مكانه بها ، فورد الخبر بوفاته ، وأن ابنه محمداً قام بالأمر هناك ، وسكن الناس ، وضبط ما تهيأ له ضبطه ، فأمر السلطان أن يكتب إليه بالولاية مكان أبيه ، وتأمَّر على بلاد فارس ، وأطاعه الناس .

وقيل : مات بدر بشيراز وهو أمير على فارس .

٧٧ ـ بدر بن عبد الله أبو النَّجم الأرمني التاجر

المعروف بالشّيحي . عتيق عبد المحسن بن محمد . قدم دمشق دفْعات .

حدّث عن أبي محمد الصَّريفيني بسنده عن شعبة عن ثابت قال :

كان أنس ينعت لنا صلاة رسول الله ﷺ ، ثم يقوم فيصلي فإذا قال : سمع الله لمن حمده ، يقوم حتى نقول قد نسي .

---

(١) الدست : صدر المجلس .

(٢) تخوت : جمع تخت وهو وعاء تصان فيه الثياب .

(٣) انظر تعريف الشّهْري ص ٢٣١ تعليق (٢) .

(٤) ذكر المصنف في حاشية الأصل ما نصُّه : رأيت هنا حاشية أنَّ بدراً هذا صاحب جيش المعتضد لا الحمامي .

توفي بدر ببغداد في ليلة السبت التاسع من رمضان سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة .

٧٨ ـ بُدَيح مولى عبد الله بن جعفر

من أهل المدينة .

حدث بُدَيح قال :

كان عبد الله بن جعفر يحدثنا قال : فأقبل علي بن أبي طالب من سَفَر ، فلقيناه غِلْمة من بني عبد المطلب ، فينا الحسن والحسين ، فلما دَفعنا إليه تناولني فضمَّني إليه ، فقال : يابن أخي إني مُعلِّمك كلمات [٨٣ / أ] سمعتُهنَّ من رسول الله ﷺ ، من قالهنَّ عند وفاته دخل الجنة : لا إله إلا الله الحليم الكريم ـ ثلاث مرات ـ الحمد لله رب العالمين ـ ثلاث مرات ـ تبارك الذي بيده المُلْك يحيي ويُميت وهو على كل شيء قدير .

وعن بُدَيحٍ :

أن عبد الله بن جعفر قَدِم على عبد الملك بن مروان ، فأهدى له رقيقاً من رقيق المدينة ، فقال له يحيى بن الحكم وهو عنده : إنما أهدَيْتَ لأمير المؤمنين وَحْشاً من وَحْش رقيق الحجاز ، وقال له يحيى بن الحكم : ما فعلت خَبْثَة ـ يعني المدينة ؟ قال له عبد الله بن جعفر : سماها رسول الله ﷺ طَيْبَة وسميتها خَبْثَة !

وفي رواية :

خالفتَ رسول الله ﷺ ، ما أرى اللهَ إلا سيخالف بينك وبينه .

قال أبو الحسن المدائني :

دخل عبد الله بن جعفر على معاوية ومعه بُدَيح ، فقال لبُديح : هات بعض هَنَاتك ، فغنَّى ، فحرك معاوية رِجْليه ، فقال ابن جعفر : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : إن الكريم طروب .

قال الأصمعي :

قال الوليد بن عبد الملك لبُدَيح : خُذْ بنا في المُنى ، فو الله لأغلبنَّك قال : لا تغلبُني . قال : بلى لأفعلنّ ، قال : فستعلم ، قال الوليد : فإني أبداً أتمنَّى ضعف ما تتمنَّى أنت فهات ،

قال : فإني أتمنّى سبعين كِفْلاً من العذاب ، ويلعنّي الله لَعْناً كبيراً ، فعليك ضِعْف ذلك .
قال : غلبتني قبّحك الله .

٧٩ ـ بَديع بن عبد الله أبو الحسن مولى المَيَانَجي

حدّث عن مولاه القاضي أبي بكر يوسف بن القاسم المَيَانَجي بسنده عن ابن عباس قال ؟ قال رسول الله ﷺ :

أحبُّوني لحبِّ الله عز وجل ، وأحبُّوا أهل بيتي لحُبِّي .

٨٠ ـ بُرْدْ بن سِنَان أبو العلاء القرشي

مولاهم من أهل دمشق سكن البصرة .

حدّث عن نافع عن ابن عمر :

أنه كان [٨٣ / ب] يُؤَاجِر أرضه حتى ذَكر رافع بن خَدِيج أن النبيَّ ﷺ نَهى عن كِراء الأرضين ، فترك ذلك .

وحدّث بُرْد بن سِنَان عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله :

أن جبريل أتى النبي ﷺ يعلّمه الصلاة ، فجاء جبريل حين زالت الشمس ، فتقدم جبريل ، ورسول الله ﷺ خلفه ، والناس خلف رسول الله ﷺ ، فصلّى الظهر ، ثم جاءه حين صار الظّل كأنه مثل شخص الرجل ، فتقدّم جبريل ، ورسول الله ﷺ خلفه ، والناس خلف رسول الله ﷺ ، فصلى العصر ، ثم جاءه جبريل حين وَجبت الشمس ، فتقدّم جبريل ، ورسول الله ﷺ خلفه ، ثم جاءه حين غاب الشَّفَق ، فتقدّم جبريل ، ورسول الله ﷺ خلفه ، والناس خلف رسول لله ﷺ ، فصلّى المغرب ، ثم جاءه حين غاب الشَّفَق ، فتقدم جبريل ورسول الله ﷺ خلفه ، والناس خلف رسول الله ﷺ ، فصلّى العشاء ، ثم أتاه اليوم الثاني جبريل حين صار الظّل كأنه مثل شخص الرجل ، فتقدّم جبريل ، ورسول الله ﷺ خلفه ، والناس خلف رسول الله ﷺ ، فصلى الظهر ، ثم جاءه حين صار الظّل مثل الرجل ، فتقدّم جبريل ورسول الله ﷺ خلفه ، والناس خلف رسول الله ﷺ ، فصلّى

العصر ، ثم جاءه حين وجَبَت الشمس لوقت واحد ، فتقدَّم جبريل ورسول الله ﷺ خلفه ، والناس خلف رسول ﷺ فصلى المغرب . قال : ثم قمنا نحو ثلث الليل ، فتقدم جبريل ورسول الله ﷺ خلفه ، والناس خلف رسول الله ﷺ ، فصلى العشاء الآخرة ، ثم جاءه حين أضاء الفجر وأضاء الصبح ، فتقدم جبريل ورسول الله ﷺ خلفه ، والناس خلف رسول الله ﷺ ، وصلَّى الغداة ، ثم قال : ما بين صلاتين وقت . قال : [٨٤ / أ] فسأل رجل رسول الله ﷺ عن الصلاة ؟ فصلى بهم كما صلى به جبريل ، ثم قال : أين السائل عن الصلاة ؟ ما بين الصلاتين وقت .

توفي بُرد بن سِنَان سنة خمس وثلاثين ومئة .

ووثَّقه قوم ، وضعَّفه آخرون قليلون ، وكان قَدَرِيّاً .

٨١ ـ بركات بن عبد العزيز بن الحسين

ابن أحمد ، أبو الحسن بن أبي محمد الأنماطي ، كان مستوراً حافظاً للقرآن ، ولم يكن الحديث من شأنه .

حدَّث عن أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

تجوَّزوا في الصلاة فإن خلفكم الضَّعيف والكبير وذا الحاجة .

ولد بركات ليلة نصف شعبان سنة خمس وأربعين وأربع مئة بدمشق . قال : وكان شيخاً مُغَفَّلاً .

حكى أبو الحسين القيسي أنه قال له :

إن الناس يقولون : إن صلاتي كافرة ، فقال له : إنما يقولون إنها بِدْعة . فقال : هو هذا . وكان يُديم الخروج إلى مغارة الدَّم ، ويصلي بمن يكون فيها النوافل جماعةً ، ولم يفرِّق بين بِدْعَة وكافرة ، وحُكي أنَّه كان يُعمِّم الصبيان يوم العيد .

توفي يوم السبت ثامن عشر من رمضان سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة .

٨٢ ـ بركات بن عبد الواحد بن محمد بن عَمْرو

ابن حُمَيد بن صَدَقة بن مُعْترف الهمذاني الدّمشقي سكن مصر .

حدَّث عن عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم بسنده عن عثمان بن عفان قال : قال رسول الله ﷺ : من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة .

٨٣ ـ بركات بن علي بن الحسين بن مسعود أبو سعد

الأَرْدَبيليّ . قدم دمشق مع أخيه أبي عمرو مسعود سنة إحدى وثمانين وأربع مئة .

أنشد أبو سعد بركات لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القُشَيري :

[من الكامل]

وإذا سَقيتُ من المحبَّـــة جرعـــةً ... ألقيتُ منْ فرطِ الخُمار خماري
كم ثَبتُ جهـــداً ثم لاحَ عـــذارُهُ ... فخلعتُ من ذاكَ العـــذارِ عـــذاري

[٨٤ / ب]

٨٤ ـ بُرْكَةُ الأُرْدُنّيّ ويقال : الأَزْديّ

قال :

توضَّأ مكحول في منزلي ، فأتيتـه بمنـديل ، فـأبى أن يتمنـدل ، وتمسَّح ببُرْقـةِ قَبـائـه[1] وقال : إنَّ فضل الوضوء بَرَكة ؛ وأنا أحبُّ أن لا تعدوَ البركةُ ثوبي .

بُرْكةُ بضم الباء وتسكين الراء .

٨٥ ـ بُرَيْدة بن الحُصَيْب بن عبد الله بن الحارث

ابن الأعرج بن سعد بن رِزاح بن عديّ بن سَهْم بن مازن بن الحارث بن سَلامان بن أسلم بن أفْصَى ، أبو عبد الله ، ويقال : أبو سهل ، ويقال : أبو ساسان ، ويقال : أبو الحُصَيب الأسلمي ، صاحب سيِّدنا رسول الله ﷺ .

---

(١) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب ، والبرقة الطرف الغليظ منه .

أسلم حين اجتاز به النبيﷺ مهاجراً إلى المدينة ، وشهد غزوة خَيْبر ، وأبلى يومئذ ، وشهد فتح مكة ، وكان معه أحدَ لواءَيْ أسْلَم ، واستعمله النبي ﷺ على صدقات قومه ؛ وكان يحمل لواءَ أسامة لَمّا بعثه النبي ﷺ إلى أرض البلْقاء بطلب قَتَلة أبيه بمؤتة[1] . وخرج مع عُمر إلى الشام لما رجع من سَرْغ أميراً على رُبْع أسلم[2] .

حدّث بُريدة الأسلمي

أنَّ النبي ﷺ كان لا يتطيَّر من شيء وكان إذا بعثَ عاملاً سأل عن اسمه ؛ فإن أعجبه فرح بذلك ورُئي بِشْرُ ذلك في وجهه ؛ وإنْ كرِهَ اسمه رُئي كراهيةُ ذلك في وجهه .

روى بُريدة

أنه دخل على معاوية رجلٌ يتناولُ علياً ويقع فيه ؛ قال فقال : يا معاوية ، تأذن لي في الكلام ؟ قال فقال : تكلَّمْ ـ وهو يرى أنه سيقول مثل ما قال صاحبه ـ فقال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : إني لأَرْجُو أنْ أشفعَ عددَ كُلِّ شجرةٍ ومَدَرة . [٨٥ أ] أفترجوها أنت يا معاوية ولا يَرْجُوها عليّ ؟ قال فقال : اسْكُتْ ، فإنك شيخٌ قد ذهبَ عقْلُك .

قال أحمد بن سنان :

نزل بُريدة بن الحُصيب الأسلمي مَرْو عن أمر رسول الله ﷺ حتى قال له : كن في بَعْث المشرق ، ثم في بَعْث خراسان ، ثم اسكُنْ مدينة مَرْو . فقدِمها ، وأقام بها إلى أن توفي . وأوصى أن لا يُدفنَ على جادَّة . فحفر له على جادَّة ، فسقط ، ثم تنحَّوْا به عن الجادَّة ، فدفنوه في زمن معاوية ؛ وله عَقِبٌ من ولده .

ودفن بمَرْو رجلان من أصحابِ سيدنا رسولِ الله ﷺ : بُريدة والحكَمَ الغِفاريّ .

قال أحمد بن عثمان ـ وهو ابن الطُّوسي :

بُريدة اسمه عامر بن حُصيب ، بضم الحاء المهملة وفتح الصاد المهملة .

وقيل :

إنَّ بريدة مات في زمَنِ يزيدَ بن معاوية سنة اثنتين أو ثلاثٍ وستين . حدَّث بُريدة

---

(١) انظر خبر بعث أسامة طبقات ابن سعد ١٨٩/٢ .

(٢) سَرْغ : موضع في أول الحجاز وآخر الشام بين المُغيثة وتبوك من منازل حاج الشام . انظر معجم البلدان .

قال : كانَتْ قُريش جعلت مئةً من الإبل لمن يأخذُ نبيَّ الله ﷺ فيردّه عليهم حين توجّه إلى المدينة . فركب بُريدة في سبعين راكباً من أهل بيته من بني سَهْم ، فتلقّى نبيَّ الله ﷺ ، فقال نبيُّ الله ﷺ : من أنت ؟ قال : بُريدة . فالتفتَ إلى أبي بكر فقال : يا أبا بكر ، بَرَد أمْرُنا وصَلُح[1] ؛ قال : ثم ممّن ؟ قال : مِنْ أسلم ؛ قال لأبي بكر : سَلِمنا . قال : ثُمَّ ممّن ؟ قال : من بني سَهْم . قال : خرجَ سَهْمُك . قال : وكان رسولُ الله ﷺ لا يتطيَّر ، ولكن يتفاءل . وفي رواية : قال بُريدة للنبيِّ ﷺ : فمن أنت ؟ قال : أنا محمد بن عبد الله ، رسولُ الله . فقال بُريدة : أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنك عبدُهُ ورسوله . فأسلم بُريدة وأسلمَ الذين معه جميعاً ، فلما أنْ أصبحَ قال بُريدة للنبيِّ ﷺ : لا تدخلِ المدينةَ إلاّ معك لواء . قال : فحلَّ عمامته ثم شدَّها برمح ، ثم مشى بين يديه حتى دخل المدينة ؛ فقال بُريدة : يا رسول الله تنزلُ عليّ ؟ قال : أما إنَّ ناقتي هذه مَأمورة . قال : فسارَتْ حتى وقفتْ على باب أبي أيُّوب [٨٥ ب] فبركت . قال بُريدة : الحمد لله الذي أسلمَتْ بنو سَهْمٍ طائعين غير مكرهين .

حدّث محمد بن عمر الواقدي عمن ذكره من شيوخه قال : قال أبو بكر الصديق :

يا رسول الله ، نعم الرجلُ بُريدةُ لقومه ، عظيم البركةِ عليهم ، مرَرْنا به ليلةَ مررنا ونحن مهاجرون إلى المدينة ، فأسلم معه من قومه مَنْ أسلم . فقال : رسولُ الله ﷺ : نِعْمَ الرجلُ بُريدة لقومه وعِزٌّ قومه ، إنَّ خير القومِ من كان مدافعاً عن قومه ما لَمْ يأثَمْ ، فإنَّ الآثِمَ لا خيْرَ فيه .

وغزا بُريدة مع النبي ﷺ ستَّ عشرةَ غزوة .

حدّث بُريدة قال :

شَهدتُ مع رسول الله ﷺ فَتْحَ خَيْبَر ، فكنتُ فيمن صعِد الثُّلْمة ، فقاتلت حتى رأى بلائي ومكاني ، وأبليتُ وعليَّ ثوبٌ أحمر ، وما علمتُ أني ركبت في الإسلام ذنباً أعظم منه للشُّهرَة .

---

(١) برد : أي سَهُل .

حدَّث بُريدة قال :

لما كان يومُ خيبر أخذ اللواء أبو بكر ، فرجع ولم يفتح له ، فلما كان الغد أخذه عمر ، فرجع ولم يفتح له ، وقتل محمود بن مسلمة[1] . فرجع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : لأدفعنَّ لوائي غداً إلى رجلٍ يحبُّ الله ورسولَه ويحبُّه الله ورسوله ، لن يرجع حتى يُفتح له . فبتنا طيِّبةً أنفسُنا أنَّ الفتح غداً . فصلَّى رسولُ الله ﷺ صلاةَ الغداة ، ثم دعا باللواء ، وقام قائماً ؛ فما منَّا من رجلٍ له منزلةٌ من رسول الله ﷺ إلاَّ يرجو أنْ يكون ذلك الرجل ؛ حتى تطاولتُ أنا لها ، فدفعتُ رأسي لمنزلةٍ كانَتْ لي منه ؛ فدعا عليٌّ بنَ أبي طالب وهو يشتكي عينه . قال : فسحها ثم دفع إليه اللواء ؛ وقال بُريدة : إنه كان صاحب مَرْحب[2] .

وعن بُريدة قال : قال لي رسول الله ﷺ وللحكم الغفاري :

أنتما عينانِ لأهلِ المشرق ، وبكما يُحشر أهل المشرق . فقدِما مرو وماتا بها .

وعنه :

أنَّ النبي ﷺ قال له : يا بُريدة إنَّه لا يَكِلُّ بَصَرُك ، ولا يذهبُ سَمْعُك ، أنت نورٌ لأهلِ المَشْرِق .

[٨٦ أ] وعن ابن بُريدة قال :

كان بُريدةُ رُبُعَ الإسلام . قال أبو عبد الله : وإنما يعني بقوله رُبع الإسلام ، أن يكونَ الأولَ رسولُ الله ﷺ ، والثاني أبو بكر ، والثالثَ عامرُ بن فُهَيْرة مولى أبي بكر ، والرابعَ بُريدةُ الأسلميّ[3] .

حدَّث رجلٌ من بكر بن وائل قال :

كنت مع بُريدةَ الأسلميّ بسِجِسْتان ، قال : فجعلت أُعرِّضُ بعليٍّ وعثمان وطلحةَ والزُّبير لأستخرجَ رأيه ؛ قال : فاستقبل القبلةَ ، فرفع يديه فقال : اللهمَّ اغْفِرْ لعثمان ،

---

(١) في الأصل (محمود بن سلمة) وهو تصحيف . انظر ترجمة محمود بن مسلمة في الإصابة ٧٨٢٢ ، وانظر خبر قتل محمود في سيرة ابن هشام ٣٣٠/٢ والطبري ٩/٣ .

(٢) هو مرحب اليهودي الذي قتله علي رضي الله عنه . انظر الطبري ١٢/٣ ، ١٣ .

(٣) وقد قال : (ربع الإسلام) أيضاً عمرو بن عبسة ، انظر ص ٢٥٦ من هذا الجزء . واللسان (ربع) .

واغفرْ لعليٍّ بن أبي طالب ، واغفر لطلحةَ بن عبيد الله[1] ، واغفرْ للزُّبير بنِ العوام . قال : ثم أقبلَ عليٌّ فقال لي : لا أبا لك ، أتُراك قاتلي !؟ قال فقلت : والله ما أريد قتلك ، ولكن هذا أردتُ منك . قال : قومٌ سبقَتْ لهم من الله سوابق ، فإنْ يشأْ يغفرْ لهم بما سبق لهم ، وإن يشأْ يعذبهم بما أحدثوا فَعَل . حسابُهم على الله عزَّ وجلَّ[2] .

وكان بُريدة يقول :

لا عيشَ إلا طِرادُ الخَيْل للخيل .

قال عبدُ الله بن مَوَلَة :

بينا أنا أسيرُ بالأهواز على دابَّةٍ لي ، فإذا بين يديَّ رجلٌ على دابَّةٍ له وهو يقول : اللهمَّ ذهبَ قَرْني من هذه الأُمَّة ، اللهمَّ ألحِقْني بهم . فلحقتُه فقلتُ له : وأنا معك يرحمُكَ الله . قال : اللهم وصاحبي هذا إنْ أرادَ ذلك ؛ قال : يا بن أخي ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : خيرُ أُمَّتي قرن بُعثتُ فيهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم .

قال بعضُ رواته :

ولا أدري ذكر الثالثة أمْ لا . ثم يظهر فيهم السِّمَن ، ويُزْهقون الشهادةَ ولا يسألونها .

قال : فإذا الرجلُ بُريدة .

قال عبد الله بن بُريدة :

مات والدي بمرو ، وقبرهُ بحصين ؛ وهو قائد أهل المشرق يوم القيامة ونورهم .

قال لي بُريدة : قال النبيُّ ﷺ :

أيما رجلٍ من أصحابي مات ببلدةٍ فهو قائدهم ونورُهم يومَ القيامة[3] .

---

(١) في الأصل : (طلحة بن عبد الله) وهو تصحيف .

(٢) الخبر عند ابن سعد في الطبقات ٢٤٣/٤ .

(٣) قال ابن سعد في الطبقات ٨/٧ : توفي بريدة سنة ثلاث وستين في خلافة يزيد بن معاوية .

٨٦ ـ بُريد الكلبّي ثم العُلَيميّ

والد البِطريق بن بُريد[١]

حدث عن أبيه أو عن عمّه الوليد ـ شكّ ـ [٨٦ ب] قال :

كنت بالمدينة ، فأصابتنا عكّة[٢] أوفى النـاسُ منهـا على جَبَل سَلْع ، يلتمسون الرَّوْح[٣] فجلستُ إلى شيخ قد جلس النـاسُ إليـه ، كأنّ رأسـه ولحيتـه ثَغـامـة[٤] ، فسلّمتُ ؛ فقـال : ممّن ؟ فانتسبتُ له ، فقال : ومن أيّ الأجنـاد ؟ فقلت : من الشـام . فقـال : والله يـا أخـا أهلِ الشـام ، ليخرجنّ إليكم الروم ، فليخرجنكم منهـا كَفْراً كَفْراً ، وليقفنّ فـوارسُ من الروم على جَبَلنا هذا ؛ فليتشمّرْ أهلُ المدينة ، ثم لينزلنّ اللهُ نصرَه .

٨٧ ـ بُسْرُ بن أَرْطاة

ويقال : ابن أبي أرطاة ، عُمير بن عُويمر بن عمران بن الحُليس بن سيَّار بن نزار بن مَعِيص بن عامر بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر ، أبو عبد الرحمن العامريّ .

له صحبة ؛ ويقال : لا صحبةَ له . وسكن دمشق ، وشهد صِفِّين مع معـاويـة ، وكان على رجّالةِ أهلِ دمشق . وولاّهُ معاويةُ اليمن ، وكانت له بها آثار غير محمودة .

وقيل : إنه خَرِفَ قبل موته .

روى عن النبي ﷺ حديثين .

رُوي عن بُسْر بن أرطاة :

أنـه كانَ يـدعو كُلّما ارتحل : اللهمّ إنّـا نستعينُـكَ على أمرنـا كُلّـه ، فـأحسِنْ عَوْنَـك ، ونسألُكَ خَيْرَ المَحْيا وخير الممات . فقـال لـه عُبيـدة المليكي : أَمِنَ النبّي ﷺ سمعتهـا ؟ قـال

---

(١) انظر ترجمة البطريق ص ٢٣٠ من هذا الجزء .

(٢) العكة : مثلثة العين ، شدة الحر مع سكون الريح .

(٣) الروح : برد نسيم الريح .

(٤) الثغامة : شجرة تبيضُّ كأنها الثلج ، تنبت في الجبل ، يشبَّه بها الشيب .

بُسر : نعم ، كان النبي ﷺ يدعو بها . وكان بُسْرٌ كلما ارتحل يقول : إنّا مرتحلون وربُّنا محمود .

قال الحافظ :

هذا إسنادٌ غريب ، ومتْنٌ غير محفوظ ، والمحفوظ عن بُسر بن أبي أرطاة ، أنه سمع النبيَّ ﷺ يدعو : اللّهم أحسِنْ عاقبتي في الأمورِ كُلِّها ، وأجِرْني من خِزْيِ الدنيا وعذابِ الآخرة .

وعن جُنادة بن أبي أمية

أنه قال على المنبر برُودِس[1] حين جلَدَ الرجلَيْن اللذين سرقا غنائمَ الناسِ فقال : إنه لَمْ يمنَعْني من قطعِهما إلاّ أنّ بُسْر بن [٨٧ / أ] أبي أرطاة وجد رجلاً سرق في الغزو يقال له مصدر ، فجلده ولم يقطع يده وقال : نهانا رسول الله ﷺ عن القطع في الغزو .

وحدّث بُسْر أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول :

لا تُقطَع الأيدي في الغزو[2].

قال الواقدي :

وُلد بُسْر قبل وفاةِ النبيِّ ﷺ بسنتَيْن ، وقُبض النبيُّ ﷺ وهو صغير . وأنكر أن يكون روى عن النبيِّ ﷺ روايةً أو سماعاً .

وغيره يقول :

أدرك النبيَّ ﷺ ، وروى عنه ، وكان يسكنُ الشام ، وبقي إلى خلافةِ عبدِ الملك بنِ مروان .

وأمُّه بنت الأبرص بن الحُلَيس بن سيَّار بن نزار بن مَعيص بن عامر بن لؤي . فوَلد بُسْر الوَليد لأم ولدٍ . وشهد بُسْرٌ فَتْحَ مصر ، واختطَّ بها ؛ وله بمصر دار بُسْر ، وحمَّام بُسْر . وكان من شيعة معاوية ، وشهد معه صِفّين . وكان معاوية وجَّهَه إلى اليمن والحجاز في أوّلِ سنةِ أربعين ؛ وأمره أنْ يتقرّى من كان في طاعة علي فيوقع بهم ، ففعلَ بمكة والمدينةِ واليَمن

---

(١) رُودِس : جزيرة في البحر ، مقابل الاسكندرية ، على ليلة منها في البحر ، ضبطها بعضهم بالذال المعجمة ، وقال شارح القاموس : بالمهملة أشهر . وانظر معجم البلدان .

(٢) لفظ الترمذي : « لا يقطع » بالياء . كتاب الحدود ١٤٧٤ .

أفعالاً قبيحة . وقد ولي البحر لمعاوية ، وكان وُسوِسَ في آخر أيامه ، وكان إذا لقي إنساناً قال : أين شيخي ؟ أين عثمان ؟ ويسُلُّ سيفه ؛ فلما رأوا ذلك جعلوا له في جَفْنه سيفاً من خشَب ، فكان إذا ضرب به لم يضرّ[1].

قال أبو الحسن الدارَقُطْنيّ :

بُسْر بن أبي أرطاة له صُحبة ولَمْ يكنْ له استقامة بعد النبي ﷺ .

قال العلاء بنُ سفيان :

غزا بُسْر بن أرطاة الروم ، فجعلَتْ ساقَتُهُ لا يزالُ يصاب منها طَرَف ، فجعل يلتمس أن يصيب الذين يلتمسون عَوْرة ساقَتِه فَيكْمُن لهم الكمين ، فيُصَاب الكمين ، فجعلَتْ يُعوِّنُه تلك لا تصيبُ ولا تظفر ؛ فلمَّا رأى ذلك تخلَّف في مئةٍ من جيشه ، ثم جعل يتأخَّر حتى تخلَّف وحده ، فبينا هو يسيرُ في بعضِ أودية الروم إذْ رفع إلى قرية ذات جوز كثير ، وإذا براذينُ مُرَبَّطة بالجوز ثلاثين بِرْذَوْناً ، والكنيسة إلى جانبهم ، فيها فُرسانُ تلك البراذين الذين كانوا يعقبونه في ساقَتِه ؛ فنزل عن فرسه [٨٧ / ب] ، فربَطَه معَ تلك البراذين ، ثم مضى حتى أتى الكنيسة فدخلها ، ثم أغلق عليه وعليهم بابَها ، فجعلتِ الروم تعجبُ من إغلاقه وهو وحده ؛ فما استقلُّوا إلى رماحهم حتى صرع ثلاثة ، وفقدَه أصحابُه ، فلاموا أنفسَهم وقالوا : إنكم لأهلٌ أنْ تُجْعَلوا مثلاً للناس ؛ إنَّ كبيرَكم خرج معكم فضيعتموه حتى هلك ، ولَمْ يهلِكْ منكم أحد ! فبينا هم يسيرون في ذلك الوادي حتى أتَوْا مرابطَ تلك البرَاذين ؛ فإذا فرسُه مربوطٌ معها ، فعرفوه ، وسمعوا الجَلَبة في الكنيسة فأتوها ، فإذا بابُها مغلق ، فبلغُوا طائفةٌ من سقفها ، فنزلوا عليهم وهو ممسكٌ طائفةً من أمعائه بيدِه اليُسْرى والسيفَ بيده اليمنَى ؛ فلمَّا تمكَّن أصحابُه في الكنيسة سقط بُسْرٌ مغشيّاً عليه ؛ فأقبلوا على مَنْ كان بقي فأسروه وقَبلوا[2]. فأقبلت عليهم الأسارى فقالوا : ننشُدكم الله ، مَنْ هذا الذي دخل علينا ؟! قالوا : بُسْر بن أرطاة . فقالوا : ما ولدتِ النساءُ مثلَه . فعَمدُوا إلى مِعاه فردُّوه في

---

(١) وقد ذكر ابن الأثير في تاريخه ٣٨٥/٣ أنه لما سمع أمير المؤمنين ـ يعني علياً ـ بقتل ابني عبيد الله بن عباس جزع جزعاً شديداً ، ودعا على بسر فقال : اللهمَّ اسلبه دينه وعقله .

(٢) قبلوا : بمعنى أقبلوا (لسان) .

جوفه ، ولم يخرق منه شيء ، ثم عصبُوه بعمائمهم ، وحملوه على شِقِّه الذي ليست به جراح ، حتى أتوا به العسكر فخاطوه ، فسلِمَ وعُوفي .

قال أيُّوب بن ميسرة بن حَلْبَس :

كان بُسْر بن أرطاة على شاتيةٍ بأرض الروم ، قال : فوافق يومَ الأضحى ؛ فالتمسوا الضحايا فلم يجدوها ، فقام في الناس يوم الأضحى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيُّها الناس ، إنَّا قد التمسنا الضحايا اليوم والتَمَسُوها ، فلم نقدر منها على شيء ـ قال : وكانت معه نجيبةٌ له يشرب لبنها لَقُوح[1] ـ ولم نجد شيئاً نضحي به إلا هذه النجيبة ، فأنا مضحٍّ بها عني وعنكم ، فإن الإمام أبٌ وولَد[2]. ثم قام فنحرها فقال : اللهمَّ تقبَّلْ من بُسْرٍ ومن بنيه . ثم قسموا لحمها بين الأجناد ، حتى صار له منها جُزْءٌ من الأجزاء مع الناس .

وعن شُرَيح بن عُبيد أن بُسْر بن أرطاة قال :

والله ما عزمتُ على قوم قط عزيمةً إلاَّ استغفرتُ [٨٨ / أ] لهم حينئذٍ ثم قلت : اللهمَّ لا حرجَ عليهم .

روى الشعبيُّ :

أن معاوية بن أبي سفيان أرسل بُسْرَ بن أبي أرطاة القرشيّ ثم العامري في جيش من الشام ، فسار حتى قدِم المدينة ، وعليها يومئذ أبو أيُّوب خالد بن زيد الأنصاري صاحبُ النبي ﷺ ؛ فهرب منه أبو أيُّوب إلى عليٍّ بالكوفة . فصعِد بُسْرٌ منبر المدينة ، ولَمْ يقاتِلْهُ بها أحد ، فجعل ينادي : يا دينار ، يا زُرَيق ، يا نجَّار[3]، شيخٌ سَمْحٌ عهدته ها هنا بالأمس ـ يعني عثمانَ رضي الله عنه ـ وجعل يقول : يا أهل المدينة ، والله لولا ما عهِدَ إليَّ أمير المؤمنين ، ما تركت بها محتلماً إلا قتلته . وبايع أهلُ المدينة لمعاوية . وأرسل إلى بني سلمة فقال : لا والله ما لكم عندي من أمان ولا مبايعة حتى تأتوني بجابر بن عبد الله صاحبِ النبيِّ ﷺ . فخرج جابر بن عبد الله حتى دخل على أُمِّ سلمة خفيّاً فقال لها : يا أُمَّه ! إني

---

(١) اللقوح : الناقة الحلوب ، أو التي نتجت أول نتاجها إلى شهرين أو ثلاثة ، ثم يقع عنها اسم اللقوح فيقال : هي لبون . (تاج ، لقح) .

(٢) لفظ ابن عساكر في الجزء المطبوع من المجلدة العاشرة ص ٩ : (أب ووالد) .

(٣) قال ابن الأثير في تاريخه ٣٨٢/٣ : (وهذه بطون الأنصار) .

قد خشيت على ديني ، وهذه بيعةُ ضلالة . فقالت له : أرى أن تبايع ، فقد أمرتُ ابني عُمر بن أبي سلمة أن يبايع . فخرج جابرُ بن عبد الله فبايع بُسْرَ بن أبي أرطاة لمعاوية . وهدم بُسْرٌ دوراً كثيرة بالمدينة ، ثم خرج حتى أتى مكة ، فخافه أبو موسى الأشعريُّ وهو يومئذٍ بمكة ، فتنحَّى عنه ، فبلغ ذلك بُسْراً فقال : ما كُنتُ لأُوذِيَ أبا موسى ، ما أعْرَفني بحقِّه وفضله ! ثم مضى إلى اليمن ، وعليها يومئذٍ عُبيد الله بن العبَّاس بن عبد المطَّلب عاملاً لعليِّ بن أبي طالب . فلمَّا بلغ عُبيدَ الله أن بُسْراً قد توجَّه إليه هرب إلى عليّ ، واستخلف عبدَ الله بن عبد المَدان المُرادي . وكانَتْ عائشة بنت عبد الله بن عبد المَدان قد وَلَدَتْ من عُبيد الله غلامين من أحسنِ صبيان الناس وأوضئِه وأنظفه ، وهما عبد الرحمن وقُثَم ، فذبحهما ذبحاً . وكانَتْ أمُّهما قد هامَتْ بهما وكادت تُخالَطُ في عقلها . وكانت تنشُدهما في المَوْسم في كل عام تقول : [من البسيط]

هـا مَنْ أحسَّ بُنَيَّيَّ اللـذَيْن هُما ... كالدُّرَّتين تجلّى عنهما الصَّدَفُ [٨٨ / ب]
هـا مَنْ أحسَّ بُنَيَّيَّ اللـذَيْن هُما ... سمعي وقلبي فقلبي اليـومَ مُخْتطَفُ
هـا مَنْ أحسَّ بُنَيَّيَّ اللـذَيْن هُما ... مُخُّ العظامِ فَمُخّي اليوم مُزْدَهَفُ[1]
حدثت بُسْراً وما صِدَّقْتُ ما زعموا ... مِنْ قولهم ومن الإفكِ الذي وصفوا
أنحَى على ودَجَيْ إبنيَّ مُرْهَفَةٌ ... مشحوذةٌ وكذاكَ الإثْمُ يُقترَفُ[2]
مَنْ ذا لوالهةٍ حَرَّى مفجَّعةٍ ... على صبيَّيْن ضلاًّ إذْ غدا السَّلَفُ[3]

قال : فلمَّا بلغ علياً رضي الله عنه مَسيرُ بُسْرٍ وما صنع ، بعث في عَقِب بُسْر بعد منصرَفِه من الشام جاريةَ بن قدامة السعدي ؛ فجعل لا يلقى أحداً خلعَ علياً إلا قتله وأحرقه بالنار حتى انتهى إلى اليمن ؛ فلذلك سمَّت العرب جاريةَ بنَ قدامة محرِّقاً .

قال أبو سعيد بنُ يونس :

ويقال : إن أُمَّ عبد الرحمن وقُثم ابني عُبيد الله بن العباس جُوَيرية بنت قارظ

---

(١) يقال : أزهفه فلان وازدهفه : أي ذهب به وأهلكه . وقيل : إن حقيقة الازدهاف استطارة القلب من جزع أو حزن . (لسان ، زهف) .

(٢) يقال : أنحيت على حلقه السكين ، أي عرضت . والبيت في اللسان .

(٣) الأبيات في تاريخ ابن الأثير ٣٨٤/٣ ، ٣٨٥ . وهي في الأغاني طبعة الساسي ٤٥/١٥ ، وبلاغات النساء ١٨٤ ، والكامل للمبرد ٣٦/٤ ، ٣٧ على خلاف في الرواية . وأورد صاحب الاستيعاب أربعة أبيات منها .

الكنانية . وكان عُبيد الله بن العباس قد جعل ابنيه هـذيْن عبـدَ الرحمن وقُثم عنـد رجلٍ من بني كنـانـة ، وكانـا صغيرَيْن ؛ فلما انتهى بُسْرٌ إلى بني كنـانـة بعث إليهما ليقتلَهما ، فلمـا رأى ذلك الكنانيّ دخلَ بيتـه ، وأخـذ السيفَ ثم خرج يشتـدّ عليهم بسيفـه حـاسراً وهو يقول : [من الرجز]

الليثُ مَنْ يمنـعُ حـــافـــاتِ الـــدّار ولا يـزال مصلتـــــاً دون الجـــــار
ألاَ فتىً أروع غير غدّار

فقال له بُسْر : ثكلتك أُمُّك ، والله مـا أردنـا قتلَـك ، فلِمَ عرَّضتَ نفسـك للقتل ؟! فقـال : أُقتل دون جاري ، فعسى أُعْذَرُ عند الله وعند الناس . فضرب بسيفـه حتى قُتل . وقـدَّم بُسْرٌ الغُلامَيْن فذبحهما ذبحاً ؛ فخرج نسوةٌ من بني كنانة ، فقالت منهنَّ قائلـة : يـا هـذا ، هـذا[1] الرجال قتلت فعلامَ تقتلُ الوِلْـدان ، والله مـا كانوا يُقتلون في جـاهليـةٍ ولا إسلام ، والله إنَّ سلطـانـاً لا يقـومُ إلا بقتـل الضَّرَعِ الصغير ، والمِـدْرهِ الكبير[2] ، وبرفـع الرحمـة ، وعقـوق الأرحـام ، لَسُلطـانُ سَوْء . فقـال لهـا بُسْر : [٨٩ / أ] والله لهممتُ أن أضعَ فيكنَّ السيف . فقالت : تالله إنها لأختُ التي صنعت ، وما أنا لهـا منـك بـآمنـة . ثم قـالت للنسـاء واللائي حولها : وَيْحَكُنَّ تفرَّقْن . فقالت جُويرية أُمُّ الغلامَيْن : امرأة عُبيد الله بن العبـاس تبكيهما وذكرت الأبيات بعينها .

قال هشام الكلبي :

مَنْ قال إنَّ أُمَّهما عائشةُ بنت عبد الله بن عبد المَدَان بن الـديَّـان فقـد أخطـأ ، لم تلِـدْ عائشةُ الحارثية إلا ابنه العباسِ وابنته العالية .

قال واهب بن عبد الله المَعَافريّ :

قدمتُ المدينة فأتيتُ منزلَ زينبَ بنتِ فاطمة بنت عليٍّ لأسلِّمَ عليها ، فدخلتُ عليهـا الدار ، فإذا عندها جماعةٌ عظيمة ، وإذا هي جالسة مُسْفِرة ، وإذا امرأةٌ ليستْ بالجليلـة ، ولم تطعن في السن ؛ فـاحتملتني الحميَّـةُ والغضبُ لهـا فقلت : سبحـان الله ! قَـدْرُكِ قَـدْرُك ،

---

(١) كذا الأصل ، ولفظ ابن عساكر في تاريخه ١٣/١٠ : (يا هذا هذه الرجال) .

(٢) الضرع : بالتحريك . الصغير من كل شيء ، والمدره : زعيم القوم .

ومَوْضِعُكِ موضعك ، وأنت تجلسين للناس كما أرى مسفرة ؟! فقالت : إنَّ لي قصة ، قال : قلت : وما تلك القصة ؟ قالت : لما كان أيام الحرَّة ، وفَدَ أهلُ الشام المدينة ، وفعلوا فيها ما فعلوا ، وكان لي يومئذ ابنٌ قد ناهز الاحتلام . قالت : فلَمْ أشعُرْ به يوماً وأنا جالسةٌ في منزلي إلاَّ وهو يسعى وبُسْرُ بن أرطاة يسعى خَلْفَه حتى دخل عليَّ فألقى نفسَهُ عليَّ وهو يبكي ، يكادُ البكاءُ أن يفلق كبده ، فقال لي بُسر : ادفعيه إليّ : فأنا خَيْرٌ له . قالت : فقلت له : اذهَبْ مع عَمِّك ، قالت : فقال[1]: لا والله لا أذهبُ معه يا أُمَّة ، هو والله قاتلي . قالت فقلت : أترى عمك يقتلك !؟ لا ، اذهب معه . قالت[1] فقال : لا والله يا أُمَّة لا أذهب معه هو والله قاتلي . قالت : وهو يبكي يكاد البكاء أن يفلق كبده ، قالت : فلم أزل أرفق به وأسكته حتى سكن . قالت : ثم قال لي بسر : ادفعيه إليَّ فأنا خير له ؛ قالت فقلت : اذهبْ مع عمك ، قالت : فقام فذهب معه ، قالت : فلما خرج من باب الدار قال للغلام : امشِ بين يديّ ، قالت : وإذا بُسْرٌ قد اشتمل على السيف فيما بينه وبين ثيابه ؛ فلمَّا ظهر إلى السِّكة ، رفع بُسْرٌ ثيابَهُ وشهر السيف [٨٩ / ب] عليه من خلفه ثم علاهُ به ، فلَمْ يزَلْ يضربُه حتى بَرَد . قالت : فجاءتني الصيحة : أدركي ابنَكِ قد قُطع . قالت : فقمتُ أتعثَّرُ في ثيابي ، ما معي عقلي . قالت : فإذا جماعةٌ قد أطافوا به ، وإذا هو قتيل قد قُطع ، قالت : فألقيتُ نفسي عليه ، وأمرتُ به يُحمل . قالت : فجعلت على نفسي من يومئذ لله أنْ لا أستتر من أحد ، لأن بُسْراً هو أول من هتك ستري وأخرجني للناس ، فالله حَسِيبُه .

٨٨ ـ بُسْرُ بن عبيد الله الحضرميّ

روى عن أبي إدريس الخَوْلاني قال : حدَّثني النَّواس بن سَمْعان الكلابي قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول :

ما مِنْ قلبٍ إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن جلَّ وعزَّ ، إنْ شاء أقامَه ، وإنْ شاء أزاغه .

---

(١) في الأصل : قال فقال .

وكان رسولُ الله ﷺ يقول :

يـا مقلِّب القلوب ثَبِّت قلوبنـا على دينـك . قـال : والميزانُ بيـد الرحمن عزَّ وجـلَّ ، يرفعُ أقواماً ، ويضعُ آخرين إلى يوم القيامة .

وعن بُسْر قال : سمعتُ أبا إدريس الخَوْلانيَّ يقـول : سمعتُ واثلـة بن الأسقـع يقـول : سمعتُ أبا مرثد الغَنَويَّ يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول :

لا تجلِسُوا على القبور ، ولا تُصَلُّوا إليها .

٨٩ ـ بَشَّار بن أحمد بن محمد أبو الرَّجاء

الأصبهاني ، الحاج ، القصَّار ، الصُّوفي . قـدِمَ دمشق طـالبَ عِلْم في سنـة تسع وسبعين وأربع مئة بعد منصرفه من الحجّ .

حدث عن أبي عمرو عبد الوهَّاب بن أبي عبد الله بن مَنْدَه بسـنده ، عن ابن عباس قال :

بينما رجلٌ واقفٌ مع رسول الله ﷺ بعرفة ؛ فأَوْقَصَتْهُ راحلتـه فمـات[1] . فقـال رسولُ الله ﷺ : اغسلوهُ بماءٍ وسِدْر ، وكَفِّنوه في ثَوْبَيْن ، ولا تُحَنِّطوه ولا تخمِّروه ، فإنَّ الله يبعثُه يومَ القيامة ملبِّيا . وقيل : مُلَبِّداً . [٩٠ أ]

٩٠ ـ بُشْرَى بن عبد الله الرُّوحيُّ الرَّمْليّ

الخادم مولى المقتدر بالله . قدم دمشق .

حدث عن عليِّ بن [عبد][2] الحميد الغَضَائريّ قال : حدَّثنا أحمد بن علي الخوَّاص . قال :

رأيتُ يحيى بن أكثم القـاضي في المنـام ، فقلت لـه : مـا فعلَ الله بـك ؟ قـال : أوقفني ووبَّخني ؛ فلحقني ما يلحق العبدُ بَيْن يدي سيِّـده ؛ وقـال : يـا شيخَ السَّوْء ، لولا شيبَتُـك

---

(١) أوقصته : دقَّت منه العنق ، أي كسرتها .

(٢) في الأصل : (عن علي بن حميد) وما أثبتناه من التاريخ وأنساب السمعاني .

لحرَّقتك بالنار . فقلت : ما هكذا حُدِّثنا عنك . قال : فبِمَ حُدِّثْتَ عني ؟ قال : حدَّثنا عبدُ الرزَّاق عن مَعْمَر ، عن الزُّهْري ، عن أنس ، عن النبيِّ ﷺ ، عن جبريل ، عنك أنك قلت : ما مِنْ عبدٍ يشيبُ في الإسلام فأعذِّبه بالنار . فقال : صدقَ عبدُ الرزاق ، صدق مَعْمَر ، صدق الزُّهْريّ ، صدق أنس ، صدق محمد نبيِّي ، صدق جبريل . انطلقوا به إلى الجنة .

٩١ - بِشْر بن إبراهيم أبو سعيد القُرَشيّ

ويقال : أبو عمرو الأنصاريّ ، المفلوج ، من أهل دمشق . سكنَ البصرة .

روى عن الأوزاعيِّ بسنده عن عائشة عن رسولِ الله ﷺ قال :

ما أذنبَ عبدٌ ذنباً فساءَهُ إلاَّ غَفَر الله له وإنْ لَمْ يستغفِرْ منه .

وروى عن ثور بن يزيد بسنده عن أبي أمامة قال : قال رسولُ الله ﷺ :

رُبَّ عابدٍ جاهل ، ورُبَّ عالمٍ فاجر ؛ فاحذروا الجُهَّال من العُبَّاد ، والفُجَّار من العلماء ، فإنَّ أولئك فتنةُ الفُتَنَاء .

وحدَّث عن الأوزاعي بسنده عن واثلة بن الأسقع اللَّيْثيّ

أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا أراد الحاجة أوثق في خاتمه خيطاً .

وروى عن ثَوْر بن يزيد بسنده ، عن معاذِ بن جَبَلٍ عن النبيِّ ﷺ قال :

ما أزْينَ الحِلْمَ لأهله .

٩٢ - بِشْر بن بكر أبو عبد الله من أهل دمشق

سكن تِنِّيس[1]

حدَّث عن الأوزاعيِّ بسنده ، عن أبي هريرة قال : قال رسولُ ﷺ : [٩٠ / ب]

طُهورُ إناءِ أحَدِكم إذا ولَغَ فيه الكلب ، أن يغسلَهُ سبعَ مرَّات ، أولاهُنَّ بالتُّراب .

---

(١) تِنِّيس : جزيرة في بحر مصر ، بين الفَرَما ودمياط . انظر معجم البلدان .

توفي بِشْر في دمياط في ذي القعدة سنة خمسٍ ومئتين ، وقيل : سنة مئتين .

٩٣ ـ بِشْر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء

ابن هِلال بن ماهان بن عبد الله ، أبو نَصْر المَرْوَزِيّ ، الزاهد ، المعروف بالحافي ، أحَدُ أولياء الله الصالحين ، والعُبَّاد السائحين . قدم الشام ، واجتاز بجبل لبنان .

قال بشر بن الحارث : سمعتُ العَوّامَ يذكر عن الزُّهْري ، عن أنس قال :
اتخذ النبيُّ ﷺ خاتماً فلبسه ثم ألقاه .

وحدّث عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بسنده ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ :
ثلاثٌ لا تفطِّر الصائم : الحِجامة ، والاحتلام ، والقَيء .

وكان بشرٌ ممَّنْ فاق أهلَ عصرِهِ في الوَرَع والزُّهْد . وتفرد بوفُورِ العقل ، وأنواع الفضل ، وحُسْنِ الطريقة ، واستقامةِ المذهب ، وعزوفِ النفس ، وإسقاطِ الفضُول . وسمع جماعة ، وكان كثيرَ الحديث إلاَّ أنَّهُ لم يُنَصِّب نفسَه للرواية ؛ وكان يكرهها ، ودَفنَ كتبه لأجل ذلك ؛ وكل ما سُمع منه فإنه على طريق المذاكرة .

كان أبو نصر بشرُ بن الحارث ابنَ أختِ عليِّ بن خَشْرم كبيرَ الشَّأن ؛ وكان سبب توبته أنَّهُ أصابَ في الطريق كاغذةً مكتوباً عليها اسمُ الله وطئَتْها الأقدام ، فأخذها واشترى بدرهم كان معه غالية ، فطيَّب بها الكاغذةَ وجعلها في شقٍّ حائط ، فرأى فيما يرى النائمُ كأنَّ قائلاً قال له ، يا بشر طَيَّبتَ اسمي لأطيِّبَنَّ اسمَكَ في الدنيا والآخرة .

قال أيُّوب العطَّار :
كنتُ خارجاً من باب حَرْب[1] فلقيني بشر بن الحارث وقال : يا أيُّوب انظُر إلى جميلِ ما يُنشَر وقبيح ما يُسْتَر ، كنتُ اليومَ خارجاً من باب حَرْب فلقيني رجلان ، فقال أحَدُهما لصاحبه : هذا بشر الذي يصلِّي كُلَّ ليلة ألف ركعة ، ويواصل في كل ثلاثة أيام

---

(١) باب حرب : محلة مشهورة ببغداد ، وفي مقبرة باب حرب أحمد بن حنبل وبشر الحافي . انظر معجم البلدان (الحربية) .

والله يا أيُّوب ما صلَّيْتُ [٩١ / أ] ألف ركعة مكاناً واحداً ، ولا واصلتُ ثلاثاً قطُّ ، إلاَّ أني أحدِّثُكَ عن بَدْءِ أمري . قلت : نعم ، فقال : دعاني رجل من أهل الرَّبَض ؛ فبينا أنا أمضي إليه رأيت قرطاساً على وجه الأرض ، فيه اسمُ الله تعالى ؛ فأخذته ونزلتُ إلى النهر ، فغسلته ، وكنت لا أملك من الدنيا إلا درهماً فيه خمسةُ دوانيق ، فاشتريتُ بأربعة دوانيق مسكاً وبدانق ماءَ ورد ؛ وجعلتُ أتتبع اسم الله تعالى فأطيبَه . ثم رجعتُ إلى منزلي فنمت ؛ فأتاني آتٍ في منامي فقال لي : يا بشر ، كما طيَّبْتَ اسمي لأطيِّبنَّ ذكرك ، وكما طهَّرْتَهُ لأطهرنَّ قَلْبَك .

قال بشر بن الحارث :

أتيت باب المعافى بن عمران ، فدققت الباب ، فقيل لي : من ؟ فقلت بشر الحافي . فقالت لي بُنَيَّةٌ من داخل الدار : لو اشتريتَ نعلاً بدانقين لذهب عنك اسم الحافي .

قال أبو الحسين للحسن بن عمرو :

سمعت بشراً وجاء[1] إليه أصحابُ الحديث يوماً وأنا حاضر ، فقال لهم بشر : ما هذا الذي أرى معكم قد أظهرتموه ؟ قالوا : يا أبا نصر ، نطلب هذه العلوم ، لعلَّ اللهَ ينفعُ بها يوما . قال : علمتم أنه يجبُ عليكم فيها زكاة كما يجبُ على أحدكم إذا ملك مئتي درهم : خمسة دراهم ؛ فكذلك يجب على أحدكم إذا سمع مئتي حديث أن يعملَ منها بخمسة أحاديث ؛ وإلاَّ فانظروا أيش يكون عليكم هذا غداً .

قال البَيْهقيّ :

لعله أرادَ من الأحاديث التي وردَتْ في الترغيب في النوافل ؛ وأما في الواجبات فيجب العملُ بجميعها .

حدَّث قاسم بن إسماعيل بن علي قال :

كنا بباب بِشْر بن الحارث ، فخرج إلينا فقلنا : يا أبا نصر ، تُحدِّثنا ؟ فقال : أتؤدُّون زكاة الحديث ؟ قال : قلنا : يا أبا نصر وللحديث زكاة ؟ قال : نعم ، إذا سمعتم عملاً أو صلاة أو تسبيحاً استعملتموه .

---

(١) في الأصل (وجاؤوا) .

قال محمد بن المثنى البزّاز :

قلت لِبشر بن الحارث : تذكّر بُكورنا إلى فلان وفلان المحدّث ؟ شكره الله لك ؛ قال : لا بل غفره الله لي .

قال بشر :

لو أن رجلاً كان عندي في مثال سفيان [٩١ / ب] ومعافى ، ثم جلس اليوم يحدّث ، ونصب نفسه لا نتقصّ عندي نقصاناً شديدا . قال بشر : إني وإنْ أدنيتُ الرجل وهو يحدّث ، فإنه عندي قبل أن يحدث أفضل كثيراً مَنْ كان من الناس ؛ وإنما الحديث اليوم طرف من طلب الدنيا وكدّه ؛ وما أدري كيف يسلم صاحبه ، وكيف يسلم من يحفظه ، لأي شيء يحفظه ! قال بشر : وإني لأدعو الله أن يذهبَ به من قلبي ، ويذهبَ بحفظه من قلبي ، وإنّ لي كتباً كثيرة قد ذهبت ، وأراها تطوى فيرمى بها فما آخذُها ، وإني لأهمُّ بدفنها كلها ، وأنا حيٌّ صحيح ، وما أكره ترك ذلك من خيرٍ عندي ، وما هو من سلاحِ الآخرة ولا من عدد الموت .

قيل لبشر بن الحارث :

يقولون إنّك لا تحفظ الحديث ! فقال : أنا أحفظُ حديثاً واحداً إذا عملتُ به فقد حفظت الحديث ؛ قال النبيُّ ﷺ : المسلم مَنْ سلمَ المسلمون من لسانِه ويده . حتى أفعل هذا وأحفظ الحديث .

قال أيُّوب العطار : سمعتُ بشر بن الحارث يقول :

حدّثنا حماد بن زيد ، ثم قال : أستغفر الله أن أذكرَ الإسناد ، في القلب خُيَلاء .

قال محمد بن المثنى السمسار :

كنا عند بشر بن الحارث وعنده العباس بن عبد العظيم العنبريّ ـ وكان من سادات المسلمين ـ فقال له : يا أبا نصر ، أنت رجل قد قرأت القرآن ، وكتبت الحديث ، فلِمَ لا تتعلم من العربية ما تعرف به اللَّحْن حتى لا تلحن ؟ قال : ومن يعلمني يا أبا الفضل ؟ قال : أنا يا أبا نصر ، قال : فافعَلْ ، قال : قُلْ ضربَ زيدٌ عمراً ، قال فقال له بشر : يا أخي ولِمَ ضَرَبَه ؟ قال : يا أبا نصر ما ضربَهُ وإنما هذا أصل وضع ، فقال بشر : هذا أولُه كذب ، لا حاجة لي فيه .

قال عمار :

رأيت الخَضِر عليه السلام فسألته عن بشر بن الحارث ؟ فقال : مات يوم مات ، وليس على ظهر الأرض أتقى لله منه .

قال بلال الخوّاص :

كنت في تيهِ بني إسرائيل ، فإذا رجلٌ يماشيني ، فتعجبت ! ثم أُلهمتُ أنه الخضر ، فقلت له : بحقِّ الحقِّ مَنْ أنت ؟ [٩٢ / أ] فقال : أخوك الخضر ، فقلت له : أريد أن أسألك ، فقال : سَلْ ، فقلت : ما تقول في الشافعيّ رحمه الله ؟ قال : هو من الأوتاد . فقلت : ما تقول في أحمد بن حنبل ؟ قال : رجل صِدِّيق قلت : فما تقول في بشر بن الحارث ؟ فقال : لم يخلف بعدَهُ مثله . فقلت : بأي وسيلة رأيتك ؟ فقال : ببِرِّكَ بأمك .

سأل إنسانٌ أبا خيثمة عن الرجل إذا دخل المسجد الجامع يوم الجمعة ، كم يصلّي ؟ قال : هذا بشر بن الحارث ، بلغني أنه إذا دخل المسجد الجامع صلّى ركعتَيْن ثم لَمْ يزدْ عليهما حتى يصلّي الجمعة وينصرف .

قال إبراهيم الحَرْبيّ :

ما أخرجَتْ بغدادُ أتمَّ عقلاً ولا أحفظ للسانٍ من بشر بن الحارث ، كان في كل شعرة عقل ، ووطِئَ الناسُ عَقِبَه خمسين سنةً ما عَرف له عيبةً لمسلم ؛ لو قسم عقلُه على أهل بغداد صاروا عقلاء ، وما نقص من عقله شيء .

قال بشر الحافي :

رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام فقال لي : يابشر ، تدري لِمَ رفعكَ الله من بين أقرانك ؟ قلت : لا يا رسول الله قال : باتِّباعك لسنتي وخدمتك للصالحين ، ونصيحتك لإخوانك ، ومحبتك لأصحابي وأهلِ بيتي ، هو الذي بلَّغَك منازلَ الأبرار .

قال بشر بن الحارث :

ما أنا بشيءٍ من عملي أوثق مني بحب أصحاب محمد ﷺ . وكان يقول : لو أنَّ الروم سَبتْ من المسلمين كذا وكذا ألفاً ، ثم فَدَاهم رجلٌ كان في قَلْبه سوءٌ لأصحابِ النبيِّ ﷺ ؛ لم ينفَعْهُ ذلك .

سُئل أحمدُ بن حنبل عن مسألة في الوَرَع ؟ فقال : أنا ، أستغفر الله ، لا يحل لي أن أتكلم في الورَع ، أنا آكلٌ من غَلّة بغداد ، لو كان بشرُ بن الحارث ، صلح أنْ يجيبَك عنه ، فإنه كان لا يأكلُ من غَلّة بغداد ، ولا من طعام السواد ، يصلُح [أنْ] يتكلم في الورع[1] .

كان بشر يقول :

إنّ الجوعَ يصفّي الفؤاد ، ويميتُ الهوى ، ويورثُ العِلْمَ الدقيق . وكان يقول : طوبى لمن ترك شهوةً حاضرةً لموعد غائب لَمْ يَرَه .

قال بشر بن الحارث :

ما تركتُ الشهواتِ منذ أربعين سنة إلا أنه لا يصفو لي درهمٌ حلال .

قال أبو حفص ابن أخت بشر بن الحارث : [٩٢ ب]

اشتهى بشر سَفَرْجَلة في عِلّته ، فقالت لي أمي : يابْني اطلُبْ لي سَفَرجلة . قال : فجئتُ بها ، فأخذها ، فجعل يشمُّها ، قال : ثم وضعها بين يديه . فقالت أمي : يا أبا نصر كُلْها ، قال : ما أطيبَ ريحها ! قال : فما زال يشمها حتى مات ، وما ذاقها .

قال عبد الوهاب :

مَا رأيتُ أحداً أقدرَ على تَرْك شهوةٍ من بشر الحافي .

وقال عبد الله الرضواني :

مَا رأيتُ أحداً من الزُّهّاد إلا وهو يذمُّ الدنيا ويأخذُ منها ، غير بشرِ بن الحارث ، فإنه كان يذمُّها ويفرُّ منها[2] .

قال أحمد بن المُغَلِّس :

سمعتُ أبا نصر بشراً وقد قال له رجل : يا أبا نصر ما أشدَّ حُبَّ الناسِ لك ! فغلُظَ ذلك عليه ، ثم قال : ولك عافاك الله ، قال : وكيف ؟ قال : دَعْ لهم ما في أيديهم . فذكرتُ لأبي نصر فقلت : حدّثنا إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس ، حدّثنا مالك عن

---

(١) ما بين معقوفين استدركناه من الجزء المطبوع من المجلدة العاشرة ص ٥٣ .

(٢) أورد ابن عساكر الخبر معزواً إلى حمزة البزاز بدلاً من عبد الله الرضواني ، انظر المجلدة العاشرة ص ٥٧ .

نافع ، عن ابن عمر قال : أتى رجل النبيَّ ﷺ فقال : يا رسول الله ، دُلَّني على عملٍ إذا أنا عملتُه أحبَّني الله من السماء ، وأحبَّني الناسُ من الأرضُ ؟ قال : فقال له النبيُّ ﷺ : ازهَدْ في الدنيا يحبَّك الله ، وازهَدْ فيما في أيدي الناس يحبَّكَ الناس . فرأيتُ أبا نصرٍ قد فرح به ، إذْ وافق قولُه سُنَّةَ رسولِ الله ﷺ .

كان بشر بن الحارث يقول :

ينبغي لنا أن لا نحبَّ هذه الدار ، لأنها دارٌ يُعصى الله فيها ، ووالله لو لم يكن منَّا إلاَّ أنَّا أحببْنا شيئاً أبغضه الله عز وجل لكفانا .

وكان يقول :

مَا عرف الخَلْقُ أفضلَ من شيئَيْن : الله والدنيا ؛ فإنهم إذا عرفوا الله اجتهدوا في طاعته ، وإذا عرفوا الدنيا اجتهدوا في تركها .

قال عليُّ بن عَثَّام :

أقام بشر بن الحارث بعَبَّادَان[1] عشر سنين يشربُ من البحر ، ولا يشرب من حياض السلاطين حتى أضرَّ [٩٣ / أ] بجوفه ؛ فرجع إلى أخته ، وأخذه وجَعٌ لا يقوم به إلا أختُه . وهو يتخذ المغازل فيبيعه ، وذلك كَسْبُه .

قال محمد بن يوسف الجَوْهريّ :

كنتُ أمشي مع بشر بن الحارث في يومٍ صائف ، منصرفاً من الجمعة ، فاجتزنا بسور دار إسحاقَ بنِ إبراهيم ، وله فيءٌ ، فجعلتُ أزْحَمُ بشراً إلى الفَيْء وهو يمشي في الشمس ، فقلت : لأسألنَّه ، أيُئِس الورع أن يمشيَ إنسانٌ في الشمس فيضُرَّ بنفسه ، فقلت : يا أبا نصر أنا أضطرُّك إلى الفَيْء وأنت تمشي في الشمس ! ؟ فقال مجيباً لي : هذا فَيْءُ سَوْء .

كان بشر لا ينام الليل ، تراه بالنهار كأنه مُهَوَّس[2] . فقيل له في ذلك ، فقال : أكرهُ أنْ يأتيَني أمْرُ الله وأنا نائم .

---

(١) عبَّادان : مدينة تقع على شط العرب جنوب شرقي العراق في إيران اليوم ، رابط فيها عباد بن حصين زمن الحجاج ونسبت إليه . انظر معجم البلدان .

(٢) المهوَّس : من يحدث نفسه (أساس البلاغة) .

قال أبو علي الدقّاق :

مرَّ بِشْرٌ ببعض الناس ، فقالوا : هذا الرجل لا ينامُ الليل كُلَّه ، ولا يُفطر إلاَّ في كُلِّ ثلاثةِ أيام مرة . فبكى بشر ، فقيل له في ذلك فقال : لا أذكرُ أني سهِرْتُ ليلةً كاملة ، ولا أني صمتُ يوماً ثم لَمْ أُفطِرْ من ليلته ، ولكنَّ الله سبحانه يُلْقي في القلوب أكثَرَ مما يفعلُه العبد ، لُطْفاً منه سبحانه وكرماً . ثم ذكر ابتداءَ أمره كيف كان ، كما ذكرناه .

قالت زُبْدَةُ أختُ بشر :

دَخل عليّ بشرٌ ليلةً من الليالي . فوضع إحدى رجليه داخل الدار ، والأخرى خارجها[1] ، وبقي كذلك يتفكَّرُ حتى أصبح ، فلمَّا أصبح وتهيَّأ للطهارة سألتُه وقلت : أقسمتُ عليك فبماذا تفكَّرْتَ طول ليلتك ؟ قال : تفكَّرتُ في بشر النَّصرانيْ ، وبشر اليهوديّ ، وبشر المجوسيّ ، ونفسي واسمي بشر ؛ فقلت : ما الذي سبق منك إليه حتى خصَّك ؟ فتفكَّرْتَ في تفضُّله عليّ ، ومِنَّته عليَّ في أنْ جعلني من خاصَّته ، وألبسني لباس أحبَّائه .

وقيل لبشر :

لِمَ لا تصلِّي في الصف الأول ؟ فقال : أنا أعلمُ أيش يريد ، يريدُ قُرْبَ القلوب لا قُرب الأجسام .

قال بشر بن الحارث :

أشتهي منذ أربعين ، أن أضع يداً على يد في الصلاة ما يمنعُني من ذلك إلاَّ أنْ أكون قد أظهرتُ من الخشوع ما ليس في قلبي مثلُه . [٩٣ ب]

قال أيُّوب العطار :

انصرفتُ مع بشر بن الحارث يومَ الجُمعة من مسجد الجامع ، فمَرَرْنا في درب أبي اللَّيْث ، وإذا صبيانٌ يلعبون بالجوز ، فلمَّا رأوا بشرَ بنَ الحارث قالوا : بشر بشر ، واستلبوا الجوز ومرُّوا يحضُرون ، فوقف بشرٌ ثمَّ قال لي : أيُّ قلبٍ يقوى على هذا ! ؟ إنَّ هذا لدربٌ لا مررتُ فيه حتى ألقى الله عز وجل .

---

١) في الأصل : خارج ، وما أثبتناه من التاريخ المجلدة العاشرة ص ٦١ .

قال محمد بن قدامة :

لَقي بشراً الحافي رجلاً سكران ، فجعل يُقبلُه ويقول : يا سيدي يا أبا نصر ، ولا يدفعُه بشرٌ عن نفسه ، فلمّا ولّى تغرغرَتْ عينا بشرٍ وقال : رجلٌ أحب رجلاً على خيرٍ توهّمَه ، لعلّ المُحِبّ قد نجا والمحبوبُ لا يدري ما حالُه .

وكان بشر يقول :

إذا أحبّ الله عزّ وجلّ أنْ يُتحِفَ العبدَ ، سلّط عليه مَنْ يؤذيه .

وكان يقول :

لا خير فيمن لا يُؤذى .

وكان يقول :

الصبْرُ الجميل الذي لا يشكو فيه إلى الناس . وكان يقول : مَنْ لم يحتمل الغمّ والأذى لَمْ يدخُلْ فيما يحبّ .

قال عُبيد الله الوراق :

خرجتُ يومَ جمعةٍ مع بشر بن الحارث إذْ دخل المسجد وعليه فَرْوٌ مُقَطَّع فردَّه العَوْن ، فذهبت لأكلمه ، فمنعني ، فجاء فجلس عند قُبّة الشعراء فقلت له يا أبا نصر لِمَ لَمْ تدَعْني أكلّمه ؟ قال : اسكُتْ ، سمعتُ المعافى بن عمران يقول : سمعتُ سفيانَ الثوريّ يقول : لا يذوقُ العبدُ حلاوةَ الإيمان ، حتى يأتيَهُ البلاءُ من كُلّ مكان .

قال محمد بن المثنى :

انصرفتُ مع بشر بن الحارث في يوم أضحى من المصلّى ، فلقي خالدَ بن خِداش المحدّث ، فسلّمَ عليه ، فقصّر بشرٌ في السلام ، فقال خالد : بيني وبينك مودّة مِنْ أكثر من ستين سنة ، ما تغيّرْتَ عليك ، فما هذا التغيُّر ؟ فقال بشر : ما ها هنا تغيُّر ولا تقصير ، ولكنْ هذا يومٌ يُستحبُّ فيه الهدايا ، وما عندي من عَرَضِ الدنيا شيءٌ أهدي لك ، وقد رُوي في الحديث : أنّ المسلمَيْن إذا التقيَا كانَ أكثرَهما ثواباً أبشُّهما بصاحبه . فتركتُكَ لتكون أفضلَ ثواباً .

كان ببغداد رجلٌ من التجار ، وكان كثيراً ما [٩٤ آ] يقَعُ في الصُّوفية ، قال : فَرُئي

بعد ذلك وقد صَحِبهم وأنفقَ عليهم جميعَ ما ملك . فقيل له : أليس كنت تبغضهم ؟ ! فقال : ليس الأمر على ما توهَّمْت ، وإني صلَّيتُ الجمعة يوماً وخرجتُ ، فرأيتُ بشر بنَ الحارثِ خرج من المسجد مسرعاً ، فقلت في نفسي : انظرْ إلى هذا الرجل الموصوف بالزُّهْد ، ليس يستقرُّ في المسجد ! قال : فتركتُ حاجتي فقلت : أنظرُ إلى أين يذهب ؟ قال : فتبعته ، فرأيته تقدَّمَ إلى الخبَّاز واشترى بدرهمٍ خبزَ الماء . قال : فقلت : انظُرْ إلى الرجل يشتهي خُبْزَ الماء ! ثم تقدَّم إلى الشَّواء فأعطاهُ درهماً وأخذ الشِّواء . قال : فزادني عليه غَيْظاً ! ثم تقدَّم إلى الحلاويّ فاشترى فالُوذجاً بدرهم[1] . فقلت في نفسي : والله لأنغصنَّ عليه حين يجلسُ ويأكل ؛ ثم خرج إلى الصحراء ، وأنا أقول : يريد الخَضْرةَ والماء . قال : فما زال يمشي إلى العصر وأنا خَلْفَه ، قال : فدخل قرية ، وفي القرية مسجد ، وفيه رجلٌ مريض ، قال : فجلس عند رأسه ، وجعل يلقمه ، قال : فقمت لأنظرَ إلى القرية ، فبقيتُ ساعةً ثم رجعتُ فقلت للعليل : أين بشر ؟ قال : ذهب إلى بغداد ، قال : فقلت : وكم بيني وبين بغداد ؟ فقال : أربعون فرسخاً ، فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أيش عملتُ بنفسي ! وليس معي ما أكتري ولا أقدرُ على المشي ، قال : اجلِسْ حتى يرجع ، قال : فجلست إلى الجمعة القابلة ؛ قال : فجاء بشر في ذلك الوقت ومعه شيءٌ يأكلُ المريض ، فلمَّا فرغ قال له : يا أبا نصر هذا رجلٌ صحِبَك من بغداد وبقي عندي منذ الجمعة ، فَرُدَّهُ إلى موضعه . قال : فنظر إليَّ كالمُغْضَب وقال : لمَ صحبتني ؟ قال : فقلت : أخطأت . قال : قم فامشِ . قال : فمَشَيْتُ إلى قرب المغرب . قال : فلما قربنا قال لي : أين محلَّتُك من بغداد ؟ قلت : في موضع كذا ، قال : اذهبْ ولا تعُدْ . قال : فتبتُ إلى الله وصحبتُهم وأنا على ذلك .

وكان بشر يقول :

مَن أحبَّ العِزَّ في الدنيا والشَّرَفَ في الآخرة ، فليكن فيه ثلاثُ خصال : لا يسألُ أحداً شيئاً ، ولا يذكُرُ أحداً بسُوء ، ولا يُجيبُ أحداً إلى طعامه . [٩٤ ب]

وكان بِشرٌ يقول :

لَو لَمْ يكن في القنوع إلا التمتُّع بالعِزِّ كفى صاحبه .

---

(١) الفالوذج : نوع من الحلوى الفارسية المركبة من طحين وسكر وليمون ، معربة عن الفارسية (بالودَك) . المعجم الذهبي ٤٢٣ .

قال رجلٌ لبشر بن الحارث :

يا أبا نصر ، لا أدري بأيّ شيء آكل خبزي ؟ قال : إذا أردت أن تأكلَ خبزك فاذكر العافية فاجعلها أُدْمَك .

قال بشر :

كُلَّما اشتهى رجلٌ لقاءَ رجل ذهب إليه . هذه فتنة ، ولذّةٌ يتلذّذونَ بلقاء بعضهم بعضاً . ينبغي للإنسان أن يُقبِلَ على نفسه وعلى القرآن .

وقال بشر :

إذا عُرفت في موضعٍ فاهرُبْ منه ، وإذا رأيتَ الرجل إذا اجتمعوا إليه في موضعٍ لزمه ، واشتهى ذلك فهو يُحبُّ الشهرة .

قال محمد بن نعيم بن الهَيْضم :

دخلتُ على بشر في عِلّته فقلت : عِظْني ، فقال : إنَّ في هذه الدار نملةً تجمع الحَبَّ في الصيف لتأكله في الشتاء ؛ فلمّا كان يومٌ أخذَتْ حبةً في فمها ، فجاء عصفورٌ فأخذَها والحبَّة ؛ فلا ما جمعَتْ أكلَتْ ، ولا ما أمّلَتْ نالَتْ . قلت له : زِدْني ، قال : ما تقولُ في مَنِ القَبْرُ مسكنُه ، والصراطُ جوازُه ، والقيامةُ موقفه ، واللهُ مسائله ، فلا يعلمُ إلى جنةٍ يصير فيُهَنَّى ، أو إلى نارٍ فيُعَزَّى ، فوا طُولَ حزناه ! وواعِظَم مصيبتاه ! زاد البُكَاء فلا عَزَاء ، واشتدَّ الخَوْفُ فلا أمْن . قال : وقال لي بِشْرٌ مراراً كثيرة : انظُرْ خُبْزَك من أين هو ؟ وانظُرْ إلى مسكنك الذي تتقلّبُ فيه كيف هو ؟ وأقِلَّ من معرفة الناس ، ولا تُحِبَّ أن تُحْمَد ، ولا تُحِبَّ الثناء .

كان بشر يقول :

لا تكادُ تضعُ يدَكَ إلاّ على مراءٍ ؛ إما مراءٍ بدين ، وإما مراءٍ بدنيا ، وهما جميعاً شَرُّ شيء ، فانظُرْ أشدَّ الناس توقّياً ، وأعفّهم وأطيبهم مكسَباً فجالِسْه ، ولا تجالسْ من لا يعينُكَ على آخرتك .

وقف بشر على أصحاب الفاكهة ، فجعل ينظرُ إليها ، فقيل له : يا أبا نصر لعلك تشتهي من هذا شيئاً ؟ قال : لا ولكن نظرتُ في هذا إذا كان يطعمُ هذا من يعصيه ، فكيف من يطيعُه ! .

قال بشرٌ الحافي لرجل :

احذَرْ أنْ تمرَّ في حاجتك ، فيأخُذَك وأنت لا تدري .

كان بشرٌ الحافي يقول :

أما [٩٥ آ] تستحي أنْ تطلبَ الدنيا ممَّنْ يطلبُ الدنيا ، اطلبها ممن بيدَيْه الدنيا .

قال الحسن الحنَّاط :

كنت عند بشر الحافي ، فجاءه نفر فسلَّموا عليه فقال : من أنتم ؟ قالوا : نحن من الشام جئنا نسلِّمُ عليك ونريدُ الحج ، فقال : شَكَر الله لكم . فقالوا : تخرجُ معنا ؟ فقال : بثلاثِ شرائط : لا نحملُ معنا شيئاً ؛ ولا نسألُ أحداً شيئاً ؛ وإنْ أعطانا أحَدٌ لا نقبل . قالوا : أمَّا أنْ لا نحمل فنَعَم ؛ وأمَّا أنْ لا نسأل فنَعَم ؛ وأما أنْ لا نقبل إنْ أُعطينا ؛ فهذا لا نستطيع . فقال : خرجتم متوكِّلين على زادِ الحجيج ! ثم قال : يا حَسَن ! الفقراءُ ثلاثة : فقيرٌ لا يسأل ، وإنْ أُعطي لا يأخذ ، فذلك من جملة الروحانيِّين . وفقيرٌ لا يسأل ، وإنْ أُعطي قَبِل ، فذلك ممَّنْ يوضَعُ له موائدُ في حظائر القدس . وفقير يسأل ، وإن أُعطي قبل قدر الكفاية ، فكفارته صدقه .

وكان بشر يقول :

الحلالُ لا يحتمل السَّرَف . وكان يقول : الأخذُ من الناس مذلَّة . وكان يقول : ليس هذا زمان اتخاذ الإخوان ، إنما هو زمانُ خمول ، ولزوم البيوت . وكان يقول : لا يجدُ من يُحِبُّ الدنيا حلاوةَ العبادة . وكان يقول : يأتي على الناس زمانٌ لا تقرُّ فيه عين حكيم . ويأتي على الناس زمانٌ تكونُ الدولة فيه للحَمْقى على الأكياس .

وقيل لبشر :

بالله يا أبا نصر ، أيُّهما أحلى الدنانير أو الدراهم ؟ قال : الطاعةُ واللهِ أحلى منهما جميعاً .

قال يحيى بن المختار : سمعتُ بشراً يقول :

ما ظَنُّكم بقومٍ وقفوا بين يدي الله عزَّ وجلَّ مقدار خمسين ألفَ عام لَمْ يأكلوا ولَمْ

يشربوا حتى قَحِلَتْ أجْوافُهم[1] من الجوع وانقطعت أكبادُهم من العطش ، واندقَّت أعناقهم من التطاول ، ورَجَوْا الفرج ، أمر بهم إلى النار ! .

وقال بشر :

سكونُ النفس إلى قَبُول المَدْح أشدُّ عليها من المعاصي .

وكان بشر يقول :

العداوة في القرابة ، والحسَد في الجيران ، والمنفعة في الإخوان .

وقيل لبشر :

العبادة لا تصلح إلاَّ بالصيام ، فقال : قد يصوم البَرُّ والفاجر ، فإن كنت [٩٥ ب] صائماً فاجتنبْ كثرة الكلام والغيبة ، وأطِبْ مطعمك لعلَّه أنْ يسلمَ لك صومك ، وإلا فاستخِر الله وكُلْ .

نظر بشر الحافي إلى حَدَثٍ جميل فقال : إنَّ الذي قَدَر على زينتك ، قادر على صرف القلوبِ عنك .

قال أحمد بن الفتح : قال لي بشر :

يا أحمد ، إنَّ قوماً غرَّهم سَتْر الله عز وجل ، وفتنهم حُسْن ثناءِ الناس عليهم ، فلا يغلبنَّ جهلُ غَيْرك بك على علمك بنفسك أعاذنا الله عزَّ وجلَّ وإيَّاك من الاغترار بالسِّتْر ، والاتكالِ على حُسْنِ الذِّكر .

كان بشر يقول :

النظَرُ إلى الأحمق سُخْنَةُ عَيْن ، والنظرُ إلى البخيل يُقسي القلب .

وكان يقول :

صاحب زَيْغ سخيٌّ أخفُّ على قلبي من عابدٍ بخيل . وكان يقول : بقاء[2] البخلاء كربٌ على قلوب المؤمنين . وكان يقول : البخيل لا غيبة له ، قال النبيُّ ﷺ : إنَّكَ

---

(١) أي يبست . يقال : قحِل : إذا التزق جلده بعظمه من الهزال والبلى .

(٢) لفظ ابن عساكر : (لقاء) في المطبوع ٧١/١٠ .

لبخيل . ومُدحتِ امرأةٌ عند النبي ﷺ فقالوا : صوّامةٌ قوّامة إلاّ أنّ فيها بُخْلاً . قال : فما خيرها إذاً . قال بشر : أيْ ليس فيها خير .

قال العباس بن يوسف : أنشدني بشر بن الحارث :

[من السريع]

بَرِمتُ بالنـاسِ وأخلاقِهم ... فصِرْتُ أستأنسُ بالوَحْدَهْ
هذا لعمري فِعْلُ أهلِ التُّقَى ... وفِعْلُ مَنْ يطلبُ ما عندَهْ
قد عرفَ اللهُ فذاكَ الذي ... آنسَهُ اللهُ به وحدَهْ

وكان بشرٌ يقول : حَسْبُك أنّ أقواماً موتى تحيا القلوبُ بذكرهم ، وأنّ أقواماً أحياء تقسو القلوبُ برؤيتهم .

وكان يقول :

ليس شيءٌ من أعمال البرّ أحبَّ إليّ من السخاء ، ولا أبغض إليّ من الضيق[1] وسُوءِ الخلق .

وأنشد بشر :

[من السريع]

أقسمُ[2] باللهِ لرَضْخُ النَّوى ... وشُرْبُ ماءِ القُلْبِ المالحَهْ
أعزُّ للإنسانِ من فقرهِ ... ومن سؤال الأوْجُهِ الكالحَهْ
فاستشعرِ اليأسَ تكنْ ذا غنى ... وترجعن بالصفقةِ الرابحَهْ
[٩٦ أ] فاليأس عزٌّ والتقى سُؤدُدٌ ... وشهوةُ النفس لها فاضحَهْ
مَنْ كانتِ الدنيا بهِ بَرَّةً ... فإنها يوماً له ذابحَهْ

وأنشد بشر في القناعة :

[من الوافر]

أفادتني القناعةُ أيَّ عزٍّ ... ولا عزاً أعزُّ من القناعَهْ

---

(١) لفظ ابن عساكر (من البخل) في المطبوع ٧٣/١٠ .

(٢) لفظ ابن عساكر (أقسمت) في نسخة أحمد الثالث وكامبردج .

فَخُذْ منهـــا لنف مـــــالٍ وصيِّرْ بعـدهـا التقـوى بضـاعَـهْ
تَحُـزْ حـــالين : تَغْنَى عن بخيـلٍ وتسعـدْ في الجِنـان بصبر سـاعَـهْ[1]

قال أبو عاصم المُتَطَبِّب :

سمعتُ بشر بن الحارث يتمثَّلُ بهذين البيتين ـ وهما لمحمود الورَّاق ـ فعجبْنا منه كيف بلغه هذان البيتان : [من مجزوء الرمل]

مُكْرِمُ الـــدنيـــا مُهـــانٌ مُسْتَـــذَلٌّ في القيـــامَـــهْ
والـــذي هـــانَتْ عليـــهِ فَلَـــهُ ثَمَّ كرامَـــهْ

قال أبو عبد الرحمن الزاهد رفيقُ بشر بن الحارث :

رأى صاحبٌ لنا ربَّ العِزَّة في النوم قبل موت بشرٍ بقليل فقال : قل لبشر بن الحارث : لو سجدتَ لي على الجَمْر ما كنت تكافئني بما نوَّهْتَ اسمَك في الناس .

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل :

مَات بشر سنة سبع وعشرين ومئتين قبل المعتصم بستة أيام ، وقد بلغ من السِّن خمساً وسبعين سنة ، وحُشر الناس بجنازته ، ورُئي أبو نصر التَّمار ، وعليُّ بن المَديني في جنازته ، وهما يصيحان : هذا والله شرفُ الدنيا قبل شرَفِ الآخرة . وذلك أنَّ بشراً خرجَتْ جنازته بعد صلاة الصبح ، وكان نهاراً صيفاً ، والنهارُ فيه طَوِيل ، ولَمْ يستقرَّ في القبر إلى العَتَمة .

وقال أبو حفص ابن أخت بشر :

كنتُ أسمعُ الجِنَّ تنوحُ على خالي في البيت الذي كان فيه غيرَ مَرَّة ، سمعتُ الجِنَّ تنوح عليه .

وقال خُشْنام ابن أخت بشر :

رأيتُ خالي بشراً في النوم فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ، وجعل يذكُر ما فعل الله من الكرامة . فقلت له : قال لك شيئاً ؟ فقال : نعم [٩٦ ب] فقلت له :

---

(١) الأبيات في تاريخ بغداد ٧٦/٧ .

ما قال لك ؟ قال : قال لي : يا بشر ما استحييتَ مني ، تخافُ ذلك الخوف كُلَّه على نفسٍ هي لي !.

قال الحسين بن إسماعيل المَحَاملي

رأيتُ القاساني في النوم فقلت : ما فعل الله بك ؟ فأوحى إليَّ أنه نجا بعد مدة . قلت : فما تقول في أحمد بن حنبل ؟ قال : غفر الله له . قلت : فبشر الحافي ؟ قال ذاك تُحيه[1] الكرامة من الله في كل يوم مرتيْن .

قال عاصم :

رأيت في المنام كأني قد دخلتُ دَرْب هشام ، فلقيني بشر بن الحارث ، فقلت : من أين ياأبا نصر ؟ قال من علِّيِّين ، قلت : ما فعل أحمد بن حنبل ؟ قال : تركتُ الساعةَ أحمد بن حنبل وعبد الوهاب الوراق بين يدي الله عزَّ وجلّ ، يأكلان ويشربان ويتنَّعمان . قلت : فأنت ؟ قال : علم الله عزَّ وجلَّ قِلَّةَ رغبتي في الطعام ، فأباحني النظر إليه .

قال أحمد بن الفتح :

رأيت أبا نصر بشر بن الحارث في منامي وهو قاعدٌ في بستان ، وبين يديه مائدة وهو يأكل منها ، فقلت له : ياأبا نصر ما فعل الله بك ؟ قال : رحمني وغفر لي ، وأباحني الجنَّة بأسرها وقال لي : كُلْ من جميع ثمارها واشربْ من أنهارها ، وتمتَّعْ بجميع ما فيها كما كنت تحرمُ نفسك الشهوات في دار الدنيا . فقلت له : زادك ياأبا نصر ، فأين أخوك أحمد بن حنبل ؟ فقال : هو قائمٌ على باب الجنة ، يشفع لأهل السُّنَّةِ ممَّن يقول القرآنُ كلامُ الله غيْر مخلوق . فقلت : ما فعل معروف الكرخي ؟ فحرك رأسه ثم قال لي : هيهات هيهات ، حالَتْ بيننا وبينه الحُجب ، إن معروفاً لَمْ يعبدِ الله شوقاً إلى جنته ، ولا خوفاً من ناره ، وإنما عبدَهُ شوقاً إليه ، فرفعه الله إلى الرَّقيع الأعلى[2] ، ورفع الحُجبَ بينه وبينه ، ذلك التِّرياقُ المُقْدِسي المُجَرَّب . فمن كانت له إلى الله حاجة ، فليأتِ قبره وليدعْ ، فإنه يستجاب له إنْ شاء الله .

---

(١) كذا الأصل ، وفي التاريخ ٨٠/١٠ (تحييه) .

(٢) كل سماء يقال رقيع ، ومنه قول النبي ﷺ لسعد بن معاذ رضي الله عنه حين حكم في بني قريظة : « حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة » فجاء به على التذكير كأنه ذهب إلى معنى السقف . (لسان) .

قال الحسين بن مروان :

رأيتُ بشراً في النوم فقلت : ياأبا نصر ، ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر الله لي ، وغفر لمن تبعَ جنازتي ، قال : فقلت : ففيمَ العمل ؟ فأخرج كِسْرةً ثم قال : انظر في هذه الكسرة . [٩٧ / أ]

وقال القاسم بن مُنَبِّه :

رأيتُ بشراً في النوم فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي وقال لي : يابشر قد غفرت لك ولكلٍّ من تَبِعَ جنازتك ، فقلت : يارب ولكل من أحبَّني ؟ فقال : ولكلٍّ من أحبَّكَ إلى يوم القيامة .

قال إسحاق بن محمد :

لما مات بشر بن الحارث رآه بعض العلماء واقفاً بين يدي الله عزَّ وجلَّ ، فقال الله : يابشر قد غفرت لك ولجميع من حضر جنازتك ، ولسبعين ألفاً ممَّنْ سمعوا بموتك .

قال أبو العباس القُرشي :

أتيتُ أبا نصر التَّمار بعد موت بشر بن الحارث بأيامٍ نعزِّيه ، فقال لنا أبو نصر : رأيته البارحةَ في النوم في أحسنِ هيئة ، فقلت له : ما صنع بك ربك ؟ قال : قد استحييتُ من ربي من كثرة ما أعطاني من الخير ، وكان فيما أعطاني أنْ غفر لمن تبعَ جنازتي .

قال أحمد بن الدَّوْرقي :

مات جارٌ لي ، فرأيته في الليل وعليه حُلَّتان قد كُسي ، فقلت : أيش قصتك ما هذا ؟ قال : دُفن في مقبرتنا بشر بن الحارث ، فكُسيَ أهلُ المقبرة حُلَّتَيْن حُلَّتين .

قال مؤذِّن بشر بن الحارث :

رأيت بشراً في المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ، قلت : ما فعل بأحمد بن حنبل ؟ فقال : غفر له ، فقلت : ما فعل بأبي نصر التَّمار ؟ قال : هيهات ، ذلك في عِلِّيِّين ، فقلت : بماذا نال ما لَمْ تنالاه ؟ فقال : بفقرة وصَبْرَه على بَنَيَّاته .

قال محمد بن خُزيمة :

لما مات أحمدُ بن حنبل اغتممتُ غمّاً شديداً ، فبتُّ في ليلتي ، رأيته في المنام وهو

يتبختر في مشيته ، فقلت : ياأبا عبد الله ، أيُّ مِشيةٍ هذه ؟ فقال : مِشيةُ الخُدَّام في دار السلام ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي وتوَّجني ، وألبسني نعلَيْن من ذهب ، فقال : ياأحمد ، هذا بقوْلك : إنَّ القرآن كلامي ، ثم قال لي : ياأحمد ، ادعني بتلكَ الدَّعَواتِ التي بلغَتْكَ عن الثَّوْريّ ، كنتَ تدعو بها في دار الدنيا ، فقلت : ياربِّ كلُّ شيء ، فقيل : هيهِ ، فقلت : بقدرتك على كل شيء ، فقال لي : صدقت ، فقلت : لا تسألني عن شيء ، واغفرْ لي كُلَّ شيء [٩٧ / ب] قال : قد فعلت . ثم قال : ياأحمد هذه الجنة قُمْ فادخُلْ إليها . فدخلتُ فإذا بسفيانَ الثوريّ وله جناحان أخضران يطير بهما من نخلة إلى نخلة ويقول : ﴿ الحمدُ لله الذي صدَقَنا وَعْدَهُ وأورثنا الأرضَ نَتَبَوَّأُ من الجَنَّةِ حيثُ نشاءُ ، فنعمَ أجْرُ العاملين ﴾[1] فقلت له : ما فعل عبد الوهاب الورَّاق ؟ قال تركته في بحرٍ من نور ، في زَلالٍّ[2] من نور يُزارُ به إلى الملك الغفور ، قال : قلت له : فما فعل بشر ؟ يعني ابنَ الحارث ـ فقال لي : بخٍ بخٍ ! ومَنْ مِثْلُ بشر ! تركته بين يدي الجليل وبين يديه مائدة من الطعام ، والجليلُ مقبلٌ عليه وهو يقول : كُلْ يا مَنْ لم تأكُلْ ، واشربْ يا مَنْ لم تشرب ، وانْعَمْ يا مَنْ لمْ تتنعَّمْ في دار الدنيا . قال : فأصبحتُ ، فتصدَّقت بعشرة آلاف درهم .

٩٤ ـ بشر بن أبي حَفْص

ويقال : ابن أبي جعفر الكندي الدمشقي .

حدث عن مكحول أنَّ رسول الله ﷺ قال لبلال :

ألاَ لا تغادرْ صيامَ الاثْنَيْن ، فإني ولدتُ يومَ الاثنين ، وأُوحي إليَّ يوم الاثنين ، وهاجرت يوم الاثنين ، وأموتُ يوم الاثنين .

---

(١) الزمر ٣٩ الآية ٧٤ .

(٢) زلال كشدَّاد : ضرب من السفن النهرية السريعة الحركة ، كانت معروفة في بغداد في أيام الخلفاء ويسمى أيضاً (الزلالة) . انظر الديارات للشابشتي ٢٤ و ٤٩ .

٩٥ ـ بِشر بن حُميد بن أبي مريم المُزَنيّ المدنيّ

قال بشر بن حُميد : سمعتُ عمر بن عبد العزيز يقول في خلافته بخُناصِرة[١] :

سمعتُ بالمدينة والناسُ بها يومئذٍ كثير ، من مشيخة المهاجرين والأنصار أنَّ حوائطَ النبي ﷺ ـ يعني السبعةَ التي وقف ـ من أموال مُخَيريق ، وقال : إنْ أصبتُ فأموالي لمحمدٍ ﷺ يضَعُها حيث أراهُ الله . وقُتل يوم أُحُد ، فقال رسولُ الله ﷺ : مُخَيْريق خَيْرُ يَهُود . ثم دعا لنا عمر بتمرٍ منها ، فأتي بتمرٍ في طبق فقال : كتب إليَّ أبو بكر بنُ حَزم يُخبرني أنَّ هذا التمر من العِذْق الذي كان على [٩٨ / أ] عهد رسول الله ﷺ ، وكان رسولُ الله ﷺ يأكلُ منها . قال : قلت : يا أمير المؤمنين فاقسِمْهُ بيننا ، قال : فقسَمَه فأصابَ كلُّ رجلٍ منَّا تسعَ تمرات . قال عمر بن عبد العزيز : قد دخلتها إذْ كنتُ والياً بالمدينة ، وأكلت من هذه النخلة ولَمْ أرَ مثلها من التمر أطيب ولا أعذب[٢] .

٩٦ ـ بِشر بن حَيَّان الخُشَنيّ البَلاَطي

قال بشر :

أقبل واثلةُ بن الأسقع يسيرُ حتى وقفَ علينا ونحن نبني مسجدَنا ـ يعني مسجد بيت البَلاط[٣] ـ فقال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : مَنْ بنى لله مسجداً بنى الله له في الجنَّة أفضلَ منه .

---

(١) خناصرة : بليدة من أعمال حلب ، تحاذي قنسرين نحو البادية ، يقال : إن الذي بناها هو خناصرة بن عمرو بن الحارث ملك الشام . انظر معجم البلدان ، والتاج (خنصر) .

(٢) أورده ابن سعد في الطبقات ٥٠١/١ ، ٥٠٢ .

(٣) بيت البلاط : قرية من غوطة دمشق ، نسبة بشر إليها ، تروى بكسر الباء وفتحها ، انظر معجم البلدان . وقد ذكر محقق الجزء المطبوع من التاريخ ٨٨/١٠ أنها تقع إلى الشرق من دمشق وتبعد عنها نحو ثماني كيلو مترات تدعى الآن بقرية البلاط . وقد عدَّها محمد كرد علي من القرى الدائرة ، انظر غوطة دمشق ص ٢٢٤ .

٩٧ - بِشر بن عبد الله بن يَسَار السّلمي الحمصي

حدّث بشر عن عُبادة بن نُمَيّ بسنده عن عُبادة بن الصامت قال :

كان رسول الله ﷺ يُشغَل ، فإذا قَدمَ الرجلُ مهاجراً على رسولِ الله ﷺ دفعه إلى رجلٍ منا يعلّمُه القرآن ، فدفع إليَّ رسولُ الله ﷺ رجلاً كان معي في البيت أُعشّيه عشاءَ [أهل][1] البيت ، وكنت أُقرئه القرآن ؛ فانصرفَ إلى أهله ، فرأى أنَّ عليه حقاً ، فأهدى إليَّ قوساً لم أرَ أجود منها عُوداً ، ولا أحسن منها عطفاً ، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلت : ماترى يارسولَ الله ؟ فقال : جمرةٌ بين كتفيك تعلّقْتها ، أو قال تقلّدتها .

حدّث بشر بن عبد الله عن مكحول قال :

قامَ فينا عبدُ الله بن عمر قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : مَهَلُّ أهلِ المدينة من ذا الحُلَيْفَة[2] ، ومهل أهلِ المغرب من الجُحْفَة ، ومَهَلُّ أهل نجدٍ من قَرْن . قال عبد الله : وقال الناس : مَهَلُّ أهل اليمن من يَلَمْلَم[3] ، ولَمْ أسمَعْهُ من رسولِ الله ﷺ . [٩٨ / ب]

٩٨ - بِشر بنُ عبيد الله بن صالح أبو عُبيد الله

القرشيُّ الزَّمْعيُّ الدمشقي .

حدّث عن داود بن رُشَيْد بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

من قال حين يصبح : اللهمَّ إنّا أصبحنا نُشْهِدُك ونُشْهِدُ ملائكتك ، وحَمَلةَ عرشك ، أنّك أنتَ الله الذي لا إله إلا أنت ، وحدك لا شريكَ لك ، وأنَّ محمداً عبدُك ورسولك ، غفر الله له ماأصاب في يومه ذاك من ذنب ؛ وإنْ هو قالها حين يُمْسي غَفَر الله له ماأصابَ في ليلته تلك من ذنب .

---

(١) مابين حاصرتين استدركناه من مسند أحمد ٣٢٤/٥ .

(٢) كذا الأصل ، وأصول ابن عساكر في تاريخه بالألف وهو لغة .

(٣) ذو الحليفة والجحفة وقَرْن ويلملم : أسماء مواضع ، وهي مواقيت للإهلال بالحج . انظر معجم البلدان .

٩٩ ـ بشر ويقال : بُشَير بن عبد الوهاب

ابن بشير ، أبو الحسن الأمويّ ، مولى بِشرِ بنِ مروان ، من أهل دمشق ، زاهد .

حدّث عن الوليد بن مسلم بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

لاَ يَزني الزَّاني حين يَـزْني وهـو مـؤمن ، ولا يشربُ الخمرَ حين يشربُها وهـو مـؤمن ، ولا يسرقُ حين يسرقُ وهو مؤمن ، ولا ينتهبُ نُهْبَةً ذات شرف وهو حين يَنْتَهبها مؤمن .

حدّث عليُّ بن الحسين بن إسماعيل بن ضَبيح البزاز قال :

سمعت بشر بن عبـد الوهـاب ، وكان صـاحبَ خير وفضل ، وكان ينزلُ دمشـق وذكر أنّه قَـدَرَ الكوفـةَ فكانتْ ستـة عشَرَ ميلاً وثُلُثَيْ ميل ، وذكر أنّ فيهـا خمسين ألفَ دارٍ للعرب من ربيعة ومضر ، وأربعة وعشرين ألف دارٍ لسـائر العرب ، وستـة وثلاثين ألف دارٍ لليمن ، قال : أخبرني بذلك سنة أربعٍ وستين ومئتين .

مات بِشْرٌ بدمشق يوم السبت لِلَيلتَيْن خلتا من رجب سنة أربع وخمسين ومئتين .

١٠٠ ـ بِشْر بن أبي عَمْرو بن العلاء

ابن عمّـار بن العُريـان بن عبـد الله بن الحُصَين بن الحـارث بن جُلْهُم[1] بن خُزَاعيّ بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم بن مُرّ بن أُدّ المازنيّ .

قدِم دمشق مع أبيه حين قدمها .

حدّث [٩٩ أ] عن أبيه عن الدِّيّال بن حَرْمَلة قال : سمعتُ صَعْصَعةَ بن صُوحان يقول :

لـمّا عقد عليٌّ بن أبي طالب الألوية أخرج لواءَ رسول الله ﷺ ولم يُرَ ذلـك اللواءُ منـذ قُبض رسـولُ الله ﷺ . فعقـده ودعـا قيسَ بنَ سعـد بن عُبـادة ، فـدفعـه إليـه ، فـاجتمعَتِ الأنصارُ وأهلُ بدر ، فلما نظروا إلى لواء رسولِ الله ﷺ بَكَوْا ، فأنشأ قيسُ بن سعد بن عبادة يقول : [من البسيط]

هـذا اللـواءُ الـذي كنّـا نحفُّ بـهِ ... دون النبيِّ وجبريـل لـــه مـــدَدُ

مـــا ضَرَّ مَنْ كانتِ الأنصـارُ عَيْبَتَـهُ ... أنْ لا يكـونَ لـهُ من غيرهم عَضُـدُ

---

(١) في جمهرة ابن حزم : جُلهم بن حجر بن خُزَاعي . انظر جمهرة الأنساب ٢١٢ .

وبسنده عنه أيضاً قال :

جاء أعرابيٌّ إلى عليِّ بن أبي طالب فقال : السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين ، كيف نقرأ هذا الحرف : لا يأكُلُه إلاّ الخاطُون ؟ كلٌّ والله يخطو ؟ قال : فتبسَّم عليٌّ وقال : يا أعرابيّ ﴿ لا يأكُلُه إلاّ الخاطِئُون ﴾[1] قال : صدقتَ والله يا أميرَ المؤمنين ، ما كان الله ليسلمَ عبدَه . ثم التفت عليٌّ إلى أبي الأسود فقال : إنّ الأعاجم قد دخلَتْ في الدين كافّة ، فضَعْ للناس شيئاً يستدِلُّون به على صلاحِ ألسنتهم . فرسمَ لهم الرفعَ والنصبَ والخفض .

١٠١ ـ بشر بن عون أبو عون القرشي

الجوبري الدمشقي ، من بابِ الجابيَة[2] ، وقيل : من قريةٍ تُدْعى جَوْبَر[3] .

حدّث عن بكّار بن تميم ، عن مكحول ، عن أبي أُمامة قال : قال رسولُ الله ﷺ :

القتالُ قتالان : قتالُ المشركين حتى يؤمنوا ، أو يعطوا الجِزْية عن يدٍ وهم صاغرون ؛ وقتالُ الفئةِ الباغية حتى تفيءَ إلى أمرِ الله ؛ فإذا فاءَتْ أُعطيت العَدْل .

وحدّث عن بكار ، عن مكحول ، عن واثلة بن الأسقع اللّيثي ، عن رسولِ الله ﷺ قال :

مَثَلُ الجُمعة مثل قومٍ غشُوا مَلِكاً ، فنحر لهم الجَزُور ، ثم جاء قومٌ فذبح لهم البَقَر ، ثم جاء قومٌ فذبح لهم الغَنَم ، ثم جاء قوم فذبح لهم النعام ، ثم جاء قوم فذبح لهم الوز ، ثم جاء قوم فذبح لهم الدجاج ، ثم جاء قومٌ فذبح لهمُ العصافير .[4] [٩٩ ب]

---

(١) الحاقة ٦٩ الآية ٣٧ .

(٢) انظر التعريف بباب الجابية ص٧٩ تعليق (١) .

(٣) جوبر : قرية بالغوطة شرقي دمشق .

(٤) انظر ما قيل في سند الحديث ميزان الاعتدال ٣٢١/١ ، ٣٢٢ .

١٠٢ ـ بِشْر بن العلاء بن زَبْر

أخو عبد الله وبشر هو الأكبَرُ منهما .

قال بشر : سمعتُ حِزامَ بن حكيم يحدّث عن أبي ذرٍّ أنه قال :

يـا رسـول الله ، ذهب بـالأجـور أصحـابُ الـدثـور ؛ نُصَلّي ويصلُّون ، ونصـومُ ويصومون ، ولهم فُضُول أموالٍ يتصدقون بها وليس لنا ما نتصدق ، فقـال رسولُ الله ﷺ : يا أبا ذرّ ! ألا أُعَلِّمُكَ كلماتٍ تقولُهنّ تلحقُ مَنْ سبقَك ولا يدركُكَ إلاّ مَنْ أخـذ بعملـك ؟ قال : بلى يا رسولَ الله ، قال : تُكَبّر دُبُرَ كُلّ صلاة ثلاثـاً وثلاثين ، وتسبّحُ ثلاثـاً وثلاثين ـ يعني ـ وتَحمَد ثلاثاً وثلاثين ، وتختمُ بلا إله إلاّ الله وحدَهُ لا شريكَ له ، له الملـك ولـه الحمـدُ وهو على كل شيءٍ قدير . فأُخبر الآخرون بذلـك ، فـأتوا رسولَ الله ﷺ فقـالوا : يـا رسول الله إنهم قد قالوا مثل ما قلنا ! فقال رسولُ الله ﷺ : ذلك فَضْلُ الله يُؤْتيهِ مَنْ يشاء ، وعلى كُلّ نَفْسٍ في كُلّ يوم صَدَقة ، فَضْلُ بصَرِكَ للمَنْقُوص بصَرُهُ صَدَقـة ، وفَضْلُ سمعِـكَ للمنقوصِ له سَمْعُه صَدَقة ، وفَضْلُ شِدّةِ ذراعِيْكَ للضعيف لكَ صَدَقـة ، وفَضْلُ شِـدّةِ سـاقَيْـكَ للمَلْهُوفِ صَدَقة ، وإرشادُ [كَ] الضالّ صدقة ، وإرشادُكَ سائلاً أين فلانٌ فـأرشـدتـه لـك صـدقـة ، ورفعُكَ العظامَ والحَجَر عن طريقِ المسلمين لكَ صَدقة ، وأمرُكَ بـالمعروف ونهيُـكَ عن المنكر لكَ صدقة ، ومباضَعَتُكَ[1] أهلَكَ صَدَقة .

١٠٣ ـ بِشْر بنُ قيس التَّغْلبيّ

والدُ قيس بن بشر ، من أهل قِنّسْرِين[2] ، جـالس أبـا الـدرداء بـدمشق ، فسمع منـه ومن معاوية بن أبي سفيان وغيرهم .

حدّث بِشْرُ بن قيس قال :

كان بدمشق رجلٌ يقال لـه ابنُ الحَنْظَلِيّـة ، متوحّـداً لا يكادُ يُكَلِّمُ أحـداً ، إنمـا هو في

---

(١) لفظ ابن عساكر في التاريخ : (مضاجعتك) ومابين معقوفين منه .

(٢) قنسرين : مدينة يقال إنها على مرحلة من حلب في جهة حمص ، ويقال إنها من سواد حمص وقراها ، وقد ذكر ياقوت أنها خربت سنة ٣٥٥ قبل موت سيف الدولة بأشهر . انظر معجم البلدان وتاريخ الطبري ٦٠١/٣ و ١٦١/٤ ، ٢٨٩ .

صلاة ، فإذا فرغَ يُسَبِّحُ ويكبّر ويهلِّلُ حتى يرجعَ إلى أهله . قال : فمرَّ علينا ذات يوم ونحن عند أبي الدرداء ، فقال له أبو الدرداء :[١٠٠ أ] كلمة منك تنفعُنا ولا تضرُّك ؟ قال : بعثنا رسولُ الله ﷺ في سريّة ، فلما قدمنا جلس رجلٌ منهم في مجلسٍ فيه رسولُ الله ﷺ وقال : يا فلان لو رأيتَ فلاناً طَعَن ثم قال : خذْها وأنا الغلام الغفاري ، فما ترى ؟ قال : ما أراه إلاّ قد حَبِط أجْرُه . قال : فتكلّموا في ذلك حتى سمع النبيُّ ﷺ أصواتَهم فقال : بَلْ يُحمَدُ ويُؤجر . قال : فسُرَّ بذلك أبو الدرداء حتى همَّ أن يجثُوَ على ركبتَيْه ، فقال : أنت سمعتَهُ مراراً ؟ قال : نعم ، قال : ثم مرَّ علينا يوماً آخر فقال له أبو الدرداء : كلمة تنفعُنا ولا تضرُّك ؟ قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : نِعْمَ الرجلُ خُرَيم الأسديّ ، لو قصَّ شَعْرَهُ وشمّرَ إزارَه . فبلغ ذلك خُريماً ، فعَجِل فأخذَ الشفرةَ فقصَّ من جُمّته ورفع إزاره إلى أنصاف ساقيه . قال : فدخلتُ على معاوية ، فرأيتُ رجلاً معه على السرير ، شَعْرُه فوق أذنَيْه ، مؤتزراً إلى أنصافِ ساقيه . قلت : من هذا ؟ قالوا : خُريم الأسدي . قال : ثم مرَّ علينا يوماً آخر فقال أبو الدرداء : كلمة منك تنفعُنا ولا تضرُّك ؟ قال : نعم ، كنا مع رسولِ الله ﷺ فقال لنا : إنكم قادمون على إخوانكم ، فأصلِحُوا رِحالَكُمْ ولِباسَكُمْ ، حتى تكونوا في الناس كأنّكُمْ شامة ؛ فإنّ الله لا يحبُّ الفُحْشَ ولا التَّفَحُّشَ .

١٠٤ - بِشْرُ بنُ مروانَ بنِ الحَكَم

ابن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن [عبد] مناف ، أبو مروان الأمويُّ القرشيّ ، أخو عبدِ الملك وعبدِ العزيز ومحمد . ولأمّ أخوهُ عبدُ الملك المِصْرَيْن : الكوفةَ والبَصْرَة . وكان كريماً مُمَدَّحاً . ودارُه بدمشق بعَقَبَةِ الصُّوف[1] ، وإليه ينسب دير بشر الذي عند حَجيرا[2] . وأمُّه قُطَيَّة بنت بشرِ بن عامر مُلاعبِ الأسنة أبي براء بنِ مالك بن جعفر بن كلاب . وقُطَيَّة بضم القاف وفتح الطاء وتشديد الياء باثنتين من تحتها . [١٠٠ ب]

---

(١) ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٤٥/٤ أن داره بعقبة الكتان . وقد نقل محقق الجزء المطبوع من التاريخ عن ذخائر القصر لابن طولون أن عقبة الصوف هي حارة مُذنة الشحم وتعرف قديماً بعقبة الصوف .

(٢) كذا الأصل ، وفي التاريخ حجرا ، وكذا في معجم البلدان ، ولكن ياقوت حينما ذكر دير بشر قال : عند حَجيرا بغوطة دمشق ، وأوردها محمد كرد علي في غوطة دمشق ٢٢٩ (حجرا) وقال : الغالب أنها محرفة عن حجيرا .

قال الأصمعيّ : أنشدتُ يونس بن حبيب يوماً : [من البسيط]

إنَّ الريـــــاحَ لتمسي وهي فـــــاترةٌ وجـودُ كفِّكَ قـد يُمسي ومـا فترا[1]

فقال لي يونس : من يقول هذا ؟ قلت : الفرزدق ، قال : وَيْكَ ! فمن ؟ قلت : في بشر بن مروان ، فقال : قد كان ـ والله ـ الفرزدق من مدّاحي العرب .

كان بِشْرُ بنُ مروان بنِ الحكم إذا ضَربَ البعثَ على أحدٍ من جنده ، ثم وجدَهُ قـد أخلَّ بمركزه ، أقامَهُ على كُرْسيّ ، ثم سَمَر يَـديْـه في الحـائـط ، ثم انتزع الكرسيَّ من تحت رجليـه ، فلا يزالُ يتشحَّطُ[2] حتى يموت . وإنه ضربَ البعثَ على رجلٍ حديثِ عهدٍ بعُرْسِ ابنةِ عمه ، فلما صار في مركزه كتب إلى ابنة عَمِّه كتاباً ثم كتب في أسفله : [من البسيط]

لـولا مخـــافـــةُ بشرٍ أو عُقـوبَتِـــهُ وأنْ يرى حـــاســـدٌ كفّي بمسمارِ[3]
إذاً لعطَّلت ثَغْري ثم زرتكُمُ إنَّ المحبَّ إذا مـــا اشتـــاقَ زوَّارُ

فورد الكتابُ على ابنةِ عَمِّه ، فأجابَتْهُ عن كتابه وكتبَتْ في أسفله :

ليس المحبُّ الـذي يَخْشَى العقابَ ولَـوْ كانت عُقـوبَتُـــهُ في فَجْـوةِ النـــارِ
بَـلِ المحبُّ الـــذي لا شيءَ يُفْـزِعُـــه أو يستقرَّ ومَنْ يهـــواهُ في الـــدَّارِ

فلمَّا قرأ كتابها قـال : لا خير في الحيـاة بعـدهـا ؛ فـأقبلَ حتى دخلَ المـدينـة ، فـأتى بِشرَ بنَ مروان في وقتِ غَدائه ، فلما فرغَ من غَدائه أُدْخل عليه ، فقال : ما الذي دعاك إلى تعطيلِ ثَغْرِك ، أما سمعت نداءنا وإيعادنا ؟! فقال لـه : اسمَعْ عُـذْري ، فـإمَّـا عفَوْت وإمَّـا عاقبت ، قال : وَيْلَكَ وهل لمثلِكَ من عُذْر ! فقصَّ عليه قِصَّـةَ وقصـةَ ابنـةِ عَمِّـه ، فقـال : أوْلَى لك ، ثم قال : يا غلام حُطَّ اسمه من البعث ، وأعطِـهِ عشرةَ آلاف درهم . الحَقْ بـابنـةِ عمك .

---

(١) البيت في الديوان ص ٢٣٣ ط دار صادر ، برواية مختلفة .

(٢) لفظ ابن عساكر في التاريخ (يتخبط) وهو بمعناه .

(٣) في البيت إقواء على هذه الروايـة ويـستقيم على الروايـة الثـانيـة التي وردت في نـسخـة كامبردج وهي « وأن ينوطني بالكف مسمار » .

وعن حصين قال :

كنت مع عُمارة[1] صاحبِ رسولِ الله ﷺ في يوم عيد مع بشرِ بن مروان ، قال : فرفع يديه بالدعاء [١٠١ / أ] ، قال : فقال عمارة : قبَّح الله هاتين اليدين القصيرتين ، لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ وما يزيد أن يشيرَ بأصبعه .

قال حصين :

أولُ مَنْ أَذَّن له في العيد بشر بن مروان .

ولما قَتَل عبدُ الملك مصعبَ بن الزبير ، ودخل الكوفة ، صعِدَ المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إني قد استعملتُ عليكم رجلاً من أهل بيتٍ لَمْ يَزَل الله عز وجل يُحْسِنُ إليهم في ولايتهم ، أمرتُه بالشدة والغِلْظة على أهل المعصية ، وباللِّين على أهل الطاعة ، فاسمعوا له وأطيعوا ، وهو بشر بن مروان ، وخلَّفتُ معه أربعة آلاف من أهل الشام ، منهم رَوْح بن زِنْبَاع الجُذامي ، ورجاء بن حَيْوَة الكندي .

وكان بشر يشربُ بالليل ويندمُ قوماً من أهل الكوفة ، فقال لندمائه ليلةً : إن هذا الجُذَاميَّ يمنَعُني من أشياء أريدُ أنْ أعطيكموها . فقال له رجل مولًى لبني تميم : أنا أكفيكه . فكتب على باب القصر ليلاً : [من البسيط]

إنَّ ابن مروانَ قد حانَتْ منيَّتُه ... فاحتَلْ لنفسك يا روحَ بن زِنْباعِ
إنَّ الدنانيرَ لا تَغني مكانَكُمُ ... إذا نعاكَ لأهْلِ الرُّمْلَةِ النَّاعي

فلمَّا أصبحوا قرأ ذلك الناس ، فبلغ ذلك روحاً ؛ فجاءَ إلى بشر فقال : ائذَنْ لي فإنَّ أهلَ العراق أصحابُ تَوَثُّب ، فجعل بشر يتمنَّع عليه وهو يشتهي أن يخرج ، فأذِنَ له . فلما قدم على عبد الملك جعل يُخْبره عن أهل العراق فيقول له عبد الملك : هذا من جُبْنِكَ يا أبا زُرْعة ، فاستخلَفَ عبدُ الملك على البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن العِيص بن أمية ، ثم عزله وولَّى بشر بن مروان البصرة مع الكوفة ؛ فأتاه الكتاب بولاية البصرة وهو يشرب الدواء الكبير ، فقال له الأطباء : إن هذا دواء نُريدُ أنْ تُودعَ نفسك بعده ،

---

(١) هو عمارة بن رُويبة كما في تاريخ ابن عساكر . وقبل هذا الخبر سطر مشطوب ، وهو : وعن عمارة بن رويبة ، أنه رأى بشر بن مروان على المنبر رافعاً يديه يشير . اهـ .

فلا تخرُجْ ، فأبى ، فلما دنا من البصرة تلقّاه فيمن لقيه الحكم بن الجارود ، فقال له : مرحباً وجعله عن يمينه ، ثم لقيه الهُذَيل بن عمران البُرجُميّ فرحّب به وجعله عن يساره ؛ ثم لقيه المهلَّب ، فلما رآه يسيرُ بينهما فقال : هذانِ [١٠١ / ب] شاهدان ، وأميرُنا صاحبُ شراب . فلَمْ يلبَثْ بالبصرة إلاّ أشهراً حتى مات . فضرَّهُ ذلك الدواء .

ولما ولّى عبد الملك بن مروان أخاه بشر بن مروان العراقَيْن كتب إليه بشر حين وصل : أما بعد ، يا أمير المؤمنين فإنك قد أشغَلْتَ إحدى يديَّ وهي اليسرى ، وبقيتِ اليمنى فارغةٌ لا شيء فيها . قال : فكتب إليه : فإنَّ أمير المؤمنين قد شغل يمينَكَ بمكّةَ والمدينة والحجازِ واليمن . قال : فما بلغَهُ الكتابُ حتى وقعتِ القرحةُ في يمينه . فقيل له : تقطعها من مَفْصِلِ الكفّ ، فجزِعَ ، فما أمسى حتى بلغت المرفق ، فأصبح وقد بلغت الكَتِف ، وأمسى وقد خالطتِ الجَوْف . فكتب إليه : أما بعدُ يا أمير المؤمنين ، فإني كتبتُ إليك وأنا في أوّلِ يومٍ من أيام الآخرة ، وآخرِ يومٍ من أيام الدنيا ، وقال : [من الطويل]

شكَـوْتُ إلى الله الـذي قَـدْ أصـابني ... من الضُّرِّ لَمّـا لَمْ أجِـدْ لي مُـداويـا
فـؤادٌ ضعيفٌ مستكينٌ لِما بـه ... وعَظْمٌ بَـدَا خِلْـواً من اللَّحْم عـاريـا
فـإنْ متُّ يـا خيرَ البريَّـة فـالتمِسْ ... أخـاً لـك يُغْني عنـك مثـل غَنَـائيـا
يـواسيـكَ في السَّراء والضُّرِّ جَهْـدَهُ ... إذا لَمْ تجـد عنـد البـلاء مُـواسيـا

قال : فجزِعَ عليه ، وأمر الشعراءَ فرثَوْه .

قال الحسنُ البصري :

قَدِمَ علينا بشرُ بن مروان البصرةَ وهو أبيضُ بَضّ ، أخو خليفةٍ وابنُ خليفة ووالٍ على العراق ، فأتيتُ داره ، فلما نظر إليَّ الحاجبُ قال : يا شيخ من أنت ؟ ، قلت[1]: الحسن البصري ، قال : فادخُلْ إلى الأمير وإيّاكَ أنْ تطيلَ الحديثَ معه ، واجعلِ الكلامَ الذي يدورُ بينك وبينه جواباً ، ولا تمكنهُ من المجالسة فتثقلَ عليه . قال : فدخلت ، فإذا بشرٌ على سريرٍ عليه فُرُشٌ قد كاد أنْ يغوصَ فيها ، وإذا رجلٌ متكِىءٌ على سيف ، قائمٌ على رأسه ، فسلّمتُ عليه فقال : من أنت يا شيخ ، أعرفك ؟ قلت : الحسن البصري الفقيه .

---

(١) في الأصل (قال) وما أثبتناه من التاريخ .

قال : أفقيه هذه المَدَرَة[1]؟ قال : قلت : نعم أيها الأمير . قال : فاجْلِسْ ، ثم قال لي : ما تقولُ في زكاةِ أموالنا ، أندفعها إلى السلطان أم إلى الفقراء ؟ قال : قلت : أيَّ ذلك فعلتَ أجزأ عنك [١٠٢ / أ] ، قال : فتبسَّمَ ثم رفع رأسه إلى الذي كان على رأسه فقال : لِشيءٍ ما يسودُ مَنْ يسود . ثم جعل يديمُ النظر إليّ ، فإذا أمَلْتُ طَرْفي إليه صرف بصرَهُ عني ، وإذا أطرقتُ أبَدَّ فيَّ نظره . قال : ثم قمتُ فاستأذنتُ في الانصراف ، فقال لي : مُصَاحَباً محفوظاً . قال : ثم عدتُ بالعشيّ فإذا هو قد انحدرَ من سريره إلى صَحْن مجلسه ، وإذا الأطباءُ حوالَيْه وهو يتململُ تململَ السَّليم ، فقلت : ما للأمير ؟ قالوا : محموم . ثم عدتُ من غد ، وإذا الناعيةُ ينعاه ، وإذا الدوابُّ قد جزُّوا نواصيَها ، قلت : ما للأمير ؟ قالوا : مات . فحُمِلَ ودُفن في جانب الصحراء . ووقف الفرزدق على قبره فرثاه ، فلم يبقَ أحدٌ كان على القبر إلا خرَّ باكياً[2]. قال : ثم انصرفتُ فصلَّيْتُ في جانب الصحراء ما قدر لي ثم عدتُ إلى القبر ، وإذا قد أُتي بعبدٍ أسود ، فدفن إلى جانبه ، فوالله ما فصلتُ بين القبرين حتى قلت : أيُّهما قبر بشر بن مروان ؟!

وكانت ولايةُ بشرٍ للعراق سنة أربع وسبعين . ومات في أول سنةِ خمسٍ وسبعين . وقيل : مات سنة ثلاث وسبعين .

١٠٥ ـ بِشْر بن وَهْب أبو مَرْوان السرَّاج

حدّث عن الهيثم بن عمران ، عن أبيه ، عن مكحول ، قال :

إيّاك وطلبات الحوائج من الناس ، فإنه فَقْرٌ حاضر ، وعليك بالإياس ، فإنّه الغنى ؛ ودَعْ مِنَ الكلام ما يُعتذر منه ، وتكلَّمْ بما سواه ؛ وإذا صلَّيت فصل صلاة مودّع .

١٠٦ ـ بِشْر وهو الحُتاتُ بن يزيد بن علقمة

ابن حَوَيّ بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بنِ حَنْظَلَةَ بنِ مالك بنِ زيدِ مناة بن تميم ، أبو مُنازل المجاشعيُّ التميميّ .

---

(١) العرب تسمي القرية المبنية من الطين واللبن مدرة . (لسان) .

(٢) أورد ابن عساكر قطعة من مرثية الفرزدق وهي في ديوانه ٢٦٨/٢ .

وفَد على النبّي ﷺ في وَفْد بني تميم مع جماعة من أشرافهم . وآخى النبيُّ ﷺ بينه وبين معاوية بن أبي سفيان . ووفَدَ على معاوية .

قال ابن إسحاق[1]:

فقدمت وفود العرب [١٠٢ / ب] على رسول الله ﷺ ، وقدم عليه عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي في أشراف من بني تميم ، فيهم الأقرع بن حابس ، والزِّبْرِقان بن بدر ، وعمرو بن الأهتم ، والحتات ، ونعيم بن زيد[2]، وقيس بن الحارث ، وقيس بن عاصم في وفد عظيم من بني تميم ، معهم عُيَيْنَة بن حِصْن الفَزَاري ، وهم الذين دخلوا المسجد ونادَوْا رسولَ الله ﷺ من وراء الحُجُرات : أنِ اخرجْ إلينا يا محمد ! فآذى ذلك رسولَ الله ﷺ ، من صياحهم فخرج إليهم فقالوا : يا محمد جئناكَ نفاخِرُكَ ، فَأْذَنْ لشاعرنا وخطيبنا ... وقصُّ الحديث كما ذكرناه في ترجمة الأقرع بن حابس أو بمعناه . ونزل فيهم القرآن : ﴿ إنَّ الذين ينادونَكَ من وراء الحُجُراتِ أكثَرُهم لا يعقلون ﴾[3].

والحُتَاتُ هو الذي ماتَ عند معاوية ، وورِثَهُ الفرزدق ، وهجا معاويةَ لأخذِهِ ميراثه ، ويجمعُهما في النسب سفيان . والحُتات هو القائل للفرزدقِ وأراد الخروجَ إليه إلى عُمان : [من الوافر]

كتبتَ إليَّ تستهدي الجواري ... لقد أنعَظْتَ من بلدٍ بعيدِ
أقِمْ لا تأتنا فعمانُ أرضٌ ... بها سَمَكٌ وليس بها ثريدُ

وكان للحُتات قَدْر وذكر في الجاهلية ، ثم أسلم ووفد إلى عمر بن الخطاب . وهو الذي أجار الزُّبَير بن العوام لما انصرف عن الجمل . وقُتل الزُّبير في جواره . فجرير يُعَيِّرُ مجاشعاً بذلك ، فيما قال فيهم : [من الكامل]

قال النوائحُ من قريشٍ غُدْوَةً ... غدَرَ الحُتاتُ وجارُه والأقرعُ[4]

---

(١) انظر قوله في سيرة ابن هشام ٢/٥٦٠ .

(٢) ويقال : نعيم بن يزيد كما في الإصابة .

(٣) الحجرات ٤٩ الآية ٤ . وانظر ص ١٣ وما بعدها من هذا الجزء .

(٤) البيت في ديوانه ص ٩١٣ من قصيدة يهجو فيها الفرزدق وجميع الشعراء .

وقال أيضاً فيهم : [من الكامل]

لـو كنتَ حُرّاً يـا بْنَ قينِ مجـاشـعٍ شيُّعتَ ضَيْفَـكَ فرسخَيْنِ وميـلا

وبنـو مجـاشـع تُنْكِرُ أنْ يكـون الحُتـاتُ أجـاره ، ويقـولـون : إنمـا كان الـزُّبير قصـد النُّعر[1] بن الزِّمَّام المُجَاشِعيّ ، فلم يصادفه . ثم قتل من ليلته . [١٠٣ / أ]

وكان الحُتات ممن هربَ من عليٍّ عليه السلام ؛ وهو القائل : [من المتقارب]

لعمر أبيـــــك فـــلا تجـــزعي لقـــــد ذهب الخَيْرُ إلاّ قليـــلا
وقـــــد فُتِنَ النـــــاسُ في دينهم وخلّى ابنُ عفّـــان شرّاً طـويـلا[2]

وكان الحُتاتُ عَمَّ الفرزدق ، وفَدَ على معاوية والأحنفُ بن قيس وجاريـةُ بن قـدامـة السعدي ، ففضّلها على الحُتات في الجـائزة ، ولَمْ يعلَمْ بـذلـك الحُتـات ؛ فلمـا خرجوا علم بـه فرجع إليه وقال : فضّلت علي مُحَرِّقاً ومخذّلاً ؟! يعني بالمحرِّق قدامة لأنه حرق دار الإمـارة ، والأحنف خذّل عن عائشة والزبير ـ فقال معـاويـة : إنمـا اشتريتُ منهما دينهما ووكَلْتُـكَ إلى دينك ورأيك في عثمانَ بن عفان ـ وكان عثمانياً ـ فقال : وأنا فاشترِ مني ديني ؛ فـألحقَـهُ بهما . فخرج الحُتاتُ ، فمات في الطريق ، فبعث معاوية فأخذ المال . فوفَدَ الفرزدقُ على معـاويـة فقال من أبيات : [من الطويل]

أبـوك وعمي يـا معـاوي أورثـا تراثـاً فـأولى بـالتراث أقـاربُـهْ
فمـا بـالُ ميراثِ الحُتَـاتِ أخـذتَـهُ وميراث صَخْرٍ جـامـدٌ لـك ذائبُـهْ
فلـو كان هـذا الأمر في جـاهليّـةٍ عَرَفْتَ من المـولى القليـل حـلائبُـهْ
ولـو كانَ هـذا الأمْرُ في عِـزِّ ملككم لأدْيَتَـهُ أو غصَّ بـالمـاء شـاربُـهْ[3]

فرد عليه مُعاويةُ ميراثَ الحُتَات . قال : فأُنشـد هـذه الأبيـات بعضُ خلفـاء بني أميـة

---

(١) كذا ضبط في الأصل بضم النون ، وضبطه ابن دريد في الاشتقاق ٥٥٩ (النَّعر) بفتح فكسر وقال : الـذي أجار الزبير فيما زعموا ،وهذه الدعوى باطلة ، إنما هو شيء نعاه عليهم جرير . اهـ .

(٢) البيتان في الشعر والشعراء ص٣٨٢ .

(٣) الخبر والأبيات في تاريخ الطبري ٢٤٣/٥ على خلاف في الرواية . والبيتان الأول والثاني في سيرة ابن هشام ٢٦١/٢ والأول في الاشتقاق ٢٤٢ . وانظر الأبيات في ديوانه برواية مختلفة ص ٤٥ ط دار صادر .

فقال : ما فعل معاوية ؟ قالوا : ردَّ عليه ماله ، فقال : لو كنتُ مكانه لقلت له : يا مَصَّان[1] وضربتُ عُنقَه .

١٠٧ ـ بَشِير بن أبَان بنِ بَشِير بنِ النُّعْمان

ابن بشير بن سعد الأنصاريّ .

حدَّث عن أبيه ، عن جده ، قال :

كتب مروانُ بن الحكم إلى النعمانِ بن بشير يخطبُ على ابنه عبدِ الملك بن مروان أم أبان بنت النعمان ، [١٠٣ ب] فكتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من مروانَ بن الحكم إلى النعمانِ بن بشير ، سلامٌ عليك ، فإني أحمدُ إليكَ الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فإنَّ الله ذو الجلال والإكرام ، والعظمة والسلطان ، قد خصَّكُمْ معاشرَ الأنصار بِنُصرَةِ دينه ، وإعزاز نبيِّه ﷺ ، وقد جعلكَ الله منهم في البيت العميم والفَرْعِ القديم ، وقد دعاني ذلك إلى اختيار مصاهرتك وإيثارك على الأكفاء من ولَدِ أبي ؛ وقد رأيتُ أن أزوِّجَ ابني عبدَ الملك بن مروان ابنتك أمَّ أبان بنت النعمان ؛ وقد جعلتُ صداقَها ما نطقَ به لسانُك ، وترنَّمت به شفتاك ، وبلغَهُ مُنَاك ، وحكمتَ به في بيت المال قِبَلك .

فلما قرأ النعمانُ كتابَهُ كتبَ إليه : بسم الله الرحمن الرحيم من النعمانِ بن بَشير إلى مروانَ بنِ الحكم ، بدأتُ باسمي سُنَّةً من رسولِ الله ﷺ ؛ وذلك لأني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إذا كتب أحدُكُمْ إلى أحد فليبدأْ بنفسه » . أما بعد فقد وصلَ إليَّ كتابك ، وفهمتُ ما ذكرته فيه من محبتنا . أما إنْ تكن صادقاً فغنماً أصبت ، وبحظِّك أخذت ، لأنَّا أناسٌ جعل الله حُبَّنا إيماناً ، وبُغْضَنا نفاقاً . وأما ما أطْنَبت فيه من ذكرِ شرفنا وقديمِ سلفنا ، ففي مدح الله لنا وذكره إيانا في كتابِه المنزل وقرآنه المفصَّل على نبيِّه ﷺ ما أغنانا عن مدح أحدٍ من الناس ؛ وأما ما ذكرت من أنك آثرتني بابنكَ عبدِ الملك بن مروان على الأكفاء من ولد أبيك فَحظِّي منك مردودٌ عليهم مُوَفَّرٌ لهم ، غير مُشاحٍ لهم فيه ، ولا منازَعٍ لهم عليه ، وأما ما ذكرت أنك جعلتَ صَدَاقها ما نطق به لساني وترنَّمت به شفتاي وبلغه

---

(١) يامصَّان : كلمة يُشتم بها الرجل ويعيَّر برضع الغنم من أخلافها بفيه ، وذلك من اللؤم ، لاجتلابها فيسمع صوت الحلب (لسان مصص) .

مناي ، وحكمت به في بيت المال قِبَلي ، فقد أصبح بحمد الله ـ لو أنصفت ـ حظي في بيت المال أوفَرَ من حظك وسهمي فيه أجزلَ من سهمك ، وأنا القائل : [١٠٤ آ]

[من الطويل]

فلو أنَّ نفسي طاوعتني لأصبحتْ ... لها حَفَدٌ مما يُعَدُّ كثيرُ
ولكنها نفسٌ عليَّ كريمةٌ ... عَيُوفٌ لأصهارِ اللِّئام قذورُ
لنا في بني العنقاء وابْنَيْ مُحَرِّقٍ ... مصاهرةٌ يُسمى بها ومُهورُ
وفي آل عمرانٍ وعمرو بن عامرٍ ... عقائلُ لَمْ يُدْنَسْ لهنَّ حُجورُ[1]

١٠٨ ـ بَشِير بن سَعْد بنِ ثعلبة بنِ خَلاَّس

ابن زيد بن مالك الأغَرِّ بن ثعلبة بن كعب بن الحارث بن الخَزْرج ، أبو مسعود ويقال : أبو النعمان الأنصاريّ ، والدُ النعمانِ بن بشير ، له صحبةٌ وروايةٌ عن النبيِّ ﷺ .

بَشِير بفتح الباء وكسر الشين ، وخَلاَّس بفتح الخاء وتشديد اللام[2] .

حدَّث بشير بن سعد قال : قال رسولُ الله ﷺ :

رحم الله عبداً سمعَ مقالتي فحفظَها ، فَرُبَّ حاملِ فقهٍ غير فقيه ، ورُبَّ حاملِ فقهٍ إلى مَنْ هو أفقهُ منه . ثلاثٌ لا يُغِلُّ عليهنَّ قلبُ مسلم[3] : إخلاصُ العَملِ لله عزَّ وجلَّ ؛ ومُناصَحَةُ ولاةِ الأمر ؛ ولزُوم جماعةِ المسلمين .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ :

مَنْزِلَةُ المؤمنِ من المؤمن ، منزلة الرأسِ من الجسد ، متى اشتكى الجسَدُ اشتكى له الرأس ، ومتى اشتكى الرأسُ اشتكى له الجسَد .

---

(١) رُوي البيتان الأولان لفضالة بن شريك في رسالة بعث بها إلى معاوية ردأ على كتاب يخطب فيه ابنة فضالة على ابنه يزيد كما سيأتي في ترجمة فضالة ١١٧/٢٠ ب . والأبيات في ديوان النعمان بن بشير الأنصاري ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢) ويقال : بضم الجيم مخففاً . انظر الإصابة ترجمة بشير ، والاشتقاق ٤٥٨ وجمهرة ابن حزم ٣٦٤ .

(٣) أي لا يكون معها في قلبه غش ودغل ونفاق ، ولكن يكون معها الإخلاص من ذات الله عز وجل . وروي بـ (يَغِل) بفتح الياء وكسر الغين من الضغن والشحناء ، أي لا يدخله حقد يزيله عن الحق ، ومن قال بضم الياء جعله من الخيانة . ا هـ (لسان) .

شهد بشيرُ بن سعدٍ بدراً والعَقَبة والمشاهد بعدها ؛ وبعثَهُ رسولُ الله ﷺ على سريَّتَيْن إلى بني مُرَّة ، إحداهما بعد الأخرى . وهو الذي كان كسر على سعد بن عبادة الأمر يوم سقيفةِ بني ساعدة ؛ فبايع أبا بكر هو وأُسيد بن الحُضَير أول الناس[1] . واستشهد بعين التمر[2] مع خالدِ بن الوليد سنة إحدى عشرة بعد انصرافه من اليمامة . وقيل : سنة ثلاث عشرة ، وقيل : سنة اثنتي عشرة . وأمُّه وأمُّ أخيه سِماك ابنَيْ سعد بن ثعلبة : أُنَيسةُ[3] بنت خليفة بن عديِّ بن عمرو بن امرئِ القيس بنِ مالك الأغَرّ . وكان بشير يكتبُ بالعربية في الجاهلية ، وكانتِ الكتابة في العرب قليلاً . [١٠٤ ب]

وبعث رسولُ الله ﷺ بشير بن سعد في ثلاثين رجلاً إلى بني مُرَّة بفَدَك[4] ، فخرج فلقي رعاءَ الشاء ، فسأل : أين الناس ؟ فقالوا : هم في بواديهم ، والناسُ يومئذٍ شاتون لا يحضرُون الماء ، فاستاقَ النَّعم والشاء منحازاً إلى المدينة ، فخرج الصريخ فأخبرهم ، فأدركه الدَّهْمُ[5] منهم عند الليل ، فترامَوْا بالنَّبْل حتى فنِيَتْ نَبْلُ أصحابِ بشير وأصبحوا ؛ وحمل المُرِّيُّون عليهم فأصابوا أصحابَ بشير . وولَّى منهم من ولَّى ، وقاتل بشيرٌ قتالاً شديداً حتى ضُرب كعبه . وقيل قد مات . ورجعوا بنعمهم وشائهم . وكان أوَّلَ من قَدِمَ بخبر السريَّةِ ومُصابها عُلْبَةُ بنُ زيد الحارثي ، وأُمهِكَ[6] بشير بن سعد وهو في القتلى ؛ فلما أمسى تحاملَ حتى انتهى إلى فَدَك ، فأقام عند يهوديٍّ بفَدَك أياماً حتى ارتفع من الجراح ، ثم رجع إلى المدينة ، وهيَّأ رسولُ الله ﷺ الزُّبيرَ بنَ العوام فقال : سِرْ حتى تنتهي إلى مصاب أصحاب بشير ، فإن ظفَّرك الله بهم فلا تبقِ فلَّهم . وهيأ معه مئتي رجل ، وعقد له اللواء . فقدم غالب بن عبد الله من سريَّةٍ قد ظفَّره الله عليهم ، فقال رسولُ الله ﷺ للزبير بن العوام : اجلسْ . وبعثَ غالب بن عبد الله في مئتي رجل . فخرج أسامة بن زيد في السرية حتى انتهى إلى مُصَاب بشيرٍ وأصحابه ، وخرج معهم عُلبة بن زيد .

---

(١) انظر الخبر في طبقات ابن سعد ١٨٢/٣ وتاريخ الطبري ٢٢١/٣ .

(٢) انظر التعريف بعين التمر ص١٢ تعليق (أ) .

(٣) ضبط في الأصل بفتحة على النون .

(٤) فدك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان . انظر معجم البلدان .

(٥) الدهم : العدد الكثير .

(٦) يقال : مَهِك صُلْبه : إذا ضعف . (تاج) .

وبعث رسولُ الله ﷺ بشيرَ بنَ سعد في سرية فيها ثلاث مئة إلى يَمْن وجَبَار[1] من فَدَك ووادي القُرى ، وكان بها ناسٌ من غَطَفان قد تجمَّعُوا مع عُيَيْنة بن حِصْن فلقيهم بشير ففضَّ جمعهم ، وظفر بهم وقتل وسبى وغنم ، وهرب عُيَيْنة وأصحابه في كُلِّ وجه . وكانت هذه السريَّةُ في شوال سنة سبع[2] .

وعن أبي مسعود الأنصاري أنه قال :

أتانا رسولُ الله ﷺ ونحن في مجلسِ سعد بن عبادة ، فقال له بشير بن سعد : أمَرَنا الله عزَّ وجل أنْ نصلِّيَ عليك [١٠٥ آ] فكيف نصلِّي عليك ؟ قال : فسكت رسولُ الله ﷺ حتى تمنَّينا أنه لم يسأله ، فقال رسولُ الله ﷺ : قولوا : اللهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد ، كما صلَّيت على إبراهيم ، وبارك على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ كما باركت على إبراهيم ، في العالمين إنك حميدٌ مجيد . والسلام كما قد علمتم .

قال يحيى بن سعيد الأنصاريّ :

لَمَّا قُبِضَ رسولُ الله ﷺ اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عُبادة في سقيفةِ بني ساعدة ، فأتاهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح ، فقال بشير بن البراء[3] الأنصاري : منَّا أمير ومنكم أمير . قال عمر : فأردتُ أن أتكلم فمنعني أبو بكر ، فقلت : لا أعصيه . ثم تكلَّم أبو بكر ، فما ترك شيئاً أردتُ أنْ أتكلَّمَ به إلاَّ تكلَّم به وزاد عليه ، وذكر حقَّ الأنصار وما

---

(١) قال ياقوت : يمن ، بالفتح ويروى بالضم : ماء لغطفان على الطريق بين تيماء وفَيْد . وجُبار : بالضم ماء لبني حُمَيس بن عامر بين المدينة وفيد ؛ وقد ضبط ابن سيد الناس جبار في عيون الأثر ١٤٨/٢ بفتح الجيم والباء المخففة .

(٢) في الأصل (تسع) مصحَّفة . وما أثبتناه من تاريخ ابن عساكر وطبقات ابن سعد ١٢٠/٢ وتاريخ الطبري ٣٣/٣ .

(٣) كذا الأصل ، وفي ابن عساكر نسخة (س) و (كامبردج) : (بشر بن البراء) وكلاهما وهم ، لأن بشراً هذا أكل من الشاة المسمومة مع رسول الله ﷺ فمات منها بعد خيبر ؛ وقد عدَّه ابن هشام مع شهداء خيبر ، فلم يبق إلى يوم السقيفة ، انظر السيرة ٣٤٣/٢ والطبري ١٥/٣ والإصابة في ترجمة بشر . فلعل الذي أراده المصنف هو (بشر بن سعد) كما يدل عليه السياق ! ولا نراه ، لأنه لا يتفق مع موقفه في نهاية الخبر ، ولأن الذي قال : « منا أمير ومنكم أمير » هو (الحباب بن المنذر) كما في الطبقات ١٨٢/٣ ومسند أحمد ٥٥/١ ، ٥٦ والبخاري ١٩٤/٤ . فالمرجَّح أن يكون هو (الحباب بن المنذر) وليس لبشير بن سعد ذكر فيه إلا في نهايته ، حيث كان أول المبايعين . ويوضح موقف بشير ما رواه الطبري في تاريخه ٢٢١/٣ . والله أعلم .

أعطاهم الله وقال : نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، والأمْرُ بيننا نصفان كقدِّ الأنملة[1] . فقال بشير بن سعد : والله ما إياكم أيها الرهط يكره[2] ، ولا عليكم نَنْفَسُها ، ولكنَّا نتخوَّفُ أن يليَها قومٌ ـ أو قال : رجال ـ قد قتلنا آباءَهم وأبناءهم . قال يحيى : فزعموا أنَّ عمر بن الخطاب قال : إذا كان ذلك فاستطعتَ أنْ تموتَ فَمُتْ . قال يحيى بن سعيد : فكان أوَّلَ من بايع أبا بكر بشيرُ بنُ سعد أبو النعمان بن بشير .

وقال عُمر بن الخطاب في مجلسٍ وحولَهُ المهاجرون والأنصار :

أرأيتم لو ترخَّصْتُ في بعض الأمور ما كنتم فاعلين ؟ فسكتوا ـ فقال ذلك مرتين أو ثلاثاً ـ فقال بشيرُ بن سعد : لو فعلت ذلك قوَّمْناك تقويم القِدْح . فقال عمر : أنتم إذاً أنتم .

١٠٩ ـ بَشِيرُ بن عبيد الله بن أبي بكرة

نُفَيع بن الحارث الثقفي البصري ، قيل : إنه وفد على معاوية مع أبيه .

حدَّث بشير بن عبيد الله قال :

أوَّلُ مَنْ نعى الحسن بن عليٍّ بالبصرة عبدُ الله بن سلمة بن المُحَبِّق أخو سنان ، نعاه لزياد ، فخرج الحكم بن أبي العاص الثقفيُّ فنعاه ، [١٠٥ ب] فبكى الناس وأبو بكرة مريض ، فسمع الضجَّة فقال : ما هذا ؟ فقالت امرأته عبسة بنت سحام من بني ربيع : مات الحسنُ بن عليّ ، فالحمد لله الذي أراحَ الناسَ منه ، فقال أبو بكرة : اسكتي وَيْحَك ! فقد أراحَهُ الله من شرٍّ كثير ، وفقَدَ الناسُ خيراً كثيراً .

قال خلاَّد بنُ عُبيد[3] :

تغدَّى يوماً معاوية وعنده عُبيد الله بن أبي بكرة ، ومعه ابنُه بشير ـ ويقال : غير

---

(١) الأنملة : المَفْصِل الأعلى الذي فيه الظفر من الإصبع . ورواية ابن سعد (الأُبلة) وأورد المصنف في اللسان حديث السقيفة فقال : الأُبلة بضم الهمزة واللام وفتحها وكسرها ، أي خوصة القَلْب ، وهمزتها زائدة ، يقول : نحن وإياكم في الحكم سواء لافضل لأمير على مأمور كالخوصة إذا شُقت باثنتين متساويتين . اللسان (بلم) .

(٢) كذا الأصل ولفظ ابن عساكر في المطبوع (تكره) بالنون .

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٣٣٢/٥ وفيه : خلاد بن عبيدة .

بشير ـ فأكل فأكثر من الأكل ، فلحظه معاوية ، وفطِنَ عبيد الله بن أبي بكرة ، فأراد أن يغمزَ ابنَهُ فلَمْ يمكنه ولم يرفع رأسَه حتى فرغ . فلما خرج لامَهُ على ما صنع ؛ ثم عاد إليه وليس معه ابنه ، فقال معاوية : ما فعل ابنُكَ التِّلقامة ؟ قال : اشتكى ، قال : قد علمت أنَّ أكله سيورِّثُه داءً .

قال سلم بن قتيبة :

مرَّ بي بشير بن عبيد الله بن أبي بكرة فقال : ما يُجلسُك ؟ قلت : خصومةٌ بيني وبين ابنِ عمٍّ لي ادَّعى شيئاً في داري . قال : فإنَّ لابيك عندي يداً ، وإني أريدُ أنْ أجزيكَ بها ، وإني والله ما رأيتُ شيئاً أذهبَ للدين ، ولا أنقَص للمروءة ، ولا أضيعَ للذَّة ، ولا أشغلَ لقلبٍ من خصومة . قال : فقمتُ لأرجع ، فقال خصمي : ما لك ؟ قلت : لا أخاصمُك ، قال : عرفْتَ أنه حقي ؟ قلت : لا ولكني أكرِّم نفسي عن هذا . قال : فمررتُ بعدُ ببشيرٍ وهو يخاصم فذكَّرتُه قَوْلَه ؛ قال : لو كان قَدْرَ خصومتِكَ عشرَ مرَّاتٍ فعلت ، ولكنه مَرْغاب[1] ، أكثر من عشرين ألف ألف .

١١٠ ـ بَشِير بن عَقْربة ، ويقال : بِشر أبو اليمان الجُهَني

له صحبة . روى عن النبي ﷺ حديثَيْن .

حدَّث عبد الله بن عوف الكِناني ـ وكان عاملاً لعمر بن عبد العزيز على الرَّمْلة ـ قال :

شهدتُ عبد الملك بن مروان قال لبشير بن عقربة الجُهَني يوم قتل عمرو بن سعيد بن العاص : يا أبا اليمان قد احتجتُ اليوم إلى كلامك ، فقُمْ فتكلَّمْ . فقال : إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : مَنْ قام بخُطبةٍ لا يلتمسُ بها إلاَّ رياءً [١٠٦ أ] وسُمْعَةً وقَفَهُ الله يومَ القيامة موقفَ رياءٍ وسمعة .

قال بشير بن عقربة :

لما قُتل أبي يوم أحُد أتيتُ رسولَ الله ﷺ وأنا أبكي ، فقال : يا حبيب ما يبكيك ؟ أما ترضى أن أكون أنا أبوك ، وعائشة أُمُّك . فمسح على رأسي ، فكان أثَرُ يدِه من رأسي

(١) مرغاب : نهر بالبصرة . قال البلاذري : وحفر بشير بن عبيد الله بن أبي بكرة المرغاب وسماه باسم مرغاب مرو . انظر عمله فيه وخبر مخاصمته في معجم البلدان .

أسودَ وسائره أبيض ، وكانت بي رُتَّة[1] ، فتفل فيها فانحلَّتْ . وقال لي : ما اسمك ؟ قلت : بجير ، قال : بَلْ أنتَ بشير . وبشير معروف بفلسطين .

١١١ ـ بَشِير بن الخصاصِيَّة[2]

وهي أمُّه ، واسمُ أبيه معبد ، ويقال : زيد بن معبد بن ضباب بن سُبَيع ، وقيل : ابن شراحيل بن سبع بن ضَبَارِيِّ بن سَدُوس السَّدُوسيّ ، صاحب رسولِ الله ﷺ . كان اسمه زَحْم[3] ، فسماه رسولَ الله ﷺ بشيراً ، سكن البصرة وتوجَّه منها إلى حمص واجتاز بدمشق .

حدّث بشير قال :

كنت أماشي رسولَ الله ﷺ آخذ بيده ، فقال لي : يا بنَ الخصاصيَّة ، ما أصبحتَ تنقِمُ على الله تباركَ وتعالى ، أصبحتَ تماشي رسولَ الله ﷺ . قال : أحسبُه قال : أخذ بيده ، قال : قلت : ما أصبحتُ أنقِمُ على الله شيئاً ، قد أعطاني الله تبارك وتعالى كُلَّ خَيْر . قال : فأتينا على قبور المشركين ، فقال : لقد سبق هؤلاء خيراً كثيراً . ثلاث مرات . ثم أتينا على قبور المسلمين فقال : لقد أدرك هؤلاء خيراً كثيراً . ثلاث مرات يقولها . قال : فبَصُرَ برجلٍ يمشي بين المقابر في نعلَيْه فقال : ويحَكَ يا صاحبَ السِّبْتَيْن ، ألقِ سِبْتَيْكَ[4] . مرتين أو ثلاثاً . فنظر الرجل ، فلمَّا رأى رسولَ الله ﷺ خَلع نعلَيْه .

قال بشير :

أتيتُ رسولَ الله ﷺ ، فدعاني إلى الإسلام ثم قال لي : ما اسْمُك ؟ قلتُ : نذير ، قال : بَلْ أنتَ بشير . [١٠٦ ب] قال : فأنزلني الصُّفَّة ، فكان إذا أتَتْهُ هدية أشركنا فيها ، وإذا أتته صَدَقة صَرفها إلينا . قال : فخرج ذات ليلة فتبعته ، فأتى البقيع فقال : السلامُ

---

(١) الرُّتَّة : عجلة في الكلام ، وقلّة أناة : أو هي العجمة في الكلام ، وعقدة في اللسان . اللسان (رتت) .

(٢) نسبة إلى الخصاصة ، وهو حي من الأزد كما في الاشتقاق ٣٥٢ .

(٣) في الأصل بهملتين ، وما أثبتناه موافق لضبط ابن حجر في الإصابة ، ولما جاء في ابن عساكر وطبقات ابن سعد ٥٥/٧ ومسند أحمد ٨٤/٥ .

(٤) قال المصنف في اللسان : ويروى السِّبْتِيَّتَيْن ، على النسب (سبتيّة) وإنما أمره بالخلع احتراماً للمقابر ، لأنه يمشي بينها ؛ وقيل : كان به قذر ، أو لاختياله في مشيه . اهـ . وهذه رواية النسائي في الجنائز . والإمام أحمد ٨٣/٥ ، ٨٤ ، ٢٢٤ .

عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنّا بكم لا حقون ، وإنّا لله وإنا إليه راجعون ، لقد أصبتم خيراً جميلاً[1] ، وسبقتم شراً طويلا . ثم التفت إليّ فقال : مَنْ هذا ؟ قال : فقلت : بشير ، فقال : أما ترضى إنْ أخذ الله بسمعك وقلبك وبصرك إلى الإسلام مِنْ بين ربيعةَ الفَرَس الذين يزعمون أن لولاهم لائتفكَتِ الأرضُ بأهلها[2] ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : ما جاء بك ؟ قلت : خفت أن تُنْكَب أو تصيبك هامَّةٌ من هوامّ الأرض .

قال محمد بن عبد الكريم :

إنما سُمِّي الفَرَس لأنّ أباه نزار بن معد كان له فرس ، وقُبَّةٌ من أدَم وحمار ، فجعل الفرس لأكبر ولده ربيعة ، والقُبَّةَ للذي يتلوه وهو مُضَر ، والحمار للثالث وهو إياد . فلذلك يقال : ربيعة الفَرَس ، ومُضَر الحمراء ، وإياد الحمار .

حدث بشير بن الخَصاصيّة قال :

أتيتُ النبيَّ ﷺ لأبايعه ، فاشترط علي فقال : تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتحجّ البيت ، وتصوم رمضان ، وتجاهد في سبيل الله . قال : قلت : والله يا رسول الله ، أما ثنتان فلا أطيقُهما : الصَّدَقَةُ والجهاد ، والله مالي إلاّ عشر ذَوْدٍ[3] هنّ رسلُ أهلي وحمولتهن ؛ وأما الجهاد فيزعمون أنه من ولّى فقد باء بغضبٍ من الله عزّ وجل ، وأخافُ إنْ حضر القتال جَزِعَتْ نفسي وخفتُ الموت . قال : فقبض رسولُ الله ﷺ يده ثم بسطها فقال : لا صدقةَ ولا جهاد فبمَ تدخل الجنة ؟ ! قال : قلت : يا رسول الله أبايعُكَ ، فبايَعَني عليهنّ كُلِّهن .

قالت ليلى امرأةُ بشير : إنها سمعَتْهُ سأل النبيَّ ﷺ :

أصومُ يوم الجمعة ولا أكلّم ذلك اليوم أحداً ؟ فقال النبيُّ ﷺ : لا تَصُم الجمعة إلاّ في أيامٍ هو أحدها ، [١٠٧ أ] أو في شهر ، فأمّا أن لا تكلم أحداً فلعمري لأنْ تكلّمَ بمعروف وتنهى عن منكر خَيْرٌ من أنْ تسكت .

---

(١) في المطبوع (جزيلاً) . وجميلاً : أي واسعاً كثيراً . انظر اللسان (جمل) .

(٢) ائتفكت البلدة بأهلها أي انقلبت ، ورواية المصنف في اللسان : « أنتم تزعمون لولا ربيعة لائتفكت الأرض بمن عليها » .

(٣) الذود للقطيع من الإبل الثلاث إلى التسع . وقيل غير ذلك . انظر اللسان (ذود) .

١١٢ ـ بَشِيرُ بنُ النُّعمانِ بنِ بشير بن سعد

الأنصاريُّ الخزرجي . حدَّث عن أبيه أنَّ النبيَّ ﷺ قال في خُطْبته أو في موعظته : أيُّها الناس ، الحلالُ بيِّنٌ والحرامُ بيِّن ، وبين ذلك أمورٌ مشتبهاتٌ ، فمن تركهنَّ سلم دينُهُ وعِرْضُه ، ومن أوضعَ فيهنَّ يوشِكُ أنْ يقعَ فيه ، ولكلِّ ملك حِمى ، فإنَّ حمى الله في أرضه معاصيه .

١١٣ ـ بَشِيرُ بنُ النعمانِ بنِ عليِّ بنِ محمد

ابن الحجَّاج بن نُوح بن يزيد بن النعمان بن بشير بن سعد ، أبو الخزرج بن أبي القاسم ، الأنصاريُّ النعمانيُّ المقرئ .

حدَّث بسنده عن حُذَيفة بن اليَمَان ، قال : قال رسول الله ﷺ :

أنا سيِّدُ الناسِ يوم القيامة ، يدعوني ربي فأقول : لبيك وسعديك ، والخَيْرُ بيديك والشرُّ ليس إليك . قال : والشرُّ ليس إليك : يعني ليس يتقرَّب به إليك .

وحدَّث بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسولُ الله ﷺ :

والله للهُ أفرحُ بتَوْبةِ العبد من العبد بجدِّ ضالَّته بالفلاة .

مات أبو الخَزْرج بشير بن النعمان سنةَ خمسٍ وأربع مئة ، وقيل : سنة تسع وأربع مئة .

١١٤ ـ بَشِير مَوْلى معاوية بن أبي سفيان

حدث عن عشرة من أصحاب النبي ﷺ . أحدهم حدير أبو فوزة ، أنه سمعهم يقولون إذا رأوا الهلال :

اللهم اجعل شهرنا الماضي خير شهر وخير عاقبة ، وأرسل علينا شهرنا هذا بالسلامة والإسلام ، والأمن والإيمان ، والمعافاة والرزق الحسن .

١١٥ ـ بَشِير مولى معاوية بن بكر

بفتح الباء وكسر الشين أيضاً .

قال بَشِير مولى معاوية بن بكر :

أمرني عمر بن عبد العزيز أخصي له نعلاً في خلافته . [١٠٧ / ب]

١١٦ ـ بَشِير مولى هشام بن عبد الملك

قال :

أُتي هشام برجلٍ عنده قيانٌ وخمرٌ وبَرْبَط ، فقال : اكسروا الطُّنْبُور على رأسه ، فضربه ، فبكى الشيخ . قال بشير : فقلتُ له ـ وأنا أُعَزِّيه : عليك بالصبر ، فقال : أتراني أبكي للضَّرْب ، إنما أبكي لاحتقارِهِ البَرْبط سُمّاهُ طُنبوراً .

قال :

وأغلظ رجلٌ لهشام ، فقال له هشام : ليس لك أنْ تُغْلِظَ لإمامك .

قال :

وتفقد هشامٌ بعض ولده لم يحضر الجمعة فقال له : ما منعك من الصلاة ؟ قال : نفقت دابتي ، قال : فعجزت عن المشي فتركت الجمعة . فمنعه الدابة سنة .

١١٧ ـ بُشَيرُ بنُ كَعْبِ بنِ أُبَيّ الحِمْيَرِيّ

أبو أيُّوب ، ويقال : أبو عبد الله العدويُّ البصريّ .

شهد وقعة اليرموك ، واستخلفه أبو عبيدة على خيلٍ باليرموك بعد فراغه منه وتوجّهه إلى دمشق .

حدث بُشَير بن كعب عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ :

سيِّدُ الاستغفار أنْ يقول العبد : اللهمَّ أنْتَ ربِّي وأنا عَبْدُك ، لا إله إلاَّ أنت ، خلقتني وأنا عَبْدُك ، أصبحتَ على عهدِكَ ووَعْدِكَ ما استطعت ، أعوذُ بكَ من شَرِّ ما صنعت ، أبوءُ لك بنعمتك عليَّ ، وأبوءُ لك بذنوبي ، فاغفِرْ لي ، إنَّه لا يغفرُ الذنوبَ إلاَّ أنت .

لما كان طاعونُ الجارف احتفر بُشير بن أبي[1] كعب العدوي قبراً ، فقرأ فيه القرآن ، فلما مات دُفن فيه .

حدَّث حَجير بن الرَّبيع عن عِمران بن حُصَين قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول :

الحياءُ خَيْرٌ كُلُّه . فقال بُشَير بن كعب : إنَّ منه ضعفاً ومنه وقاراً ، فقال عمران : يا حُجير مَنْ هذا ؟ قال : هذا بُشَير بن كعب ، وأثنى عليه خيراً ، فقال عمران : [١٠٨ / أ] أُحَدِّثك عن رسولِ الله ﷺ وتَزْعُم أنَّ منه ضعفاً ومنه وقاراً ! والله لا أحدِّثكم اليومَ بحديث ، وقام .

قال مجاهد :

جاء بُشَير العدوي إلى ابن عباس ، فجعل يحدِّثُ ويقول : قال رسولُ الله ﷺ ، قال رسولُ الله ﷺ ، فجعل ابنُ عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه ؛ فقال : يابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي ؟ أُحَدِّثُكَ عن رسولِ الله ﷺ ولا تسمع ! فقال ابنُ عباس : إنَّا كنا مرَّةً إذا سمعنا رجلاً يقول : قال رسولُ الله ﷺ ابتَدرَتْهُ أبصارُنا وأصغَيْنا إليه بآذاننا ، فلما ركب الناسُ الصَّعْبَ والذَّلول لَمْ نأخُذْ من الناس إلاَّ ما نعرف .

قال عليُّ بن زيد :

كان بُشَير بن كعب كثيراً ما يقول : انطلقوا حتى أُريكم الدنيا ، قال : فيجيءُ بهم إلى السوق وهي يومئذٍ مَزْبَلَة فيقول : انظروا إلى دجاجهم وبطهم وثارهم .

قال عنه الدارَقُطْنِي : بُشَير ثقة ، جليس ابن عباس . وأخرج عنه مسلم .

١١٨ - بِطريقُ بنُ بُرَيْدِ بنِ مسلم بن عبد الله الكلبيّ العُلَيْمي

من أهل دمشق .

حدَّث عن إبراهيم بن أبي عبلة قال :

بلغني أنَّ المؤمن إذا مات تمنَّى الرجعة إلى الدنيا ، ليس ذلك إلا ليكبِّر تكبيرةً أو يُهَلِّل تهليلةً أو يُسَبِّح تسبيحة .

---

(١) كذا الأصل والتاريخ .

١١٩ ـ بُغا أبو موسى الكبير

أحَدُ قواد المتوكِّل ، قدِمَ معه دمشق سنة ثلاث وأربعين ومئتين ، فاستشعر من قربه فأشخصه من دمشق لغزو الصائفة ، ومعه القواد ، ففتح صَمُلة[١]

حدث علي بن الحسين بن عبد الأعلى قال :

كان عبد الله بن طاهر قد أهدى للمعتصم شِهْرِيَّيْنِ مُلْمَغَيْنِ[٢] ، ذكر أنَّ خُراسان لم تخرِجْ مثلهما ، فسأله بُغا أن يحملَهُ على أحَدِهما ، فأبى وقال : تخيَّرْ غيرهما ماشئتَ فخذه . قال : فخرجنا ولم نأخذ [١٠٨ / ب] شيئاً ، فلما صرنا بطَبَرِسْتان[٣] عرضَ له قوم من أهلها فقالوا له : إنَّ في بعض هذه الغياض سَبُعاً قد استكلب على الناس وأفناهم ؛ فقال : إذا أردتُ الرحيلَ غداً فكونوا معي حتى تقفوني على موضعه ، قال : فلما رحلنا من غد حضر جماعة منهم ، فانفرد بهم في عشرين فارساً من غلمانه ، ومعه قوسُهُ ونُشَّابتانِ في مِنْطَقَته ، فصاروا به إلى الغَيْضَة ، فثار السَّبُع في وجهه من بينهم ، فقال : فحرك فرسه من بين يديه وأخذ نشابةً من النُّشَّابتَيْن فرماه في لَبَّته ، فمرَّ السهمُ فيها إلى الريش ، وركب السبعُ رأسَه ، وعاد بُغا إليه ، فما اجترأ أحدٌ على النزول إليه حتى نزل بُغا فوجدَهُ ميتاً . قال : فشبرناه فكان من رأسه إلى رأس ذنبه ستة عشر شبراً ، ووجدناه أحصَّ الشعر[٤] إلا مَعْرَفته . قال : فكتبنا بخبره إلى المعتصم فلحقنا جوابُ كتابنا بحُلْوان يذكر فيه أنه قد تفاءل بقتل السَّبُع ورجا أن يكون من علامات الظَّفَرِ ببابك[٥] ، وأنه قد وجَّه إلى بُغا بالشِّهْرِيَّيْن اللذين كان يطلبُ

---

(١) كذا ضبط في الأصل . وقد ورد لفظها بأشكال مختلفة في تاريخ الطبري (صملة وصمالة وصمالو وسمالو) وأوردها ياقوت بلفظ (صمالو) وقال عن أحمد بن يحيى : أهل صمالو من أهل الثغر الشامي قرب المصيصة وطرسوس اهـ . انظر خبر فتحها تاريخ الطبري ٥٤/٧ و ١٤٨/٨ ، ٣٢١ و ٢١٠/٩ والكامل لابن الأثير ٨٥/٧ .

(٢) الشهرية ضرب من البراذين ، وهو بين البرذون والمقرف من الخيل . والمقرف الذي دانى الهجنة من الفرس الذي أمه عربية وأبوه ليس كذلك . والتَّمغ لونه : ذهب .

(٣) قال ياقوت : هي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم ، والغالب على هذه النواحي الجبال ، فمن أعيان بلدانها دهستان وجرجان واستراباذ وآمل وهي قصبتها .. وهي بلاد كثيرة المياه ، متهدلة الأشجار ، كثيرة الفواكه إلا أنها مخيفة وخمة ، قليلة الارتفاع . انظر معجم البلدان .

(٤) من الحص وهو حلق الشعر .

(٥) قال ابن الأثير في تاريخه ٣٢٨/٦ : وفيها (أي سنة إحدى ومئتين) تحرك بابك الخرمي في الجاويدانية ، =

أحدهما فمنعه ، وبسبعِ خِلَعٍ من خاصَّةِ خِلَعه وثيابه ، وخمس مئة ألف درهم صلةً له وجزاءً على قتل السَّبُع ، قال : وإنما أراد المعتصم بذلك إغراءَه على طاعته ومجاهدةِ عدوِّه .

وكان بُغا مملوكاً لذي الرياستَيْن الحسن بن سهل . وكان يُحَمَّق ويُجَهَّل في رأيه مع شجاعته وإقدامه وكثرة وقائعه وفتوحه ؛ وولاَّه المستعين ديوان البريد . ومرض في جُمادى الآخرة سنة ثمانٍ وأربعين ومئتين ، وعاده المستعين ، فلما انصرف من عيادته قضى من وقته[1] .

وذكر أبو الحسن بن الوراق :

أنَّ بُغا كسر بابَ بيتِ المال فأخذ منه ما أراد وجمع أصحابه ، ثم صار إلى البيت ، فأُحرِق بابه ونُهِبَتْ داره ودور ولده وأسبابه بسُرَّ من رأى[2] ، فطلب الأمان فلم يؤمَّنْ ، فاستتر من أصحابه وانحدر في زورق مستخفيا ، فأخذته المغاربة عند الجسر بسُرَّ مَنْ رأى ليلة الخميس لليلةٍ بقيَتْ من ذي القعدة [١٠٩ / أ] سنة أربعٍ وخمسين ومئتين[3] ، فقتله وليدُ المغربي ، وطيف برأسه ثم بعث به إلى بغداد فنُصب هناك[4] .

= أصحاب جاويدان بن سهل صاحب البذ ، وادعى أن روح جاويدان دخلت فيه وأخذ في العبث والفساد . وتفسير جاويدان : الدائم الباقي ، ومعنى خُرَّم : فرج ، وهي مقالات المجوس ، والرجل منهم ينكح أمه وأخته وابنته ، ولهذا يسمونه دين الفرج ويعتقدون مذهب التناسخ ، وأن الأرواح تنتقل من حيوان إلى غيره ا هـ . وانظر ص ٢٤٤ من هذا الجزء .

(١) انظر خبر موته تاريخ الطبري ٢٥٨/٩ . وإلى هنا تنتهي ترجمة بغا الكبير . أما الخبر الذي يليه فهو من ترجمة بغا الصغير كما سيأتي . .

(٢) سُرَّ مَنْ رأى : هي سامراء ، مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة . انظر معجم البلدان .

(٣) في الأصل (ومئة) ومأثبتناه من ابن عساكر ١٩٥/١٠ .

(٤) الخبر منزلٌ في غير محله ، إذ إن محله ـ كما ذكر الطبري وغيره ـ في آخر ترجمة (بغا الصغير المعروف بالشرابي) المثبتة في تاريخ ابن عساكر والتي أسقطها المصنف من هذا المختصر . انظر تفصيل الخبر تاريخ الطبري ٣٧٩/٩ والكامل ١٨٦/٧ . ولعل الوهم ناجم من أن ابن عساكر رحمه الله عندما كان يجمع مادة كتابه أراد أن يلحق الخبر بترجمة بغا الصغير فألحقها بترجمة بغا الكبير سهواً والله أعلم .

١٢٠ ـ بقيَّةُ بن الوليد بن صائد

ابن كعب بن حَرِيز ، أبو يُحْمَد ـ بضم الياء وإسكان الحاء وفتح الميم ـ الكَلاَعيّ الحمصيّ . بعثه أبو جعفر المنصور إلى دمشق لمساحتها .

روى عن الزُّبيدي ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ :

إذا دُعي أحَدُكم إلى عُرس أو نحوه فَلْيُجِبْ .

حدّث بقيّةُ بسنده ، عن أبي الأسد السلمي ، عن أبيه ، عن جده ، قال :

كنتُ سابعَ سبعة ، فأمرنا رسولُ الله ﷺ ، فجمع كُلُّ رجلٍ منا درهماً ، فاشترينا أُضحيةً بسبعة دراهم ، فقلنا : يارسول الله لقد أغلينا بها ! فقال النبيُّ ﷺ : إنَّ أفضلَ الضحايا أغلاها وأنْفَسُها . فأمر رسول الله ﷺ رَجُلاً فأخذ بيد ، ورجُلاً بيد ، ورجُلاً برجْل ، ورجُلا برجْل ، ورجُلاً بقَرْن ، ورجُلاً بقَرْن ، وذبحها السابعُ وكبَّرنا عليها جميعاً .

وحدّث بقيّةُ عن ابن جُريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس .

أنَّ النبيَّ ﷺ رخَّص في دم الحُبَون[1] ـ يعني الدماميل ـ قال : فكان عطاء يصلّي وهي في ثوبه .

وقد أنكروا هذا الحديث وقالوا : إنَّ بقية قال : لَمْ أسمعْهُ أنا من ابن جُريج .

وُلد بقيّةُ سنة عشرٍ ومئة ، ومات سنة سبعٍ وتسعين .

حدث بقيّةُ بن الوليد عن بَحيرِ بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن خِيار بن سلمة قال :

سألت عائشة عن أكل البصَل فقالت : آخر طعام أكله رسول الله ﷺ طعامٌ فيه بصَل .

قال بقيّة بن الوليد :

قدمتُ على شعبة فأبعدني وأقصاني ، فأقمت عنده شهرَيْن لا أصلُ منه إلى شيء ، فبينا أنا عنده بين الظهر والعصر إذْ أقبل إليه رسولُ الأمير فقال له : يا أبا بِسْطام ، الأميرُ يقرأُ

---

(١) أورده المصنف في اللسان : وهي الدماميل واحدها حبن وحبنة بالكسر ، أي أن دمها معفو عنه إذا كان في الثوب في حالة الصلاة .

عليك السلام ويقول لك : ما تقول في رجلٍ ضربَ رجلاً على الرأس [١٠٩ ب] فادَّعى المضروبُ أنه قد منعه الشَّم ؟ قال : فلم يكن عند شُعْبَةَ جواب ، فانصرف إلى جُلَسائه فقال لهم : ما تقولون في مسألةِ الأمير ؟ فقالوا : وماهي ؟ فأخبرهم ، فلم يكُنْ عند القوم جواب ، فالتفتَ إليَّ فقال : ما اسمك ؟ قلت : بقيَّة ، قال : إذا نزل بكم هذا إلى من ترجعون ؟ قلت : إليك وإلى أمثالك ، قال : دَعْ هذا عنك إلى من ترجعون ؟ قلت : إلى أبي عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعيّ ، قال : ما يقول في مسألة الأمير ؟ قلت : أصلحك الله يُشمُّه الخَرْدَل المدقوق ، فإنْ دمعَتْ عيناه فكاذب ، وإن لم تدمَعْ عيناه فصادق . قال : فأفتى رسولَ الأمير بذلك . قال : وأقبل عليَّ فحدِّثني في شهرَيْن ماكنتُ أرضى أن يحدِّثَنيهِ في ستةِ أشهر .

قال بقيَّة :

دَخلتُ على هارون الرشيد فقال لي : يا بقيَّة إني لأحبُّك فقلت : ولأهل بلدي ؟ قال : لا إنهم جُند سَوْء ، لهم كذا وكذا غَدْرة في الديوان . قال : قلت يا أمير المؤمنين إذاً أنت وليُّهم ماذا تعهَدُ إليهم ؟ قال : أعهدُ إليهم أن يكونوا لليتامى كالأبِ الرحيم ، وللأراملِ كالزَّوْج الشفيق ، ويكونوا ويكونوا ، ولا أرضى منهم بذلك حتى يضَعُوا أيديَهُمْ على رأسي ، قال : فإنهم لا يفون بذلك يا أمير المؤمنين ، نحن قوم عرب يسرفون علينا ، فقال هارون الرشيد : فذلك كذلك ، ثم قال : حدِّثني يا بقيَّة ، فقلت : حدَّثني محمد بن زياد الألهاني ، عن أبي أمامة قال : قال رسولُ الله ﷺ : أنا سابق العرب إلى الجنة ، وسلمان سابقُ فارس إلى الجنة ، وصُهَيب سابق الرُّوم إلى الجنة ، وبلال سابق الحَبَشة إلى الجنة . قال : زِدْني ، قلت : حدَّثني محمد بن زياد الألْهَاني ، عن أبي أمامة قال : قال رسولُ الله ﷺ : وعدَني ربي أن يُدخِل الجنة من أمتي سبعين ألفاً ، مع كل ألف سبعين ألفاً ، وثلاث حَثَيات من حَثَيات ربي[1] . قال : فامتلأ من ذلك فرحاً وقال : يا غلام ناولْني الدواةَ أكتبُها . قال : وكان القيِّمَ بأمره الفضلُ بن الربيع ، ومرتبَتُه بعيدة ، فناداني فقال لي : يا بقيَّة ناولْ أمير المؤمنين الدواة بجنبك ، قلت : ناولْهُ أنت يا هامان ، فقال : سمعتَ ما قال لي [١١٠ آ] يا أمير المؤمنين ؟ قال : اسكُتْ فما كنتَ أنتَ عنده هامان حتى كنتُ أنا عنده فرعون .

---

(١) ثلاث حثيات : أي ثلاث غرف بيده . قال ابن الأثير : هو مبالغة في الكثرة ، وإلا فلا كفَّ ثم ولا حثي ، جلَّ الله تبارك وتعالى عن ذلك وعز . (لسان) .

وكان بقيّة بن الوليد يقول :

ما أرْحَمَني للثلاثاء ما يصومُه أحَد .

مات بقيّة سنة ست وتسعين ومئة . وقيل : سنة سبعٍ وتسعين ومئة بحمص . وقيل : سنةَ ثمانٍ ، وقيل : سنةَ تسعٍ . وسنةَ سبعٍ وتسعين أصحّ .

١٢١ ـ بَقِيُّ بنُ مَخْلَدِ بنِ يزيد

أبو عبد الرحمن الأندلسي الحافظ أحَدُ علماء الأندلس ، ذو رحلةٍ واسعة . سمع بدمشق وبغيرها ، وصنَّف المسند والتفسير وغيرهما . وكان ورعاً فاضلاً زاهداً مُجابَ الدعوة . ورُوي أنَّ عدد شيوخه الذين روى عنهم مئتان وأربعةٌ وثمانون رجلاً .

قال عبد الرحمن بن أحمد : سمعتُ أبي يقول :

جاءت امرأةٌ إلى بَقيّ بن مَخْلَد فقالت : إنَّ ابني قد أسرَهُ الروم ، ولا أقدر على مال أكثر من دُوَيْرة ولا أقدرُ على بيعها ، فلو أشرتَ إلى من يفديه بشيء فإنَّه ليس لي ليلٌ ولا نهار ولا نوم ولا قرار . فقال : نعم ، انصرفي حتى أنظر في أمره إنْ شاء الله . قال : وأطرقَ الشيخ ، وحرَّك شفتَيْه . قال : فلبثنا مُدَّةً ، فجاءتِ المرأةُ ومعها ابنُها ، فأخذَتْ تدعو له وتقول : قد رجع سالماً وله حديثٌ يحدِّثك به ، فقال الشاب : كنتُ في يَدَيْ بعضِ ملوكِ الرُّوم مع جماعة من الأُسارى ، وكان له إنسانٌ يستخدِمُنا كُلَّ يوم ، يخرجُنا إلى الصحراء للخدمة ، ثم يردُّنا وعلينا قيودُنا ، فبينا نحن نجيءُ من العمل بعد المغرب مع صاحبه الذي يحفظنا ، فانفتح القَيْدُ من رِجْلي ووقعَ على الأرض ؛ ووصفَ اليومَ والساعةَ فوافقَ الوقتَ الذي جاءَت المرأةُ ودعا الشيخ ؛ قال : فنهض إليَّ الذي كان يحفظُني وصاح عليَّ وقال : كسرتَ القَيْد ! ؟ قلت : لا إنه سقط من رِجْلي . فتحيَّر وأخَّر صاحبه وأحضر الحدَّاد وقيَّدوني ، فلما مشَيْتُ خطواتٍ سقط القيد من رِجْلي ، فتحيَّروا في أمْري ! فدعَوْا رهبانهم [١١٠ ب] فقالوا لي : ألك والدة ؟ قلتُ : نعم ، فقالوا : وافق دعاؤها الإجابة ، وقالوا : أطلقَكَ الله فلا نقيِّدُك . فزوَّدوني وأصحبوني إلى ناحية المسلمين .

مات بَقيُّ بن مَخْلَد الأندلسيُّ سنةَ ستٍ وسبعين ومئتين . وقيل : سنة ثلاثٍ وسبعين . وولد في رمضان سنةَ إحدى ومئتين .

١٢٢ ـ بكَّارُ بنُ بلال أبو بلال العامِليّ

مولًى لثقيف ، ويُنسَبُ إلى عاملة .

حدَّث بكار بن بلال قال :

بلغني أنه لَمَّا بلغ أهلَ الشام يومَ صفين أنَّ عمار بن ياسر قد قتل بعثوا مَنْ يَعْرِفُه ليأتيَهم بعلْمِه ؛ فعاد إليهم فأخبرهم أنه قد قُتل ؛ فنادى أهلُ الشام أصحابَ علي : إنكم لستم بأولى بالصلاة على عمار بن ياسر منا . قال : فتوادعوا عن القتال حتى صلَّوْا عليه جميعاً .

حدَّث بكار بن بلال عن أبي عمرو الأنصاري

أنَّ علياً قال لأهل العراق : إنَّ بُسْر بن أبي أرطاة قد صعِدَ إلى اليمن ، ولا أحسبُ هؤلاء القوم إلاَّ ظاهرين عليكم ـ يعني أهلَ الشام ـ وما ذلك أنهم أولى بالحق منكم ، ولكن ذاك لاجتماعهم على أميرهم وافتراقكم ، وإصلاحهم في بلادهم ، وفسادكم في بلادكم ، وأدائهم الأمانةَ وخيانتكم ، والله لقد ائتمنت فلانا فخانني ، وفلاناً فخانني ـ يعدِّد ـ وفلاناً ولَّيته ، فجمع ما جمع من المال فانطلق به إلى معاوية ؛ ولقد خُيِّل لي أني لو ائتمنت أحَدَكم على قدحٍ لسرق علاقته . اللهمَّ إني قد مَلِلْتُهم ومَلُّوني ، اللهمَّ اقبضْني إلى رحمتك ، وأبدلْهم بي مَنْ هو شرٌّ لهم مني .

تُوفِّي أبو بلال بكَّار بن بلال سنة ثلاث وثمانين ومئة . وكان مولدُه في خلافةِ عُمر بنِ عبد العزيز سنة مئة . وهو ابن ثلاثٍ وثمانين سنة .

١٢٣ ـ بَكَّار بنُ تميم أبو عبد الرحمن من دمشق

حدَّث عن مكحول ، عن أبي أمامة قال :

كان أحبَّ الشرابِ إلى رسول الله ﷺ الحُلْوُ البارد . [١١١ أ]

١٢٤ ـ بَكَّار بن شُعَيب أبو خُزَيمة العَبْديُّ الدمشقيّ

حدَّث عن ابن أبي حازم[1] المدنيّ ، عن أبيه ، عن سَهْل بن سعد ، قال : قال رسولُ الله ﷺ :

الناسُ سواءٌ كأسنانِ المشط ، وإنما يتفاضَلُونَ بالعافية ، والمرءُ يكثُر بإخوانِه المسلمين ، ولا خَيْرَ في صحبةِ مَنْ لا يرى لك مِثْلَ الذي تَرَى له .

وقال عُمر :

عليكَ بإخوانِ الصِّدْق تعِشْ في أكنافهم ، فإنهم زينةٌ في الرَّخَاء ، وعُدَّةٌ في البلاء .

١٢٥ ـ بَكَّار بنُ قُتَيْبَةَ بنِ عُبَيْد الله بن أبي بَرْذَعَة

ابن عبيد الله بن بشير بن عبيد الله بن أبي بكرة ، أبو بكرة الثقفيُّ .

قاضي مِصْر أصلُه من البصرة ، ولي القضاءَ بمصر سنين كثيرة . قدِمَ دمشق سنةَ تسع وستين ومئتين [في][2] صحبة أحمد بن طولون ، وحدَّث بها ، وروى عنه جماعةٌ من أهلها .

حدَّث عن روح بن عُبادة بسنده ، عن ابن عباس

أنَّ أمَّ الفضل أرسلَتْ إلى النبيِّ ﷺ يوم عَرَفة بلَبَن ، فشربه وهو يخطُب الناس .

وحدَّث عنه أيضاً بسنده ، عن جابر بن عبد الله أنَّ رسولَ الله ﷺ [قال :][2]

من قال : سبحان الله العظيم وبحمده غُرِست له نَخْلَةٌ في الجنة .

وحدَّث عن الضحَّاك بن مَخْلَد بسنده ، عن أبي بكرة قال :

كان رسولُ الله ﷺ إذا أتاه الشيءُ يسرُّه سجد .

قال أحمد بن سهل بن بويه الهرويّ :

كنتُ ألازمُ غريماً لي إلى بعد العشاء الآخرة ، وكنتُ ساكناً في جوار بكَّار بن قتيبة ، فانصرفتُ إلى منزلي فإذا هو يقرأ : ﴿ يا داودُ إنَّا جعلناكَ خليفةً في الأرض ﴾ إلى قوله :

---

(١) في الأصل (خازم) بالخاء المعجمة ، وما أثبتناه من التاريخ والتهذيب .

(٢) ما بين المعقوفين من التاريخ .

﴿ فيضلك عن سبيل الله ﴾[1] فوقفتُ أتسمَّعُ عليه قليلاً ، ثم انصرفتُ ، فقمتُ في السحَر على أن أصير إلى منزل الغريم ، فإذا هو يقرأ هذه الآية يردِّدها ويبكي ، فعلمتُ أنه كان يقرؤها من أوّل الليل .

قال سعيد بن عثمان : سمعتُ بكّار بن قُتيبة يُنشد : [من الطويل]

[١١١ /ب]لنفسيَ أبكي لَستُ أبكي لغيرِها ... لِعَيْبيَ في نفسي عنِ الناسِ شاغلُ

ولي بكار بن قتيبة القضاء بمصر من قِبَل المتوكّل . قدمها يومَ الجُمعة لثانٍ بقينَ من جمادى الآخرة سنة ستٍ وأربعين ومئتين . وتوفي في ذي الحجة سنةَ سبعين ومئتين . ولَمْ يزلْ قاضياً إلى أن تُوفي . وأقامت مصر بلا قاضٍ سبعَ سنين إلى أن ولّى خُمَارَوَيْه بن أحمد بن طولون محمدَ بنَ عَبْدَة القضاء . وكان أحمدُ بن طولون أراد بكاراً على لعن الموفق فامتنع من ذلك فسجنه إلى أن مات أحمد ؛ فأطلق من السجن . فمكث بعد ذلك يسيراً ثم مات ؛ فغُسِّل ليلاً وكثر الناس فلم يدفن إلى وقت صلاة العصر . وكان مولد بكّار بالبصرة سنة اثنتين وثمانين ومئة ، ومات وهو ابن سبع وثمانين .

وكان من الحمد في ولايته القضاء ومن القبول لأهلها إياه ، ومن عِفّته عن أموالهم ومن سلامته في أحكامه ، ومن اضطلاعه بذلك على نهاية ما يكون عليه مثله ، حتى لو كانت أخلاقه ومذاهبه هذه فيمن تقدَّم لكان يَبين بها عن كثيرٍ منهم . وكان الأمير أحمدُ بن طولون من المعرفة بحقه ، والميل إليه والتعظيم لقَدْره على نهاية ، وكان يأتي إليه وهو يلي على الناس الحديث على كثرة من كان يحضر مجلسه ، فيمنع حاجبُه مستمليَهُ من الانقطاع عن الاستملاء عليه ؛ ثم يصعَدُ إليه إلى المجلس الذي كان يُحدِّثُ فيه ، فيقعدُ مع الناس فيه ويستتمُّ بكّارٌ مجلسه وهو حاضر ، ثم لا يقطعه بحضوره إياه ؛ فلم يزل كذلك حتى أراد منه أحمد بن طولون خَلْعَ أبي أحمد الموفق ولَعْنَه ، فأبى ذلك عليه ، فلمّا رأى أحمد بن طولون أنه لا يلتئم له منه ما يحاوله منه ألّب عليه سفهاء أهل الأحياش ومن سواهم من العوام ، وجعله لهم خصماً . وكان يُقعد له من يقيمُه بين يديه مع من يخاصِمُه مقام الخصوم فلا يأبى ذلك ويقوم بالحجة لنفسه . وكان أحمد قد حَبَس [١١٢ / آ] القاضي بكاراً بالمرفق في القمّاحين . قال :

---

(١) سورة ص ٣٨ الآية ٢٦ .

فأُدخلَ إليه فقال : هذا رجل كان يزعم أنه قاضي المسلمين خمسةً وعشرين سنة ، وقد غصَبَني داري وهو ساكنها الآن ولي عليه من أُجرتها خمسةُ دنانير ؛ فسئل القاضي بكار عن ذلك فقال : لا أدري ما يقول هذا الرجل ، أنا لَمْ أنزل هذه الدار ، وإنما أُنزلتها كُرْهاً ، فإن كان مغصوباً فالذي غصبه هو الذي أنزلنيها . وهذا في الجملة كلامٌ محال ، ما ظننتُه يجوز على أحد ، لأني إنْ كنت غاصباً فما له عليَّ أجرة معلومة ، ولئن كانت له عليَّ أجرة بسكناي داره فما أنا غاصب . قال : فأمر للذي كان يخاصم إليه بخمسةِ دنانير فدُفعتْ إلى الذي خاصمه وأُصرف . وكان في هذه الدار في كل يوم جُمعة إذا جاء وقتُ الرَّواحِ لصلاة الجمعة لبس ما كان يلبَسُه للجمعة وخرج إلى الباب يُريد الرواحَ منه فيقول له الموكَّلون به : ارجعْ ، فيقول : اللهمَّ اشهَدْ ، ثم يرجع . فلم يزَلْ كذلك فيها حتى توفي أحمد بن طولون ؛ فبقي هو فيها بعد ذلك حتى تُوفي وأُخرجت جنازته بعد العصر وكَثُرَ الناسُ وفيهم أصحابُ أحمد بن طولون قد غطَّوْا رؤوسهم حتى لا يُعرفوا وزادت الجماعة من غير أنْ يُرى في الناس راكبٌ واحد ، فشهده أكثر ممن شهد العيد بوقارٍ وسكينة .

١٢٦ ـ بَكَّار بن محمد

حدَّث عبد الله بن سعيد بن يحيى الرَّقِّي قاضي فارس قال :

كتبَتْ إليَّ والدتي مريَّةُ بنةُ مروان بن يزيد بن عبد الملك بن عياض بن غَنْم القُرَشيَّة من الرقَّة وأنا على قضاء تُسْتَر[1] تقول : حدَّثَتْني والدتي عاتكة بنةُ بكار عن أبيها بكار بن محمد قال : دخلتُ على هشام بن عبد الملك بالرُّصافة وهو جالسٌ في قُبَّته الخضراء وعنده ابن شهاب الزُّهْريّ ؛ فحدَّثنا ابنُ شهاب ، عن سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عُمر أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : ما ترك عبد الله أمراً لا يتركُهُ إلاَّ لله تعالى [١١٢ / ب] إلا عوَّضَهُ الله منه ما هو خَيْرٌ له منه في دينِهِ ودُنْيَاه . قالتِ العجوز : فآثِرْني على ما أنتَ فيه يعوِّضْكَ الله تعالى ويؤثِرْكَ . وكتبَتْ إليَّ في أسفل كتابها لنفسها : [من الطويل]

عجوزٌ بأرضِ الرَّقَّتَيْنِ وحيدةٌ ... لِنَأْيِكَ بالأهْوازِ ضاقَ بها الذَّرْعُ

وقد ماتتِ الأعضاءُ من كُلِّ جسمها ... سوى دمعِ عينَيْها فلم يَمْتِ الدَّمْعُ

---

(١) تستر : أعظم مدينة بخوزستان . (معجم البلدان) .

تُراعي الثريَّـا مـا تَلَـذُّ بِغَمْضِهـا ... إلى أنْ يضيءَ الصبـحَ أنجُمَـه السَّبْـعُ
وكم في الـدجى من ذي همـومٍ مُقَلْقَـلٍ ... وآخرَ مسرورٍ يـدرُّ لـه الضَّرْعُ
ومَنْ أضحكَتْـهُ الـدارُ وهي أنيسَـةٌ ... بكاها إذا مـا نـابَ مِنْ حـادثٍ قَرْعُ

١٢٧ ـ بكر بنُ أحمد بنِ حَفْص بن عمر بن عثمان

ابن سلمان ، أبو محمد التَّنِّيسيّ المعروف بالشعراني .

سمع بدمشق جماعة .

حدّث عن محمد بن عوف بسنده ، عن ابن عمر قال :

نهى رسول الله ﷺ عن الإخصاء وقال : فيه نَمَاءُ خَلْقِ الله تعالى[1].

١٢٨ ـ بَكْرُ بنُ سَهْلِ بنِ إسماعيلَ بنِ نافع ، أبو محمد الدِّمْياطيّ

مولى بني هاشم ، سمع بدمشق .

حدّث عن عبد الله بن يوسف بسنده ، عن عقبة بن عامر ، أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال :

إنَّ الذي يُسِرُّ بالقرآن كالذي يُسِرُّ بالصدقة ، والذي يَجْهَرُ بالقرآن كالذي يَجْهَرُ بالصدقة .

وحدّث أيضاً بكر بن سهل ـ وكان شيخاً مربوعاً أسمر ، كبير الأذنين ـ حدّث بسنده عن أبي هريرة عن رسولِ الله ﷺ قال :

ما من عبدٍ يمرُّ بقبر كان يعرفُه في الدنيا فيسلِّم عليه إلاَّ عَرَفه . وفي رواية : وردَّ عليه السلام .

توفي بدِمْياط في ربيع الأول سنةَ تسعٍ وثمانين ومئتين . وقيل : إنه مات في ربيع الآخر بالرملة بعد عَوْدِهِ من الحج ، وإنَّ مولده سنة ستٍ وتسعين ومئة . ا ١١٣ / آ ا

وكان قد جُمع له بالرَّمْلة خمسَ مئة دينار ليقرأ عليهم التفسير فامتنع وقدم بيت المقدس ، فجُمع له من الرَّمْلة ومن بيتِ المقدس ألفُ دينار ، فقرأ عليهم الكتاب ومات في هذه السنة .

---

(١) وأخرجه مالك في الموطأ باب السنة في الشعر ١٢٤/٣ عن ابن عمر بلفظ : « فيه تمام الخلق » .

١٢٩ ـ بَكْر بن شُعَيب بن بكر بن محمد بن أيُّوب

ابن عبد الرحمن أبو الوليد القرشيّ .

روى عن أبي بكر القاسم بن عيسى العصّار[١] بسنده ، عن ابن عمر قال : قال رسولُ الله ﷺ : التمِسُوا ليلةَ القدر في السبعِ الأواخر .

وحدَّث عن سعيد بن عبد العزيز بسنده ، عن عبد الرحمن بن عوف قال : قال رسولُ الله ﷺ : إنَّ الله وملائكته يُصَلُّونَ على الصفِّ الأوَّل .

توفي أبو الوليد يومَ السبت لستٍ خَلَوْنَ من جمادى سنة أربعٍ وخمسين وثلاث مئة .

١٣٠ ـ بَكْرُ بنُ عَبْد العزيز بن إسماعيل بن عُبيد الله

ابن أبي المهاجر أبو عبد الحميد القُرَشيُّ المَخْزُوميّ . مولاهم .

حدَّث عن سليمان بن أبي كريمة ، عن حيّار[٢] مولى أُمِّ الدرداء عن أم الدرداء قالت :

خرج أبو الدرداء يريدُ النبيَّ ﷺ فوجد جماعةً من العرب يتفاخرون ، قال : فاستأذنتُ ، فأذن لي رسولُ الله ﷺ فقال لي : يا أبا الدرداء ما هذا اللَّجَبُ الذي أسمع ؟ قال : قلت : يا رسولَ الله هذه العرب تتفاخَرُ فيما بينها ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا الدرداء إذا فاخرتَ ففاخِر بقريش ، وإذا كاثَرْتَ فكاثِرْ بتميم ، وإذا حاربْتَ فحارِبْ بقيس ، ألا إنَّ وجوهها كِنانة ، ولسانَها أسد ، وفرسانَها قيس ؛ إنَّ لله يا أبا الدرداء فرساناً في سمائه يقاتل بهم أعداءه ، [وهم الملائكة ، وفرساناً في الأرض يقاتلُ بهم أعداءه][٣] وهم قيس ، يا أبا الدرداء ، إنَّ آخر من يقاتل عن الإسلام حين لا يبقى إلاَّ ذِكْرُه ، ومن القرآن إلاَّ رسْمُه لَرَجلٌ من قيس . قال : قلت : يا رسول الله مِنْ أيِّ قيس ؟ قال : من سُلَيم[٤] .

---

(١) هذه النسبة إلى عصر الدهن ، كما في اللباب ٣٤٢/٢ .

(٢) كذا ضبط في الأصل و نسخة أحمد الثالث من التاريخ ، بالحاء المهملة وتخفيف الياء ، ولم نقف عليه . وفي المطبوع من التاريخ (جبّار) .

(٣) ما بين المعقوفين من التاريخ المطبوع ٢٥٢/١٠ .

(٤) سليمان بن أبي كريمة راوي هذا الحديث ضعفه أبو حاتم . وقال ابن عدي : عامة أحاديثه مناكير ، ولم أر للمتقدمين فيه كلاماً اهـ . ميزان الاعتدال ٢٢١/٢ .

قيل لعبد الملك بن مروان : من أفضل قريش ؟ قال : بنو هاشم ، قيل : ثم من ؟ [١١٣ ب] قال : ثم بنو أُميَّة ، قيل : ثم مَنْ ، قال : بنو مخزوم ، قيل : ثم مَنْ ؟ قال : قريشٌ بعد هؤلاء كأسنانِ المشط .

١٣١ ـ بكر بن عمرو المَعَافِريُّ المصريّ

إمام المسجد الجامع بمصر .

حدَّث عن مِشْرَح بن هاعان عن عُقبة بنِ عامر الجُهَنيّ قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول :

لو كان بعدي نبيٌّ لكانَ عمرُ بن الخطاب .

تُوفِّي بكر بن عمرو في خلافة أبي جعفر المنصور ، وكانت له عبادةٌ وفَضْل .

حدَّث بكر بن عمرو

أنه لم ير أبا أمامة[1] ـ يعني ابن سهل ـ واضعاً إحدى يديه على الأخرى قطُّ ، ولا أحَدّ من أهل المدينة حتى قدم الشام فرأى الأوزاعيَّ وناساً معه يضعونه .

١٣٢ ـ بكر بن محمد بن بكر بن خُرَيم أبو القاسم

المِزِّيّ الطرائفيّ المعدّل .

حدث بدمشق عن أبي الحسن أحمد بن عُمير بن يوسف بن جَوْصَا بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

إذا مررتُم برياضِ الجنَّة فارْتَعُوا ، قالوا : يا رسول الله ، وما رياضُ الجنة ؟ قال : حلَقُ الذِّكْر .

وُلد بكر بن محمد سنةَ تسعٍ وثلاث مئة .

---

(١) في الأصل (أبا أسامة) وهو تصحيف . ومأثبتناه من ابن عساكر المطبوع ٢٥٣/١٠ والإصابة .

١٣٣ ـ بكر بن محمد بن عليّ بن حيْد بن عبد الجبّار

ابن النَّضْر بن مسافر بن قصي ، أبو منصور التاجر النيسابوريّ .

حدّث عن أبي الحُسَين أحمد بن محمد بن عمرو[١] الخَفّاف بسنده ، عن أنس أنّ النبيَّ ﷺ كان لا يدّخر شيئاً لغدٍ .

قال أبو بكر الخطيب :

سمعتُ ابنَ حيْد يقول : ولدتُ في سنة ست وثمانين وثلاث مئة .

وحيْد بكسر الحاء المهملة والياء باثنتين من تحتها .

وكان بَكْرٌ ثقة ، حسَنَ الاعتقاد ، صحيحَ المذهب ، كثيرَ الدَّرْس للقرآن ، محباً لأهل الخير ، متفقّداً للفقراء بالبرّ والإرفاق .

مات بالرَّي سنة أربعٍ وستين وأربعِ مئة .

١٣٤ ـ بَكْرٌ بن مُصْعَب [١١٤ أ]

دخل دمشق وسُئل عنها ، فقال : هي جنّةُ الدنيا للمطيع لله ، إذا مات بها لا يقال له : استراحَ من الدُّنيا ـ يعني أنه كان في جَنّة فانتقل إلى جَنّة .

١٣٥ ـ بُكير بن ماهان ، أبو هاشم الحارثيّ

أحَدُ دُعاة بني العباس .

رُوي عن بُكير بن ماهان أنه قال :

يَلي من ولد العباس أكثَرُ من ثلاثين رجلاً ، ستةٌ منهم يُسَمَّوْنَ باسم واحد ، وثلاثةٌ باسم واحد ، يفتح أحد الثلاثة القُسْطَنْطِينيّة .

---

(١) في الأصل (عمر) سقطت الواو ، وكذا في التاريخ ؛ وما أثبتناه من الإكمال وأنساب السمعاني واللباب .

قال محمد بن جرير الطَّبَري[1] :

وفي سنة ثماني عشرة ومئة وجَّه بُكَيْر بن ماهان عمار بن يزيد إلى خراسان والياً على شيعة بني العباس ، فنزل فيما ذُكر مَرْو ، وغيَّر اسمه وتسمَّى بخداش ، ودعا إلى محمد بن علي ، فسارع إليه الناس وقبلوا ما جاءهم به ، وسمعوا له وأطاعوا ، ثم غيَّر ما دعاهم إليه ، وتكذَّب وأظهر دين الخُرَّمية ودعا إليه ، ورخَّص لبعضهم في نساء بعض وأخبرهم أنَّ ذلك عن أمر محمد بن عليّ : فبلغ أسدَ بن عبد الله خبرُه ، فوضع عليه العيون حتى ظفر به ، فأُتي به وقد تجهَّز لغزو بَلْخ ، فسأله عن حاله ، فأغلظ خداش له القول : فأمر [به] فقُطعَتْ يده ، وقُطع لسانه ، وسَمَل عينيه . فذكر عليُّ بن محمد[2] عن أشياخه قال : لما قدم أسد آمُل في مبدئه أتَوْه بخداش صاحب الهاشمية ، فأمر به قُرْعَةَ الطبيب فقطع لسانه وسمل عينيه وقال : الحمد لله الذي انتقم لأبي بكر وعمر منك . ثم دفعه إلى يحيى بن نُعيم الشيباني عامل آمُل ، فلما قفل من سَمَرْقَنْد كتب إلى يحيى فقتله وصلبه بآمُل .

١٣٦ ـ بُكير بن محمد بن بُكير أبو القاسم المنذري الطَّرَسُوسي

حدَّث بدمشق .

وروى عن أبي القاسم عليّ بن يعقوب بن إبراهيم المعروف [١١٤ ب] بابن أبي العقب ، عن عيسى بن عبد الله ، عن نعمان وهو المتعبَّد قال : سمعتُ ابن عاصم يقول :

مَن لم ينتهز البُغْيَةَ عند إمكان الفرصة عضَّ على النَّدَم عند فواتِ الإمكان ، فلا إمكان كسلامة الأبدان في الأيام الخالية ؛ فمَنْ أحبَّ أنْ يكون في الدنيا حكيماً مؤدباً ، وفي الآخرة ملكاً متوجاً فليقبَلْ مني ثلاثَ خِلال : يَنْفي عن قلبه سلطان الطَّمَع بالإياس ؛ ويُميت من قلبه سَوْرة الغَضَب بالتواضع لله عزَّ وجل ؛ والثالثة رأس كُلِّ خَيْر هي ابتداؤه ووسَطُه وتمامُه : يؤثر دلالة العقلِ والعِلْم على جَلَب الهوى يقع به الحق حَيْثُ كان .

---

(١) في تاريخه ٧/١٠٩ .

(٢) لفظ الطبري (فذكر محمد بن علي) وهو وهم . وما أثبته ابن عساكر والمصنف هو الصواب إذ هو علي بن محمد المدائني المؤرخ أبو الحسن المتوفى ٢٢٥ هـ ، لأن الطبريَّ ينقل عنه . انظر الطبري ٧/٩٩ و ١٠٥ وفهارسه .

١٣٧ ـ بُكير بن معروف أبو معاذ

ويقال : أبو الحسن الأسديُّ الدَّامغاني قاضي نَيْسابور ، سكن دمشق .

قال بُكير بن معروف :

أخذ بيدي إبراهيمُ الصايغ فذهب بي إلى أبي الزُّبير فسألته فقال أبو الزُّبير : حدَّثني ابنُ عمٍّ لأبي هريرة يقال له عبد الرحمن عن أبي هريرة أنَّ ماعزاً أتى رسولَ الله ﷺ قال : طَهِّرْني يا رسول الله ، فإني قد زَنَيْت . فقال رسولُ الله ﷺ : أوَتدري ما الزِّنى ؟ فقال : أصبتُ امرأة حراماً ما يصيبُ الرجُلُ من امْرَأته . قال : فطردَهُ رسولُ الله ﷺ ، ثم عاد ، فطردَه ثم عاد ، فطرَدَه قال : ثم عاد ، فطردَه ، ثم عاد ، فقال النبيُّ ﷺ : أتدري ماالزِّنى ؟ قال : نعَمْ ، أصبتُ من امْرَأةٍ حراماً ما يصيبُ الرَّجُل . قال رسول الله ﷺ : أدْخَلْتَ وأَخْرَجْت ؟ قال : نعم . قال له أربعَ مرَّات ، قال : نعَمْ . قال : فأمَر به رسولُ الله ﷺ فَرُجِم : فاضطرَّتْهُ الحجارةُ إلى شجرة ، حتى قُتِل : فمرَّ به رجلان فقالا : انظرا إلى هذا أتى رسولَ الله ﷺ فطردَه ، ثم أتاه فطردَه ، فلم يذهب حتى قُتل كما يُقتل الكلب [١١٥ أ] ورسولُ الله ﷺ يسمع ، فسار ساعة فمرَّ بحمارٍ ميت ، شائلٍ برجله فقال لهما النبيُّ ﷺ : كُلا من هذا الحمار . فقالا : وهل يُؤكل منْ هذا ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : والذي نَفْسي بيده ، إنَّهُ لَفي نهرٍ منْ أنهار الجنَّة يتَقمَّصُ فيه[1] فقال له هزَّال[2] : أنا أمرتُه أن يأتيك ، فقال رسول الله ﷺ : لو سَتَرْتَهُ بِلِحْفَتِكَ كانَ خَيْراً .

وحدَّث بُكير بن معروف عن مقاتل بن حيَّان بسنده إلى عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ :

يا بن مسعود قلت : لبَّيْكَ يا رسولَ الله ، قال : هل تدري أوْثَقَ عُرى الإيمان ؟

---

(١) قال المصنف في اللسان : وفي حديث المرجوم : إنه يتقمَّص في أنهار الجنة ، أي يتقلب وينغمس . ويروى بالسين . ولفظ ابن الأثير في النهاية (لينقمس) بالنون والسين وقال : ويروى بالصاد وهو بمعناه . وكذا نقله المصنف في (قمس) .

(٢) هو هزال بن يزيد بن ذئاب الأسلمي ، وحديثه عند النسائي من رواية ابنه نعيم أن هزالاً كانت له جارية وأن ماعزاً وقع عليها فقال له هزال : انطلق فأخبر رسول الله ﷺ فعسى أن ينزل فيك قرآن ، فانطلق فأخبره ، فأمر به فرجم . انظر الإصابة لابن حجر .

قال : قلت : الله ورسولُهُ أعلم ، قال : الولايةُ في الله ، والحُبُّ في الله ، والبُغْضُ في الله .

توفي بُكير بن معروف سنة ثلاثٍ وستين ومئة .

١٣٨ ـ بَلْعَم ويقال : بَلْعام بن باعُوراء

ويقال : ابن أَبَر[١] ، ويقال : ابن أوبر ، ويقال : ابن باعر بن شتوم بن قرشم بن ماب بن لوط بن حران بن آزر .

كان يسكنُ قريةً من قرى البَلْقاء ، وهو الذي كان يعرفُ اسْمَ الله الأعظم ، فانسلخ من دينه . له ذكر في القرآن .

قال قتادة في قوله تعالى :

﴿ واتْلُ عليهم نبأَ الذي آتيناه آياتِنا فانسلخَ منها ﴾ قيل : بَلْعَم ، وقيل أُمَيَّة بن أبي الصلت .

وقال الكلبي :

﴿ ولكنَّهُ أَخْلَدَ إلى الأرض ﴾ قال : مال إلى الدنيا وركن إليها ، فمثله ﴿ كمَثَلِ الكَلْبِ إنْ تحمِلْ عليهِ يَلْهَثْ أَوْ تتركْهُ يَلْهَثْ ﴾[٢] فذلك الكافر هو ضالٌّ وعظتَهُ أو لَمْ تعِظْهُ .

وقال كعب الأحبار :

هو بَلْعم ، وكان رجلاً من أهل البَلْقاء ، وكان بلغه اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب ، وكان من الجبابرة الذين كانوا ببيت المقدس .

وقال ابن عباس :

في قوله تعالى ﴿ واتْلُ عليهم نبأَ الذي آتيناهُ آياتِنا فانسلخَ منها ﴾[٣] قال :

---

(١) ويقال بضم الباء . انظر تفسير الطبري ٢٥٤/١٣ في تفسير الآية .

(٢) الأعراف ٧ الآية ١٧٥ ، ١٧٦ .

(٣) الأعراف ٧ الآية ١٧٥ .

هو رجلٌ كان في بني إسرائيل أُعطي ثلاث دعواتٍ يُستجابُ له فيهنّ [١١٥ ب] ما يدعُو به ، وكانَتْ له امرأة ، له منها ولد ، وكانَتْ سَمْجةً دميمة ، قالت : ادعُ الله أن يجعلني أجمل امرأةٍ من بني إسرائيل ؛ فدعا الله لها ، فلما علمَتْ أنْ ليس في بني إسرائيل مثلها رغِبَتْ عن زوجها وأرادت غيره ؛ فلما رغبَتْ عنه دعا الله أنْ يجعلها كلبةً نبَّاحة ؛ فذهبَتْ منه فيها دعوتان ؛ فجاء بنوها وقالوا : ليس بنا على هذا صَبْر ! أن صارت أُمُّنا كلبةً نبَّاحة يعيِّرُنا الناسُ بها ، فادْعُ الله أنْ يردَّها إلى الحال التي كانت عليها أولاً ؛ فدعا الله فعادَتْ كما كانت ، فذهبَتْ فيها الدعواتُ الثلاث ، فسُمِّيَتِ البَسُوس . فقيل : أشْأَمُ من البسوس .

قال أبو الفرج :

المشهور عند أهل السير والأخبار أنَّ البسوس التي يقال من أجلها : أشأمُ من البَسُوس : النَّاقة التي جرى فيما جرى من أمرها حَرْبُ داحسَ والغَبْراء . والمعروف من قول جمهور أهل التأويل أن قوله عز وجل : ﴿ واتْلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾[1] عنى به بَلْعم بن باعور الذي دعا للجبَّارينَ على موسى وبني إسرائيل . وقال بعضُهم نزلَتْ في أُميَّة بن أبي الصلت .

قال مقاتل بن سليمان : سمعتُ مَنْ حدَّثني عن كعب الحَبْر ، وعن جماعة من الرواة ، كُلُّهم عن بَلْعم بن باعوراء . وزاد بعضهم على بعض قالوا :

إنَّ بلعم بن باعوراء كان ينزلُ قريةً من قُرى البَلْقاء - وفي رواية يقال لها بالعة - وكان يُحسِنُ اسْمَ الله الأعظم ، وكان متمسكاً بالدين ، وإنَّ موسى لَما نَزَل أرض كنعان من الشام بين أريحا وبين الأُرْدُنّ ، وجبلِ البَلْقاء والتِّيه ، فيما بَيْن هذه المواضع ، قال : فأرسل إليه بالق الملك فقال : إنَّا قد رهبنا من هؤلاء القوم - يعني موسى بن عمران - وإنه قد جاز البحر ليُخرجَنا من بلادنا ويُنزلَها بني إسرائيل ، ونحن قومك وليس لك بقاءٌ بعدنا ، ولا خير لك في الحياة بعدنا ، وأنت رجلٌ مجابُ الدعوة فاخرُجْ فادْعُ عليهم ، فقال بَلْعم : وَيْلكم نبيُّ الله [١١٦/ آ] معه الملائكة والمؤمنون ، كيف أدعو الله عزَّ وجلَّ عليهم ، وأنا أعلم من الله ما أعلم ؛ وإني لا أدخلُ في شيء من أموركم فاعْذُروني . فقالوا له : مالنا مِنْ مترك في هذه الحال . فلم يزالوا يترفَّقون به ويتضرَّعون إليه ، قال بعضهم - وكانت له امرأةٌ يحبُّها ويُطيعُها

(١) الأعراف ٧ الآية ١٧٥ .

وينقادَ لها فدسُّوا لها هدايا فقبلَتْها ، ثم أتَوْها فقالوا لها : قد نزل بنا ما ترَيْن ، فيجب أنْ تكلمي بَلْعَام فإنَّه مجابُ الدعوة فيدعو الله عز وجل فإنه لا خير فيه بعدنا . فقالت له : إنَّ هؤلاء القوم حقاً وجواراً وحُرْمة ، وليس مثلك أسلم جيرانه عند الشدائد ، وقد كانوا مجلين في أمرك وأنت جديرٌ أنْ تكافئهم وتهتمَّ بأمرهم ! فقال لها : لولا أني أعلم أنَّ هذا الأمر من الله عز وجل لأجبتُهم . فقالت : انظرْ في أمورهم ولينفَعْهُم جوارُك . فلَمْ تزَلْ به حتى ضلَّ وغوى ، وكان الله عزَّ وجل عزم له في أول أمرِه على الرُّشْد ففتنَتْهُ فافتُتِن ، فركب حمارة فوجَّهها إلى الجبل الذي يطلعه على عسكر بني إسرائيل ، فلما سار غَيْرَ بعيد ربضَتْ به حمارته فنزل عنها فضربها حتى أذْلَقَها[1] ، فقامت فلم تسِرْ إلاَّ قليلاً حتى ربضَتْ ، ففعل بها بمثل ذلك ، فقامَتْ فلم تسِرْ إلاَّ قليلاً حتى ربضَتْ ، فضربها حتى أذْلَقَها ، فقامت فأُذِن لها فكلَّمَتْهُ فقالت : يا بَلْعم إني مأمورة فلا تَظْلِمْني ، فقال لها : ومَنْ أمرك ؟ قالت : الله عزَّ وجل أمرني ، انظر إلى ما بين يديك ، ألا ترى إلى الملائكة أمامي تردُّني عن وجهي هذا يقولون : أتذهبين إلى نبي الله والمؤمنين يدعُو عليهم بَلْعَم ؟! فقال بعضُهم : إنَّ الحمارة قالت : ألا ترى الوادي أمامي قد اضطرمَ ناراً ؟ قال : فخلِّي سبيلها ثم انطلق حتى أشرف على رأس جَبَلٍ مُطِلٍّ على بني إسرائيل ، فجعل يدعو عليهم ، فلا يدعُو بشيءٍ من سوء إلاَّ صَرَفَ الله لسانَهُ [١١٦/ ب] إلى قومه ، ولا يدعو لقومه بخير إلاَّ صرفَ الله عزَّ وجلَّ لسانه إلى بني إسرائيل ، وجعل يترحَّمُ على بني إسرائيل ويصلِّي على موسى ، فقال له قومه : يا بَلْعَم أتدري ما تصنع ؟ إنما تدعو لهم ، فقال : هذا مالا أملك وهذا شيءٌ قد غَلَب الله عزَّ وجلَّ عليه . وأدْلَعَ لسانه[2] . فقيل : إنه جاءته لُمعةٌ فذهبَتْ ببصره فعمي ، فقال لهم : قد ذهبَتِ الدنيا والآخرةُ مني ، ولَمْ يبقَ إلا المَكْرُ والحيلة ، وليس إليهم سبيل ، وسأمكُر لكم وأحتال لهم[3] : اعلموا أنهم قومٌ إذا أذنبَ مذنبُهم ولم تغيِّر عامتهم عمَّهم البلاء . فقالوا له : كيف لنا بشيء يَدْخُل عليهم منه ذَنْب يعمُّهم من أجْلِه العذاب ؟ قال : تدسُّون في عسكرهم النساء ، فإني لا أعلمُ أوشكَ صرعةً للرجل من المرأة ؛ فانظروا نساءً لهنَّ جمال ، فأعطوهنَّ

---

(١) أي حتى بلغ منها الجهد .

(٢) قال المصنف في اللسان (دلع) : اندلع اللسان : خرج من الفم واسترخى وسقط على العنفقة كلسان الكلب : وجاء في الأثر عن بلعم : أن الله لعنه فأدلع لسانه فسقطت أسَلَتُه على صدره فبقيت كذلك .

(٣) في التاريخ المطبوع (واحتال بهم) .

السَّلَع ثم أرسلوهنَّ إلى العسكر تبيعُها فيه ، ومُروهنَّ فلا تمنَع امرأةٌ نفسَها من رجلٍ إذا أرادها ، فإنهم إنْ زنَى منهم رجلٌ كُفيتموهم ؛ ففعلوا ذلك ، فلما دخَل النساءُ العسكَرَ مرَّتِ امْرأةٌ من الكنعانيِّين إسمها كبسى[1] بنة صُوريا برأسِ سبط بن[2] شمعون بن يعقوب وهو زمري بن شولوا[3] فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبَهُ جمالُها ، ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى فقال : إني لأظنُّك يا موسى ستقول : هذه حرامٌ عليك ! فقال موسى : أجل إنَّها حرام فلا تقربْها ، فقال : والله لا أطيعك في هذا ؛ ثم دخل بها قُبَّتَه فوقع عليها . فأرسل الله عزَّ وجلَّ الطاعونَ في بني إسرائيل . وكان فَنْحاص بن العَيْزار بن هارون ، وهو صاحبُ أمرِ موسى ، وكان رجلاً قد أُوتي بسطةً في الخَلْق وقوةً في البَطْش ، وكان غائباً حين صنع زمري بن شولوا[3] ما صنع ؛ فجاء والطاعونُ قد وقع في بني إسرائيل ، فأُخبر الخبر ، فأخذ حَرْبتَه ـ وكانت حربتُه من حديد كُلُّها ، فدخل عليهما [١١٧/ آ] القُبَّة وهما مُضْطجعان فانتظمهما بحَرْبته ثم خرج بها وقد رفعهما إلى السماء بحربته قد أخذها بذراعيه واعتمد بمِرْفَقَيْه على خاصرته وأسند الحَرْبةَ إلى لحيته فجعل يقول : اللهمَّ هكذا نفعل بمن عصاك . فرفع الله عزَّ وجلَّ الطاعون بينهم[4] . فحُسِبَ من هلك في الطاعون سبعون ألفاً من بني إسرائيل . فمن هنالك يعطي بنو إسرائيل ولدَ فنحاص من كُلِّ ذبيحةٍ يذبحونها القِبَةَ[5] والذِّراع واللَّحْيَ لا عتادِهِ بالحَرْبة على خاصرته وأخذِهِ إيَّاها بذراعَيْه وإسناده إيَّاها إلى لحيته ، والبِكْرَ من أموالهم وأنفسهم لأنه كان البِكْرَ من ولدِ هارون .

وقال بعضُ الرواة :

إنَّ بَلْعم أُخِذ أسيراً فأُتي به موسى ـ على نبيِّنا وعليه الصلاةُ والسلام ـ فقتله . وهكذا كانت سُنَّتهم ، وفيه نزلت ﴿ واتْلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتِنا ﴾ إلى قوله ﴿ لعلهم

---

(١) كذا الأصل ، وفي التاريخ المطبوع (كسبى) ولفظ الطبري في التاريخ (كستى) .

(٢) كذا في الأصل ، وفي رواية أخرى في المطبوع من التاريخ على إسقاط (ابن) وكذا عند الطبري في تاريخه ٤٣٨/١ على إسقاطها .

(٣) وفي رواية أخرى لابن عساكر بلفظ (زمري بن شلوم) وكذا عند الطبري في التاريخ ٤٣٨/١ .

(٤) في التاريخ المطبوع : (عنهم) .

(٥) القبة : تكون في البطن ، وتشبه ذات الأطباق من الكرش ، أو هي الإنفحة إذا عظمت من الشاة . ولا يكون ذلك في غير الشاء . انظر اللسان (وقب ، فحث) .

يتفكرون ﴾[1] فيعرفون أنه لم يأت بهذا الخبر عما مضى فيهم إلا نبي يأتيه خَبَرُ السماء .

ورُوي عن سعيد بن المُسَيَّب أنَّ رسولَ الله ﷺ قال ـ إنْ كان قاله :

كان مَثَل بَلْعم بن باعوراء في بني إسرائيل كمثل أميَّة بنِ أبي الصَّلْت في هذه الأُمَّة .

١٣٩ ـ بنان بن حازم أبو عبد السلام

حدَّث ببعلبكّ عن ثور بن يزيد عن مدرك بن عبد الله الكلاعي عن كعب قال :

إنَّ خِيارَ هذه الأمة خيارَ الأولين والآخرين ، إنَّ من هذه الأمة رجالاً إنَّ أحدهم ليخرُّ ساجداً لا يرفعُ رأسه حتى يُغفر لِمَنْ خلفَه فَضْلاً عنه . وكان كعب يتحرَّى الصُّفوف المؤخَّرة رجاءَ أنْ يكون من أولئك .

١٤٠ ـ بُنْدار بن عبد الله الهَمَذانيُّ الصوفي

حدَّث بدمشق عن أبي الحسن عبد العزيز بن داود بسنده ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله ﷺ :

إن الله لا ينزعُ العِلْمَ [١١٧/ ب] من الناس بعد أنْ يعطيهم إيَّاه ، ولكنْ يذهبُ بالعلماء ، كُلَّما ذهبَ بعالم أذهبَ ما معه من العِلْم ، حتى يبقى من لا يعلم فيضلُّوا . وفي رواية : فيَضِلُّوا ويُضِلُّوا .

١٤١ ـ بُنْدار بن عمر بن محمد بن أحمد

أبو سعيد التميمي الرُّوياني . قدم دمشق وحدَّث بها وبغيرها .

حدَّث عن أبي محمد عبد الله بن جعفر الخبَّازيّ بسنده ، عن أبي أمامة الباهليّ قال : قال رسولُ الله ﷺ :

خَمْسُ ليال لا تُرد فيهنَّ الدعوة : أولُ ليلةٍ من رَجَب ؛ وليلةُ النِّصْفِ من شعبان ؛ وليلةُ الجُمعة ؛ وليلةُ الفِطْر ؛ وليلةُ النَّحْر .

---

(١) الأعراف ٧ الآية ١٧٥ ، ١٧٦ .

١٤٢ ـ بلال بن جرير بن عطية

ابن الخَطَفى ، واسمه حُذَيفة بن بَدْر بن سلمة بن عوف بن كُليب بن يربوع بن حَنْظَلَة التميمُ اليربوعيُّ الكلبيّ ، من البصرة ، شاعر بن شاعر . وفد على بعض خلفاء بني أمية .

ولي بلال السّعاية على تَيْم والرّباب ، فمرَّ بمنازل بني تَيْم بن عبد مناة بن أُدّ ، فلبس النساءُ بُتُوتَهُنَّ[1] ، ورفَعْنَ سجوفَهُنّ ، وتزينَّ جَهْدَهُنَّ وقلن : مرحباً بابن جرير ، انزِلْ فلك ما شئتَ من شِواءٍ وأُقِطٍ وتمرٍ وسمن ، فأمَّا الطحين فطار فلا طحين ـ يُرِدْنَ بذلك ما قالَ فيهن جرير :

إذا أخذَتْ تَيْمِيَّةٌ هادِيَ الرَّحَا تنفَّسَ قُنْبَاهَا فطارَ طَحِينُهَا[2]

قال : فاستحيا بلال فعدَل عنهن وبه حاجةٌ إلى النزولِ عِندهنّ .

١٤٣ ـ بلال بن الحارث بن عكم

ابن سعد بن قرة بن مازن بن خَلاَوة بن ثعلبة بن ثَوْر ، ويقال : بلال بن الحارث بن عُصْم بن سعيد ، أبو عبد الرحمن المُزَني .

صاحبُ رسولِ الله ﷺ ، من أهل بادية المدينة . شهد الفتح ، وكان يحمل أحَدَ ألويةِ مُزَينة ، وكان فيمن غزا دُومَةَ الجَنْدل[3] مع خالد بن الوليد .

حدَّث بلالٌ بن الحارث المُزَني عن النبيِّ ﷺ [١١٨ / آ] قال :

إنَّ الرَّجُلَ لَيَتكلَّمُ الكلمةَ مِنْ رضوانِ الله ، ما كان يَظُنُّ أنْ تَبْلُغَ ما بلغَتْ ، يَكْتُبُ اللهُ له بها رضوانَهُ إلى يومِ القيامة ؛ وإنَّ الرجُلَ لَيتكلَّمُ بالكلمة من سَخَطِ الله ، ما كان يظن أنْ تبلغ ما بلغَتْ ، يَكْتُبُ اللهُ له بها سَخَطَهُ إلى يومِ يَلْقاه .

---

(١) البتوت : مفردها بت ، وهو الكساء الغليظ ، مربّع ؛ وقيل هو من وبر الصوف (لسان) .

(٢) الديوان ٥٥٥ .

(٣) انظر تعريف دومة الجندل ص ١٩ تعليق (٣) .

وحدّث عَلْقمة بن وقاص اللَّيْثيّ أنّ بلالَ بن الحارث المُزَنيّ قال له :

إني رأيتُكَ تدخلُ على هؤلاء الأمراء وتغشاهم ، فانظُرْ ماذا تحاضِرُهُم به ، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : إنّ الرجل ليتكلّمُ بالكلمة من الخَيْر ، ما يعلمُ مَبْلَغَها ، فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يَلْقاه ، وإنّ الرجل ليتكلّمُ بالكلمة مِنَ الشر ما يعلمُ مبلَغَها ، فيَكْتُبُ اللهُ بها عليه سَخَطَه إلى يوم يلقاه . فكان علقمةُ يقول : رب حديثٍ قد حال بيني وبينه ما سمعت من بلال .

وحدّث علقمةُ أيضاً قال :

أقبلتُ راكباً وناداني بلالُ بنُ الحارث المُزَنِي ، فوقفْتُ له حتى جاءني فقال : يا علقمة إنك أصبحت اليوم وَجْهاً من وجوه المهاجرين ، وإنك تدخل على هذا الإنسان - يعني مَرْوان - وإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : يكونُ بَعْدي أمراء ، مَنْ دخلَ عليهم فَلْيَقُلْ حقاً ، وإنّ أحدكم ليتكلم بالكلمة يرضي بها السُّلْطان فيَهْوي بها أبعدَ من السماء .

تُوفِّي بلال سنةَ ستين في أواخرِ أيّام معاوية وهو ابن ثمانين سنة .

ويقال : إنّ بلالَ بن الحارث أوّلُ من قدم من مُزَينة على النبيِّ ﷺ في رجالٍ من مُزَيْنَة في رجب سنةَ خمسٍ من الهجرة . وقدِمَ بلالُ بن الحارث مِصْرَ لغَزْوِ إفريقيَة سنة سبعٍ وعشرين . وكانت مُزَينة في غَزْو إفريقيَة أربع مئة ، كان لواؤهم على جِدة يحمله بلال بن الحارث .

قال الواقدي :

سمعنا أنّ بلالَ بن الحارث أولُ من قدم من وَفْد مُزَينة في رجب سنة خمس ، فقال : يا رسولَ الله إنّ لي مالاً لا يُصلحه غيري ، فإن كان الإسلامُ لا يكون إلاّ لمن هاجر بعنا أموالنا ثم هاجرنا ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : حيث ما كنتم اتَّقَيْتُم الله لَمْ يَلِتْكُم من أعمالكم شيئاً .

وكان رسولُ الله ﷺ [١١٨ / ب] أقطعَ بلالَ بن الحارث معادن القَبَليَّة جَلْسِيَّها وغَوْرِيَّها ، وحيثُ يصلحُ الزَّرْعُ مِنْ قُدْس ولَمْ يعطِهِ حقّ مسلم . وكتب له النبي ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى محمدٌ رسولُ الله ﷺ بلالَ بن الحارث المُزَنيّ ، أعطاه معادِنَ القَبَليَّة جَلْسِيَّها وغَوْرِيَّها وحيثُ يصلحُ الزَّرْعُ من قُدْس ولَمْ يعطِهِ حقّ مسلم .

الغَوْريُّ : ما كان من بلاد تِهامَة ، والجَلْسِيُّ : ما كان من أرض نجد[1] .

قال عبد الله بن أبي بكر :

جاء بلالُ بن الحارث المُزَنيُّ إلى رسول الله ﷺ فاستقطعه أرضاً ، فقطعها له طويلةً عريضة ، فلمَّا ولي عُمَر قال له : يا بلالُ إنك استقطعْتَ رسولَ الله ﷺ أرضاً عريضةً طويلةً فقطعها لك ، وإنَّ رسولَ الله ﷺ لم يكن يمنعُ شيئاً يُسْأَله ، وإنَّك لا تطيقُ ما في يدَيْك ، فقال : أجل ، قال : فانظر ما قويتَ عليه منها فأمْسِكْه ، ومالَمْ تُطِقْ فادفعْهُ إلينا نقسمه بين المسلمين ، فقال : لا أفعلُ والله ، شيءٌ أقطعَنِيهِ رسولُ الله ﷺ ، فقال عُمر : والله لتَفْعَلَنّ . فأخذ منه ما عجَز عن عمارته فقسمه بين المسلمين .

١٤٤ ـ بِلالُ بنُ رَبَاح أبو عَبْد الكريم

ويقال : أبو عبد الله ، ويقال : أبو عمرو الحَبَشيّ .

مولى أبي بكر الصِّدِّيق ، وهو ابن حمامة وهي أُمُّه ، مُؤَذِّنُ رسولِ الله ﷺ ، من المهاجرين الأوَّلين الذين عُذِّبوا في الله عزَّ وجلّ . سكن دمشق ومات بها سنةَ عشرين وهو ابن بِضعٍ وستين .

حدَّث بلال قال :

رأيتُ النبيَّ ﷺ توضَّأ ومسحَ على الخُفَّيْنِ والخِمار .

وروى أبو بكر الصِّدِّيق عن بلال ، قال : قال رسولُ الله ﷺ :

أصبِحُوا بالصُّبْحِ ، فإنَّه أعظَمُ للأَجْر[2] .

---

(١) قال المصنف في اللسان (جلس) : وفي الحديث أنه أقطع بلال بن الحارث معادن الجبلية غوريها وجلسيها ؛ الجَلْس : كل مرتفع من الأرض ، والمشهور في الحديث معادن القبليّة بالقاف ، وهي ناحية قرب المدينة ، وقيل : هي من ناحية الفَرْع . وقال أيضاً في (قدس) : وفي حديث بلال أنه أقطعه حيث يصلح للزرع من قدس ولم يعطه حق مسلم ، هو بضم القاف وسكون الدال ، جبل معروف . وقيل هو الموضع المرتفع الذي يصلح للزراعة . اهـ .

(٢) أورد المصنف في اللسان عقب هذا الحديث قوله : أي صلوها عند طلوع الصبح ، يقال : أصبح الرجل إذا دخل في الصبح .

شهد بلالٌ بدراً وأحُداً والخندق والمشاهد كُلّها مع رسولِ الله ﷺ [١١٩ / آ] ولم يُعقِبْ .

وكان مُولّدا من مولّدي بني جُمَح ، اشتراهُ أبو بكر الصّديق رضي الله عنه ، فأعتقه .

قال الوَضينُ بن عطاء :

إنَّ رسولَ الله ﷺ وأبا بكر اعتزلا في غار ، فبينما هما كذلك إذْ مرَّ بهما بلال وهو في غَنَمِ عبدِ الله بن جُدْعان ، وبلال مولّدٌ من مولّدي مكَّة ، قال : وكان لعبدِ الله بن جُدْعان بمكَّة مئةُ مملوكٍ مُولّد ؛ فلما بَعَث اللهُ نبيَّهُ ﷺ أمر بهم فأُخرجوا من مكَّة إلاّ بلالاً يرعى عليه غَنَمهُ تلك ؛ فأطْلَعَ رسولُ الله ﷺ رأسَهُ من ذلك الغار فقال : يا راعي ، هَلْ من لبن ؟ فقال بلال : مالي إلا شاةٌ منها قُوتي ، فإنْ شئتما آثرتُكُما بلبنها اليوم ، فقال رسولُ الله ﷺ : إيتِ بها . فجاء بها ، فدعا رسولُ الله ﷺ بقعبه ، فاعتقلها رسول الله ﷺ فحلب في القَعب حتى ملأهُ ، فشرب حتى روي ، ثم حلَبَ حتى ملأه ، فسقى أبا بكر ، ثم احتلَبَ حتى ملأه فسقى بلالاً حتى روي ، ثم أرسلها وهي أحفل ما كانَتْ ، ثم قال : يا غُلام ، هل لك في الإسلام ؟ فإني رسولُ الله ﷺ . فأسلم ، وقال : أكْتُمْ إسلامَك . ففعل وانصرف بغنمه ، وبات بها وقد أضعف لبنها ، فقال له أهلُه : لقد رعَيْتَ مَرْعًى طيباً فعليك به ، فعاد إليه ثلاثة أيام يستقيها[1] ويتعلّمُ الإسلام ، حتى إذا كان في اليوم الرابع ، فمرَّ أبو جهل بأهل عبدِ الله بنِ جُدْعان فقال : إنّي أرى غَنَمكم قد نَمتْ وكَثُر لبنُها ! فقالوا : قد كَثُر لبنها منذ ثلاثةِ أيام وما نعرفُ ذلك منها ! فقال : عبدُكم وربِّ الكعبة يعرفُ مكانَ ابنِ أبي كبشة ، فامنَعُوهُ أنْ يرعى ذلك المرعى ؛ فمنعوه من ذلك المرعى . ودخلَ رسولُ الله ﷺ مكة فاختفى في دارٍ عند المَرْوَة ، وأقام بلالٌ على إسلامه ، فدخل يوماً الكعبةَ وقريشٌ في ظهرها لا يعلم ، فالتفتَ فلم يَرَ أحَداً ، أتى الأصنامَ وجعلَ يبصُقُ عليها ويقول : خابَ وخسِر من عَبَدكُنّ [١١٩ / ب] فطلبَتْه قُريشٌ فهربَ حتى دخلَ دارَ سيِّدِه عبدِ الله بن جُدْعان فاختفى فيها ، ونادَوْا عبد الله بن جُدْعان فخرج فقالوا : أصَبَوْت ؟ قال : ومثلي يقال له هذا ! فعليَّ نَحْرُ مئةِ ناقةٍ للاَّت والعُزَّى ، قالوا : فإنَّ أسوَدَكَ صنع كذا وكذا ، فدعا

---

(١) كذا الأصل ، وفي ابن عساكر (يسقيها) .

به ، فالتمسُوهُ فوجدوه ، فأتَوْهُ به فلم يعرفْه ، فدعا خَوَلِيَّهُ[1] فقال : مَنْ هذا ؟ ألم آمُرْك أن لا يبقى بها أحد من مُوَلَّديها إلاّ أخرجْتَه ؟ فقال : كان يرعى غَنَمك ، ولم يكُنْ أحدٌ يعرفُها غيره ؛ فقال لأبي جهل وأميَّةَ بنِ خلف : شأنُكما به فهو لكما ، اصنعا به ما أحببتما . فخرجا به إلى البطحاء يبسطانِه على رَمْضائها ، ويجعلانِ رَحاً على كتفيه ويقولان : اكفُرْ بمحمد ، فيقول : لا ، ويوحِّدُ الله ، فبينما هما كذلك إذْ مرَّ بهما أبو بكر ، فقال : ما تريدانِ بهذا الأسود ؟ والله ما تبلُغَانِ به ثأراً ، فقال أُميَّةُ بنُ خلف لأصحابه : ألاَ ألعبَنَّكُم بأبي بكر لُعْبةً مالعبها أحدٌ بأحد ، ثم تضاحك وقال : هو على دِينكَ يا أبا بكر فاشترِه منا ، فقال : نعم ، فقال : أعطني عبدَكَ نِسْطاساً ـ ونِسْطاسُ عبدٌ لأبي بكر ، حدَّاد يؤدِّي خراجَه نصفَ دينار ـ فقال أبو بكر : إنْ فعلتُ تفعل ؟ قال : نعم ، قال : قد فعلتُ ، فتضاحك وقال : لا والله حتى تعطِيَني معه امرأته ، قال : إنْ فعلتُ تفعل ؟ قال : نعم ، قال : فذلك لك ، قال : فتضاحك وقال : لا والله حتى تعطِيَني ابنَتَه مع امرأته ، قال : إنْ فعلتُ تفعل ؟ قال : نعم ، قال : قد فعلتُ ، قال : فتضاحك وقال : لا والله حتى تَزيدَني معه مئتي دينار ، قال أبو بكر : أنتَ رجلٌ لا تستحي من الكَذِب ، قال : لا واللاتِ والعزَّى ، لئنْ أعطيتني لأفعلنّ ، فقال : هي لك ، فأخذه .

قال زِرٌّ : قال عبدُ الله :

أوَّلُ من أظهر إسلامه سبعة : رسولُ الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمَّار وأُمُّه سُمَيَّة ، وصُهَيب ، وبلال ، والمِقْداد . فأمَّا رسولُ الله ﷺ فمنعه الله بعَمِّه أبي طالب ؛ وأما أبو بكر فمنعه الله بقَوْمه ، وأمَّا سائرهم فأخذهُم [١٢٠ / آ] المشركون ، فألبسوهم أدْراع الحديد وصفَّدُوهم[2] في الشمس ؛ وما منهم أحدٌ إلاّ وقد واتاهم على ما أرادوا إلاّ بلالاً ، فإنه هانَتْ عليه نفسُهُ في الله ، وهان على قَوْمِه ، فأعطَوْهُ الوِلدان يطوفونَ به في شِعاب مكة وهو يقول : أحَدٌ أحَد .

---

(١) الخولي كعربي : الراعي الحسن القيام على المال والغنم . (لسان) .

(٢) فوق الكلمة في الأصل ضبة وفوقها (وصهروهم) .

قال عمرو بن عَبَسة[1] :

أتيتُ النبيَّ ﷺ فقلت : مَنْ تابعك على أمرك هذا ؟ قال : حُرٌّ وعبد . يعني أبا بكر وبلالاً ـ فكان عمرو يقولُ بعد ذلك : ولقد رأيتُني وإني لَرُبُعُ الإسلام .

وحدَّث هشام بنُ عُروةَ عن أبيه قال :

كان وَرَقةُ بنُ نوفل يَمُرُّ ببلال وهو يُعَذَّب على الإسلام وهو يقول : أحَدٌ أحد ، فيقول ورَقة : أحَدٌ أحَدٌ واللهِ يا بلال ! ثم يُقْبِلُ على مَنْ يفعلُ ذلك به من بني جُمَح وعلى أميَّة فيقول : أحْلِفُ بالله لئن قتلتُمُوهُ على هذا لأتَّخِذَنَّهُ حَناناً ـ يقول : لأتمسَّحَنَّ به[2] .

قال عامر :

كان مَوَالي بلال يأخذونَهُ فيضجعونه في الشمس ثم يأخذونَ الحَجَر فيضعونه على بطنه ويعصرونه ويقولون : دينُكَ اللاَّتُ والعُزَّى ، فيقول : ربي الله ، ويقول : أحَدٌ أحد ، فقال : وايْمُ الله لو أعلمُ كلمةً هي أغيظُ لكم منها لقلتُها ، قال : فمرَّ أبو بكر الصِّدِّيق بهم ، فقالوا : يا أبا بكر ألاَ تشتري أخاك في دينك ؟ قال : بلى ، فاشتراه بأربعين أوقية فأعتقه .

وفي حديث آخر :

أنَّ أبا بكرٍ قال لعباس : اشترِ أنت بلالاً ، فاشتراه وبعث به إلى أبي بكر فأعتقه ؛ فكان يؤذِّنُ لرسول الله ﷺ ، فلمَّا مات رسولُ الله ﷺ أراد أنْ يخرجَ إلى الشام فقال أبو بكر : بَلْ عِندي ، فقال : إنْ كنتَ أعتقتني لنفسكَ فاحْبِسني ، وإنْ كنتَ أعتقتني لله فذَرْني أذهب إلى الله . قال : فخرجَ إلى الشام فأقام بها حتى مات .

وقيل :

إنَّ أبا بكر رضي الله عنه اشتراه بسبعِ أواقٍ ثم أعتقه ، ثم انطلق إلى النبيِّ ﷺ فقال : يا رسول الله اشتريتُ بلالاً ، فقال رسولُ الله ﷺ : الشركة يا أبا بكر . فقال : قد أعتقتُه

---

(١) في الأصل (عنبسة) وهو تصحيف .

(٢) عقَّب المصنف على قول ورقة في اللسان (حنن) : الحنان : الرحمة والعطف ، والرزق والبركة ، أراد لأجعلن قبره موضع حنان ، أي فطنةً من رحمة الله فأتمسَّح به متبركاً كما يَتمسح بقبور الصالحين الذين قتلوا في سبيل الله من الأمم الماضية ، فيرجع ذلك عاراً عليكم وسُبَّة عند الناس ؛ وكان ورقة على دين عيسى عليه السلام ؛ وهلك قبيل مبعث النبي ﷺ ، لأنه قال للنبي ﷺ : إن يدركني يومك لأنصرنك نصراً مؤزراً . قال ابن الأثير : وفي هذا نظر ، فإن بلالاً ما عذب إلا بعد أن أسلم .

يـا رسولَ الله ، فبلغ أبـا بكر أنهم قـالوا : اشتراه [١٢٠/ ب] منّـا بسبـعِ أواقٍ ، ولـو أبى إلاّ أوقيـة لبعناه إيّاه ، فقال أبو بكر : لو أبَوْا إلا مئةَ أوقية لاشْتريتُه بها .

قال مسلم بن صُبَيح : قال أصحابُ رسولِ الله ﷺ لرسول الله ﷺ :

إنّا قد كَثَّرْنا فلو أمرتَ كُلَّ عشرةٍ منّا فبيَّتُوا رجلاً من صناديد قريش ليلاً فأخذوه فقتلوه ، فتصبح البلادُ لنا ؟ فمُرَّ النبي ﷺ بذلك حتى رُئي في وجهه ، فقام عثمان بن عفان فقال : يا رسول الله ، أبناؤنا ، آباؤنا ، إخواننا ، فما زالَ عثمانُ يردِّدُ ذلك حتى ساءَ رسولَ الله ﷺ قولُهم الأول ، ورُئي في وجهه حتى رفضَ ذلك ، وأخَذَنا المشركون حين أمسَيْنا ، فما من أحدٍ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ إلا قد أعطى الفتنة غير بلال قال : الأحد الأحد .

حدّث الأصمعيُّ عن العمري قال :

أوّل مَنْ أذّن بلال ، وأول من ابتنى مسجداً يُصَلّى فيه عمّار بن ياسر ، وأوّل من رمى بسهمٍ في سبيل الله سعدُ بن أبي وقّاص وأول من تغنّى بالحجاز المُصْطَلِق أبو خزاعة ، وإنما سمي المُصْطَلِق لحسن صوته[1] .

وفي حديثٍ آخر :

وأولُ من عدا بهِ فرسُهُ في سبيل الله المقدادُ بن الأسود ، وأولُ من أفشى بمكة القرآن عبدُ الله بن مسعود ، وأولُ مَنْ استُشْهد من المسلمين يوم بدر مِهْجَع مولى عُمر ، وأولُ حيٍّ آلَفُوا[2] مع رسولِ الله ﷺ جُهَينة ، وأولُ حيٍّ أدّوا الزكاةَ طائعين من أنفسهم بنو عُذْرة بن سعد .

وعن خبّاب بن الأرتّ

في قوله عز وجل : ﴿ ولا تَطْرُدِ الذينَ يدعُونَ ربَّهُمْ بالغَداةِ والعَشِيّ ﴾ إلى ﴿ الظالمين ﴾[3] قال : جاء الأقرعُ بن حابس التميميّ ، وعُيَيْنَةُ بنُ حِصْن الفَزَاريّ فوجدوا

---

(١) واسم المصطلق : جذيمة بن سعد بن عمرو من خزاعة ، لم ينص أحد على كنيته . انظر الاشتقاق ٤٧٦ وجمهرة ابن حزم ٢٣٩ واللباب ٢٢٠/٣ والقاموس .

(٢) آلفوا : أي صاروا ألفاً ، يقال : ألّف وآلف . (لسان) .

(٣) الأنعام ٦ الآية ٥٢ .

النبيَّ ﷺ قاعداً مع بلال وصُهَيب وخبَّاب وناسٍ من الضُّعَفاء من المؤمنين ، فلمَّا رأَوْهُم حَوْله حقروهم ، فأتَوْهُ فخَلَوْا به فقالوا : إنَّا نحبُّ أن تجعلَ لنا منك مجلساً يَعْرِفُ لنا به العَرَبُ فضْلَنا ، فإنَّ وفودَ العرب تردُ عليك فنَسْتحي أنْ ترانا العربُ مع هذه الأعْبُد ، فإذا نحن جئناك فأقِمْهُم عنَّا ، فإذا نحن فرغنا [١٢١/ آ] فأقعِدْهُم إنْ شئت . قال : نعم . قالوا : فاكتُبْ لنا عليك كتاباً ، قال : فدعا بالصحيفة ودعا عليّاً ليكتب ونحن قعود في ناحية إذْ نزلَ جبريلُ عليه السلام ﴿ ولا تطرُدِ الذين يدعونَ ربَّهم بالغداةِ والعشيِّ يريدونَ وَجْهَه ، ما عليكَ مِنْ حسابهم من شيء ، ومامن حسابك عليهم من شَيْءٍ فتطْرُدَهُم فتكونَ من الظالمين ﴾[1] ثم قال : ﴿ وإذا جاءَكَ الذينَ يُؤْمنونَ بآياتنا فَقُلْ سَلامٌ عليكم كَتَبَ رَبُّكم على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾[2] فرمى رسولُ الله ﷺ بالصحيفةِ من يده ، ثم دعانا فأتيناه وهو يقول : ﴿ سلامٌ عليكم كَتَبَ ربُّكم على نفسه الرحمة ﴾ فدنَوْنا منه يومئذٍ حتى وضعنا رُكَبَنا على ركبته ، فكان رسولُ الله ﷺ يجلسُ معنا ، فإذا أرادَ أن يقوم قامَ وتركنا ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ واصبِرْ نَفْسَكَ مع الذين يدعون ربَّهم بالغداةِ والعشيِّ يُريدون وَجْهَه ، ولا تَعْدُ عَيْناكَ عنهم تُريدُ زِينَةَ الحياةِ الدُّنْيا ﴾ قال : مجالس الأشراف ﴿ ولا تُطِع مَنْ أغْفَلْنا قَلْبَه عن ذِكْرِنا ﴾ قال : عُيَيْنَة والأقرع ﴿ واتَّبَع هَواهُ وكان أمْرُهُ فُرُطا ﴾[3] قال : هلاكاً . ثم ضربَ لهم مثَلاً رجلَيْنِ كمثل الحياةِ الدنيا ، قال : فكان رسولُ الله ﷺ يقعُد معَنا ، فإذا بلغَ الساعةَ التي يقوم فيها قُمْنا وتركناه ، وإلاَّ صبر أبداً حتى نقوم .

قالت عائشة :

لَمَّا قدمَ رسولُ الله ﷺ المدينة وُعِكَ أبو بكر وبلال ، فكان أبو بكر إذا أخذته الحُمَّى يقول : [من الرجز]

كل امرئ مصبَّحٌ في أهْلِهِ ... والموتُ أدْنَى من شِراكِ نَعْلِهِ[4]

قال : وكان بلال إذا أقلع عنه رفع عقيرته يقول : [من الطويل]

---

(١) الأنعام ٦ الآية ٥٢ .

(٢) الأنعام ٦ الآية ٥٤ .

(٣) الكهف ١٨ الآية ٢٨ .

(٤) البيت في اللسان (صبح) .

ألاَ ليت شعري هَـلْ أبيتنَّ ليلـةً بـوادٍ وحـولي إذْخِرٌ وجَليـلُ
وهَـلْ أرِدَنْ يـومـاً ميـاه مَجَنَّـةٍ وهل يَبْـدُوَنْ لي شـامَـةٌ وطَفِيل[1]

اللهمَّ العَنْ عُتبة بن ربيعة وشَيْبَة بنَ ربيعة وأُميَّةَ بنَ خَلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرضِ الوَبَاء . ثم قال رسولُ الله ﷺ : اللهُمَّ حَبِّبْ إلينا المدينة [١٢١/ ب] كَحُبِّنا مكةَ أو أشدّ ، اللهمَّ بارِكْ لنا في صاعِها ومُدِّها ، وصحِّحْها لنا وانقُلْ حُمَّاها إلى الجُحْفَة .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسولُ الله ﷺ :
اشتاقَتِ الجنَّةُ إلى ثلاثة : إلى عليّ ، وعمَّار ، وبلال .

وعن عليٍّ عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ :
إنَّهُ لَمْ يكُنْ نبيٌّ قَبْلي إلاَّ قد أُعْطيَ سبعة رُفَقاء نُجَباء وزَراء ، وإني أُعطيتُ أربعة عشر : حمزةُ وجعفر وعليٌّ وحسن وحُسين وأبو بكر وعمر والمِقْداد وحُذَيفة وسَلْمان وعمار وبلال ـ سقط ذِكْرُ ابنِ مسعود وأبي ذَرّ ، وهما تمامُ الأربعة عشر .

وعن أبي هريرة قال : قال نبيُّ الله ﷺ لبلال عند صلاةِ الفجر :
يا بلال أخْبِرني بأرجى عَمَلٍ عمِلْتَه منفعةً في الإسلام ، فإني سمعتُ الليلةَ خَشْفَ نعلَيْك بين يَدي في الجنة ؟ قال : ما عملتُ يا رسولَ الله في الإسلام عملاً أرجى عندي منفعةً من أنّي لَمْ أتطهَّرْ طهوراً تاماً قطُّ في ساعةٍ من ليلٍ أو نهار إلا صلَّيْتُ بذلك الطهور لربي ما كتب لي أنْ أصلّي .

قال بُريدة :
أصبحَ رسولُ الله ﷺ فدعا بلالاً فقال : يا بلال بمَ سبقتني إلى الجنَّة ، ما دخلتُ الجنَّةَ قطُّ إلاَّ سمعتُ خَشْخَشَتَك أمامي ، إني دخلت البارحة الجنة فسمعتُ خَشْخَشَتَك ، فأتيتُ على قَصْرٍ من ذهب مربَّعٍ[2] مُشرف ، فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا : لرجل من العرب ، قلت : أنا عَرَبيّ ، لمن هذا القصر ؟ قالوا : لرجل من المسلمين من أُمَّةِ محمد ، قلت : فأنا محمد لمن هذا القصر ؟ قالوا : لعمر بن الخطاب ، فقال رسولُ الله ﷺ : لولا غَيْرَتُكَ يا عُمر

(١) البيتان في اللسان (جلل) لبلال ، والجليل : الثمام إذا عظم وجل .
(٢) لفظ الإمام أحمد في المسند ٣٥٤/٥ : (مرتفع مشرف) . وفي غريب الحديث للخطابي ٥٨٢/١ : (بقصر مشيد بَزِيع) وقال : البَزِيع : الظريف من الناس ، شبَّه القصر به لحسنه وكماله .

لدخلتُ القصر . فقال : يا رسول الله ما كنتُ لأغار عليك ، قال : وقال لبلال : بم سبقتني إلى الجنة ؟ قال : ما أحدثتُ إلاّ توضأت وصلّيْتُ ركعتَيْن ، فقال رسول الله ﷺ : بهذا .

وفي رواية :

ولا أذّنتُ قطُّ إلا صلّيْتُ ركعتين ، فقال رسول الله ﷺ : بها . [١٢٢ / آ]

وعن جابر قال : قال رسولُ الله ﷺ :

دخلتُ الجَنَّـة فرأيتُ امرأة أبي طلحـة ، وسمعتُ خَشفَـةً أمـامي فقلت : مـاهـذا يا جبريل ؟ قال : بلال .

خَشفَة : أي صَوْت .

وعن سُويد بن عمير قال : قال رسولُ الله ﷺ :

حَوْضي أشربُ منه يومَ القيامة ومن اتّبعني من الأنبياء ، ويبعثُ الله ناقةَ ثَمُودَ لصالح فيَحْتَلِبَها فيشربها والذين آمنوا معه حتى يوافوا بها الموقف معه ولها رُغَاء . قال : فقال له رجلٌ من القوم ـ وأظنُّه معاذَ بنَ جَبَل : يا رسولَ الله وأنت يومئذ على العَضْبَاء ؟ قال : لا ابنتي فاطمة على العضباء ، وأُحشَرُ أنا على البُراق فأختصّ به دونَ الأنبياء . قال : ثم نظر إلى بلال فقال : يُحشر هذا على ناقةٍ من نوقِ الجنَّة ، فيقدُمنا بالأذَان مَحْضاً ، فإذا قال : أشهدُ أنْ لا إله إلاّ الله قالتِ الأنبياء مثلها : ونحن نشهد أنْ لا إله إلا الله ، فإذا قال : أشهدُ أنّ محمداً رسول الله ، فمِن مقبولٍ منه ومردودٍ عليه ، قال : فَيُتَلَقَّى بحُلّة من حُلَلِ الجنَّة ، وأوّلُ من يكسى يوم القيامة من حُلل الجنَّة بعد الأنبياء الشهداءُ وصالح المؤذنين[1] .

وفي رواية :

وأوّلُ من يكتسي من حُلل الجنة بعد النبيين والشهداء بلال وصالح المؤذّنين .

وعن ابن عمر أنه قال :

أبشر يا بلال ، فقال : بم تبشّرُني يا عبد الله بنَ عمر ؟ فقلت : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : يجيءُ بلالٌ يومَ القيامة معه لواءٌ يتبعُهُ المؤذّنون حتى يدخلهم الجنة .

---

(١) راوي الحديث عن سويد بن عمير هو عبد الكريم بن كيسان كما في التاريخ ، قال الذهبي عنه : من المجاهيل ، وحديثه منكر ، ثم أورد الحديث وقال : هو موضوع والله أعلم . انظر الميزان ٦٤٥/٢ .

وعن زيد بن أرقم قال : قال رسولُ الله ﷺ :

نعم المرءُ بلال ، ولا يتبعه إلا مؤمن ، وهو سيِّد المؤذِّنين ، والمؤذِّنون أطولُ الناس أعناقاً يوم القيامة .

وعن أنس قال : قال رسولُ الله ﷺ :

يُحشر المؤذِّنونَ يوم القيامة على نُوقٍ من نوقِ الجنة ، يقدُمهم بلال رافعي أصواتهم بالأذان ، ينظر إليهم الجَمْع ، فيقال : مَنْ هؤلاء ؟ فيقال : مؤذِّنو أُمَّةِ محمدٍ ﷺ ، يخافُ الناس ولا يخافونَ ، ويحزنُ الناس ولا يحزنون . [١٢٢ / ب]

وعن سليمان بن بُرَيْدة قال :

دخلَ بلالٌ على رسولِ الله ﷺ وهو يتغدَّى ، فقال رسولُ الله ﷺ : الغداء يا بلال . قال : إني صائم يا رسول الله ، قال : فقال رسولُ الله ﷺ : نأكلُ رزقَنا ، وفضلُ رزقِ بلال في الجنة ، أشعرتَ يا بلال أن الصائم تُسبِّح عظامُه وتستغفر له الملائكة ما أُكل عنده .

وعن ابن عباس قال : قالَ رسولُ الله ﷺ :

اتخذوا السُّودان فإنَّ ثلاثةً منهم من سادات الجنَّة : لقمانُ الحكيم ، والنجاشيّ ؛ وبلال المؤذِّن .

قال الطبرانيّ :

أراد الحَبَش .

وفي روايةٍ في حديثٍ آخر :

سادةُ السُّودانِ أربعة : لقمانُ الحَبَشيّ ؛ والنجاشيّ ؛ وبلال ؛ ومِهْجَع .

وعن عائذ بن عمرو ، قال :

مرَّ أبو سفيان ببلال وسَلْمان وصُهَيب فقالوا : ما أخذَتْ سيوفُ الله من عُنق هذا بعدُ مأخَذَها ، فقال أبو بكر الصديق : أتقولونَ هذا لشيخ قُريش وسيِّدها ! فذهب أبو بكرٍ إلى رسول الله ﷺ فأخبَرهُ بذلك فقال له النبيُّ ﷺ : يا أبا بكر لعلَّك أغضَبْتَهم ، لئنْ كنتَ أغضبتَهُم لقد أغضبت ربَّك . قال : فرجع أبو بكر فقال : يا إخوة ! لعلَّكُم غضِبتُم ؟ قالوا : يغفرُ الله لك يا أبا بكر .

وعن امرأةِ بلالٍ :

أنَّ النبيَ ﷺ أتاها فسلَّم فقال : أثَمَّ بلال ؟ فقالَتْ : لا ، قال : فلعلَّكِ غَضْبَى على بلال ؟ قالت : إنَّهُ يجيئُني كثيراً فيقول : قال رسولُ الله ﷺ ، قال رسولُ الله ﷺ ؛ فقال لها رسولُ الله ﷺ : ما حدَّثكِ عني بلالٌ فقد صدقكِ بلال ، بلال لا يكذب ، لا تُغضبي بلالاً ، فلا يُقْبَلُ منكِ عَمَلٌ ما أغضبتِ بلالاً .

حدَّث زيد بن أسلم

أنَّ بني أبي البُكير جاؤوا إلى رسولِ الله ﷺ فقالوا : زوِّجْ أختَنا فلاناً ، فقال لهم : أين أنتم عن بلال ؟ ثم جاؤوا مرَّةً أخرى فقالوا : يا رسولَ الله أنكِحْ أختَنا فلاناً ، فقال : أين أنتم عن بلال ؟ ثم جاؤوا الثالثة فقالوا : أنكِحْ أختنا فلاناً ، فقال : أين أنتم عن بلال ، أين أنتم عن رجل من أهل الجنَّة ! قال : فأنكحوه . [١٢٣ / آ]

وعن أبي أُمامة قال :

عيَّر أبو ذرٍّ بلالاً بأُمِّه فقال : يا بنَ السوداء ! وأنَّ بلالاً أتى رسولَ الله ﷺ فأخبره ، فغضِبَ ؛ فجاء أبو ذرٍّ ولَمْ يشعر ، فأعرضَ عنه النبيُّ ﷺ ، فقال : ما أعرَضَكَ عني إلاَّ شيءٌ بلغك يا رسولَ الله ، قال : أنت الذي تُعَيِّرُ بلالاً بأُمِّه !؟ قال النبيُّ ﷺ : والذي أنزلَ الكتاب على محمد ـ أو ما شاء الله أنْ يحلف ـ ما لأَحَدٍ على أحَدٍ فَضْلٌ إلاَّ بعمل ، إن أنتم إلاَّ كطَفِّ الصَّاع[1] .

وعن أبي هريرة عن رسولِ الله ﷺ قال :

مثل بلال كمثل نَحْلةٍ عَدَتْ ، تأكلُ من الحُلْوِ والمُرّ ، ثم هو حُلو كُلُّه .

وعن بلال قال :

مررتُ على فاطمة ـ عليها سلام الله ـ وهي تعالجُ الرَّحَا ، قال : وابنُها الحسين يبكي ، قال : وحانتِ الصلاة ، قال بلال : فقلتُ لفاطمة : أيا أعجبُ إليكِ ؟ أكفيكِ الرَّحا أو الصبيّ ؟ فقالت فاطمة : أنا ألطف بصبيِّي ، قال : فأخذتُ بقيَّة الطحن فطحنته عنها ؛

---

(١) أي كلكم قريب بعضكم من بعض ، فليس لأحد فضل إلا بالتقوى لأن طف الصاع قريب من ملئه ، فليس لأحد أن يقرّب الإناء من الامتلاء . اهـ . لسان (طفف) .

فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فقال : يا بلال ما حَبَسك ؟ فقلت : يا رسولَ الله ، مررتُ على فاطمة وهي تعالجُ الرَّحا فأعَنْتُها على طحنها ، فقال رسولُ الله ﷺ : رحمتَها رحمَك الله .

وعن بلالٍ قال :

قال لي رسولُ الله ﷺ : يا بلال ألْقَ الله فقيراً ولا تَلْقَهُ غنيّاً . قال : قلت : وكيف لي بذلك يا رسولَ الله ؟ قال : إذا رُزقتَ فلا تَخْبَأ ، وإذا سُئلتَ فلا تمنَعْ . قال : قلتُ وكيف لي بذلك يا رسولَ الله ؟ قال : هو ذاك وإلاّ النّار .

وعن مجاهد :

في قوله عزَّ وجلّ : ﴿ مالنا لا نرى رجالاً كُنّا نَعُدُّهم من الأشرار أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زاغَتْ عنهمُ الأبْصار ﴾[1] قال : يقولُ أبو جهل : أين بلال أين فلان أين فلان ؟ كُنّا نعدهم في الدُّنيا من الأشرار ، فلا نراهم في النار ! أم هم في مكان لا نراهم فيه ؟ أم هم في النار لا يرى مكانُهم ؟!.

وفي رواية :

أين عمّار ، أين بلال ؟.

وفي رواية عن ابن عباس :

﴿ كنا نعدُّهم من الأشرار ﴾ خبّاباً وبلالاً .

قال ابن أبي مُلَيْكة :

لما كان يوم الفتح رقِيَ بلالٌ فأذَّنَ على ظهر الكعبة فقال بعضُ الناس : يا عبد الله ، لهذا العبد الأسود[2] [١٢٣ / ب] أنْ يؤذّنَ على ظهر الكعبة ! فقال بعضهم : إن يسخط الله يغيّره ، فأنزل الله جلَّ ذِكْرُه : ﴿ يا أيُّها الناسُ إنّا خلقناكم من ذَكَرٍ وأُنْثى وجعلناكم شُعوباً وقبائلَ لتعارَفُوا ، إنَّ أكرمَكُم عند الله أتقاكم ، إنَّ الله عليمٌ خبيرٌ ﴾[3].

---

(١) سورة ص ٣٨ الآية ٦٢ ، ٦٣ .

(٢) كذا في الأصل ، وإلى جانب السطر حرف (ط) إشارة لاضطراب النص ، ولفظ ابن عساكر ١٠/٣٢٤ : (فقال بعض الناس : يالله ! هذا العبد الأسود أن يؤذن ...) .

(٣) الحجرات ٤٩ الآية ١٣ .

وعن أنس قال :

أذَّن بلالٌ بليل ، فأمره رسولُ الله ﷺ أنْ يُعيد الأذان ، فرقِيَ بلالٌ وهو يقول : [من الرجز]

ليت بلالاً ثكلَتْهُ أُمُّهُ وابتلَّ من نَضْحِ دمٍ حبينُهُ[1]

يردِّدُها حتى صَعِد ، فلما صَعِد نادى : ألاَ إنَّ العَبْد نام ، ألا إنَّ العَبْد نام ، فلما انشقَّ الفجر أعادَ الأذان .

أذَّن بلالٌ حياةَ رسول الله ﷺ ، ثم أذَّن لأبي بكر حياتَه ، ثم لم يؤذِّنْ زمنَ عمر ، فقال له عمر : ما يمنعُكَ أن تؤذِّن ؟ فقال : إني أذَّنْتُ لرسول الله ﷺ حتى قُبض ، وأذَّنْتُ لأبي بكر حتى قُبض لأنَّه كان وليَّ نعمتي وقد سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : يا بلال ، ليس شيءٌ أفضلَ من عملك إلاَّ الجهاد في سبيلِ الله . فخرج مجاهداً .

وعن سَعْد القَرَظِ قال :

خرجتُ مع النبيِّ ﷺ فرأيتُ الزَّنْجَ يتراطنون حين رأَوْهُ ليس معه أحد ، ولَمْ يدرِ به الناس ، قال : فارتقَيْتُ على نَخْلةٍ فأذَّنْتُ ، قال : فقال رسولُ الله ﷺ : ما هذا يا سَعْد ، مَنْ أمركَ بهذا ؟ قال : قلت : يا رسولَ الله بأبي أنت وأُمِّي ، إنِّي رأيتُ الزَّنْجَ يتراطنون ولم يكن معك أحد ، فخفتُهم عليك ، فأردتُ أنْ يَعْلَم أنكَ قد جئت حتى يجتمع الناس ؛ فقال : أصَبْتَ ، إذا لَمْ يكن معي بلالٌ فأذِّنْ . قال : وكان النجاشيُّ قد أهدى له عَنَزَتَيْن[2] ، فأعطى بلالاً واحدة فكان يمشي بها بين يدَيْ رسول الله ﷺ حتى توفي . قال : فجاء بلالٌ إلى أبي بكر الصديق فقال : إنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : إنَّ أفضلَ أعمالكم الجهادُ في سبيل الله . وقد أردتُ الجهاد ، فقال له أبو بكر : أسألُكَ بحقِّي إلاَّ ما صبرت ، إنما هو اليوم أو غد حتى أموت ؛ فأقام بلالٌ معه يمشي بالعَنَزَةِ بين يديه حتى توفِّي أبو بكر ، فجاء إلى عمر [١٢٤ / آ] فقال له كما قال لأبي بكر ، فسأله عمر بما سأله أبو بكر ، فأبى ، فقال : فَمنْ

---

(١) البيت في الطبقات لابن سعد ٢٣٥/٣ .

(٢) العنزة محركة : عصا قدر نصف الرمح أو أكثر شيئاً ، فيها سنان مثل سنان الرمح ، وقيل : في طرفها الأسفل زج كزج الرمح يتوكأ عليها الشيخ الكبير . وقيل هي أطول من العصا وأقصر من الرمح والعكازة قريب منها .

يؤذّن ؟ قال : سَعْدُ القَرَظ ، فإنه قد كان أذّنَ بين يدي رسولِ الله ﷺ ، فأعطاه العَنَزَة ، فمشى بين يدي عُمر حتى قتل ، ثم بين يدي عثمان .

وقيل :

إنّ رسول الله ﷺ لما توفي أذّن بلال ورسولُ الله ﷺ لم يُقْبَر ، فكان إذا قال : أشهدُ أن محمداً رسولُ الله انتحبَ الناس في المسجد ، قال : فلما دُفن رسولُ الله ﷺ قال له أبو بكر : أذّن ، فقال : إنْ كنتَ إنما أعتقتني لأكونَ مَعَك فسبيل[1] ذلك ، وإن كنت أعتقتني لله فخلّني ومَنْ أعتقتني له ، فقال : ما أعتقتك إلاّ لله ، قال : فإني لا أؤذن لأحد بعد رسولِ الله ﷺ ، قال : فذلك إليك . قال : فأقام حتى خرجَتْ بعوثُ الشام ، فسار معهم حتى انتهى إليها .

وعن أبي الدّرْداء قال :

لمّا دخل عمر بن الخطاب من فتح بيتِ المقدس فصار إلى الجابية ، سأل بلالٌ أنْ يقرّه بالشام ، ففعل ذلك ، قال : وأخي أبو رُويحة الذي آخى بيني وبينه رسولُ الله ؛ فنزل داريًا في خَوْلان ، فأقبل هو وأخوه إلى قوم من خَوْلان فقال لهم : قد أتيناكم خاطبين ، وقد كُنّا كافرين فهدانا الله ، ومملوكين فأعتقنا الله ، وفقيرين فأغنانا الله ؛ فإنْ تزوّجونا فالحمد لله ، وإن تردونا فلا حولَ ولا قوّةَ إلاّ بالله . فزوّجوهما ، ثم إنّ بلالاً رأى في منامه النبيَّ ﷺ وهو يقول له : ما هذه الجفوةُ يا بلال ! أمَا آنَ لك أنْ تزورَني يا بلال !. فانتبَهَ حزيناً وجِلاً خائفاً ، فركب راحلته وقصَد المدينة فأتى قبرَ النبيِّ ﷺ فجعل يبكي عنده ويُمَرِّغُ وجهه عليه ، فأقبل الحسَنُ والحُسَين ، فجعل يضمُّهما ويُقَبِّلُهما ، فقالا له : يا بلال نشتهي نسمع أذانك الذي كنت تؤذّنُ به لرسولِ الله ﷺ في السَّحَر ؛ ففعل ، فَعلا سَطْحَ المسجد ، فوقف مَوْقفَهُ الذي كان يقفُ فيه ، فلما أنْ قال : الله أكبر ، الله أكبر ارتجّتِ المدينة ، فلما أن قال : أشهدُ أنْ لا إله إلاّ الله ازداد رجّتُها [١٢٤ / ب] فلمّا أنْ قال : أشهدُ أنّ محمداً رسولُ الله خرجَ العواتقُ[2] من خُدورهنّ وقالوا : أبُعث رسولُ الله ﷺ !؟ فما رُئي يوم أكثر باكياً ولا باكيةً بالمدينة بعد رسولِ الله ﷺ من ذلك اليوم .

---

(١)المطبوع من التاريخ ٣٣٧/١٠ (فاسأل) ونص المصنف موافق للفظ ابن سعد في الطبقات ٢٣٦/٣ .

(٢) في الأصل (خرجن) لغة ، والعواتق جمع عاتق وهي الشابة أول ما أدركت أو التي لم تتزوج فلم تبن عن أهلها أو التي بين الإدراك والتعنيس . (القاموس واللسان) .

وعن جابر قال :

كان عُمر يقول : أبو بكر سيِّدُنا وأعتقَ سيِّدَنا ـ يعني بلالاً .

وعن يحيى بن سعيد الأنصاريّ قال :

ذكر عمر بن الخطاب ذات يوم أبا بكر فجعل يصف مناقبَه ثم قال : وهذا سيِّدُنا بلال حَسَنةٌ من حَسَناتِ أبي بكر .

وعن سالم :

أنَّ شاعراً امتدح بلالَ بن عبد الله بن عُمر فقال في شعره : [من الطويل]

بلالُ بنُ عبد الله خَيْرُ بلالِ

فقال له ابنُ عمر : كذبتَ ، بَلْ بلالُ رسولِ الله ﷺ خَيْرُ بلال .

وعن أنسِ بن مالك قال :

بعثَ رسولُ الله ﷺ رجلاً من أصحابه يقال له سَفينة بكتابٍ إلى معاذ ، إلى اليمن ؛ فلَّما صار في الطريق إذا هو بالسَّبُع رابضٌ في وسط الطريق ، فخاف أنْ يجوزَ فيقوم إليه فقال : أيها السَّبع إني رسولُ رسولِ الله ﷺ إلى معاذ ، وهذا كتابُ رسولِ الله ﷺ إلى معاذ . قال : فقام السَّبعُ فهرولَ قدامه غَلْوةً[1] ثم هَمْهَم ، ثم صرخ ثم تنحَّى عن الطريق ؛ فمضى بكتابِ رسولِ الله ﷺ إلى معاذ ، ثم رجع بالجواب ، فإذا هو بالسَّبُع ، فخاف أنْ يجوزَ فقال : أيها السَّبُع إني رسولُ رسولِ الله ﷺ إلى معاذ ، وهذا جوابُ كتابِ رسولِ الله ﷺ إلى معاذ ، فقام السبع فصرخ ثم همهم ثم تنحَّى عن الطريق ؛ فلمَّا قدِم أخبرَ رسولَ الله ﷺ فقال رسولُ الله ﷺ : وتدرونَ ما قال أوَّلَ مرَّة ؟ قال : كيف رسولُ الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ ؟ وأمَّا الثانية فقال : أقرئْ رسولَ الله ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وسَلْمان وصُهَيباً وبلالاً مني السلام .

روى الأوزاعي :

أن بلالاً أتى عُمَر بنَ الخطاب [١٢٥ / آ] فقال : الصلاة ، فردَّدها عليه فقال له

---

(١) الغلوة : زمن قدره رمية سهم .

عمر : نحن أعلمُ بالوقت منك ، قال له بلال : لأنا أعلمُ بالوقت منك ، إذ أنت أضلُّ من حمار أهلك .

وحدَّث ابنُ مراهن[1] قال :

كان أناس يأتون بلالاً فيذكرون فضله وماقسم الله له من الخَيْر ، فكان يقول : إنما أنا حبشي كنت بالأمس عبداً .

وعن قيس قال :

بلغ بلالاً أنَّ ناساً يفضِّلونه على أبي بكر فقال : كيف تفضِّلوني عليه وإنما أنا حَسَنة من حسناته .

حدَّث مَنْ رأى بلالاً قال :

كان بلال رجلاً آدم ، شديد الأُدْمَة ، نحيفاً طُوالاً ، أجْنَأ[2] ، له شعر كثير ، خفيف العارضين ، به شَمَطٌ كثير ، وكان لا يُغَيِّر .

حدث سعيد بن عبد العزيز قال :

قال بلال حين حضرَتْهُ الوفاة : [من الهزج]

غـــداً نَلْقَى الأحِبَّـــهْ محمـــداً وحِـــزْبَـــهْ[3]

قال : تقول امرأته : واوَيْلاه ! قال : يقول هو : وافَرَحاه !.

وكان سعيد بن طلحة من ولدِ أبي بكر يقول :

كان بلال تِرْبَ أبي بكر ، فكان مولده بعد الفيل بثلاثِ سنين أو أقلّ .

---

(١) كذا الأصل والتاريخ المطبوع (ابن مراهن) بالراء وفي نسخة كامبردج (جواهن) والتصحيف ظاهر فيه ، ولعل صوابه (ابن مواهن) الذي ذكر في ميزان الاعتدال ٥٩٦/٤ وتهذيب ابن حجر ، لأن من رواته عبد الرحمن بن ميسرة راوي هذا الخبر .

(٢) الأجنأ : الذي في كاهله انحناء وليس بالأحدب . (لسان) .

(٣) البيت، في طبقات ابن سعد ١٠٦/٤ .

١٤٥ ـ بلال بن سعد بن تميم أبو عمرو

ويقال أبو زُرْعةَ السَّكُوني .

إمامُ الجامعِ بدمشق ، كان أحَدَ الزُّهَّاد ، له كلامٌ كثير في المواعظ ، وليس له عَقِب .

قال أبو مُسْهِر :

كان بلالُ بن سعدٍ بالشام مثل الحَسنِ البصريِّ بالعراق ، فكان قارئَ الشام ، وكان جهير الصوت .

حدَّث بلالُ بن سعد عن أبيه قال :

قلنا يا رسولَ الله ما لِلخليفة بعدَكَ ؟ قال : مثل الذي لي ما رحِمَ وأقسَطَ في القسط ، وعَدَل في القَسْم .

قال الأصمعيّ :

كان بلالُ بن سعد يصلِّي الليلَ أجمع ، فكان إذا غلبَهُ النومُ في الشتاء ـ وكان في داره بِرْكةُ ماء ـ فيجيءُ فيطرحُ نفسه مع ثيابه في الماء حتى ينفّر عنه النوم . فعُوتب في ذلك ، قال : ماءُ البِرْكةِ في الدنيا خيرٌ من صديدِ جهنَّم .

قال الأوزاعي :

كان بلال بن سعد من العبادة على شيء لم يُسْمَعْ بأحدٍ من الأمة قوِيَ عليه ؛ كان له في كل يوم وليلة ألفُ ركعة . [١٢٥/ ب]

قال أبو عمرو : سمعتُ بلال بن سعد يقول في مواعظه :

والله لكَفى به ذنباً أنَّ الله عزَّ وجل يُزَهِّدُنا في الدنيا ونحن نرغبُ فيها ، زاهدكم راغب ، عالمكم جاهل ، ومجتهدُكم مُقَصِّر .

قال بلال بن سعد :

أخ لك كلَّما لقيكَ ذكَّرك بحظك من الله ، خَيْرٌ لك من أخٍ كلَّما لقيك وضع في كَفِّكَ ديناراً .

وكان يقول :

لا تكُن وليّاً لله في العلانية وعدوّهُ في السّرّ .

وكان يقول :

لا تكُنْ ذا وجهَيْن وذا لسانين ، فتُظْهِرَ للناس أنك تخشى الله فيحمدوك وقلبك فاجر .

وكان يقول :

إنّ المعصية إذا أخفيَتْ لم تضرَّ إلاّ صاحبها ، وإذا أُعلنَتْ فلَمْ تُغَيَّرْ ضرّت العامّة .

وكان يقول :

أيها الناس إنكم لم تُخْلَقُوا للفناء ، وإنما خُلقتم للبَقَاء ، وإنما تُنقلون من دار إلى دار ، كما نقلتم من الأصلاب إلى الأرحام ، ومن الأرحام إلى الدنيا ، ومن الدنيا إلى القبور ، ومن القبور إلى المَوْقف ، ومن الموقف إلى جنّةٍ أو نار .

وكان يقول في موعظته :

عبادَ الرحمن ، اعلموا أنكم تعملون في أيامٍ قصار لأيام طوال ، في دار زوال لدار مُقام ، ودار حَزَنٍ ونَصَب ، لدار نعيمٍ وخُلْد ، ومن لَمْ يعمَلْ في اليقين فلا يتعبنّ .

وكان يقول :

عبادَ الرحمن ، أشفِقُوا من الله واحذروا ، ولاتأمَنُوا مَكْرَ الله ولا تقنطوا من رحمة الله ، واعلموا أن لِنِعَمِ اللهِ عزّ وجلّ عندكم ثَمَناً ، فلا تُشَبِّهوا على أنفسكم تعملون عملاً لله لثوابِ الدنيا ، ومن كان كذلك فوالله لقَدْ رضيَ بقليل حيثُ استغنيتم باليسير من عَرَضِ الدنيا ، ولَمْ تُرْضوا ربكم فيها ، ورفضتم ما يبقى لكم ، وكفاكم منه يسير .

وكان يقول :

عبادَ الرحمن ، أمّا ماوكلكم الله به فتطيعون ، وأما ما تكفَّلَ الله لكم به فتطلبون ! ما هكذا نَعَتَ الله عبادَهُ الموقنين ؛ ذوو عقولٍ في طلب الدنيا وبُلْهٌ عمّا خُلقتم له ! فكما ترجون رحمةَ الله بما تؤدُّون من طاعته ، فكذلك أشفقوا من عذابِ الله بما تنتهكون من معاصي الله . [١٢٦/ آ]

وكان يقول :

من سبقك إلى الوُدّ فقد استرقّك بالشكر .

وكان يقول :

مَن سبق إحسانُه إليك فقد استرقَّك شُكْرُه .

قال بلال بن سعد :

لَما حضرَتْ أبي الوفاةُ قال : اجمعْ لي بنيك ، فألبستهم ثياباً بيضاً ثم جئتُ بهم ، فقال : اللهمَّ إني أعيذُهم بك من الكفر ، ومن ضلالة العمل ، ومن السَّباء والفقر إلى بني آدم .

وكان بلال يقول :

لا تنظُرْ إلى صِغَرِ خطيئتك ، ولكن انظُرْ إلى مَنْ عَصَيته .

قال سعيد بن عبد العزيز :

رُمي بلالُ بن سعد بالقَدَر ، فأصبح فتكلَّم في قصصه فقال : رُبَّ مسرور مغبون ، والويلُ لمن له الويل ولا يشعر ، يأكلُ ويشرب وقد حق عليه في علم الله أنه من أهل النار .

١٤٦ - بلال بن أبي بُرْدَة عامر بن عبد الله

أبي موسى بن قيس ، أبو عمرو ، ويقال : أبو عبد الله الأشعري البصري . ولي إمْرَة البصرة .

حدَّث عن أبيه عن جَدّه ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول :

ما مِنْ مسلمَيْنِ تواجها بسيفَيْهما فقَتَل أَحَدُهما الآخَر إلاّ دخَلاَ النار جميعاً . فقيل له : هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : إنه أراد قَتْلَ صاحبه .

وحدَّث أيضاً عن أبيه عن جَدّه أبي موسى الأشعري ، أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول :

مامن وَصَبٍ يُصيبُ العبدَ في دار الدنيا ، ولا نكبة ، ولا ما يُصيبُه في دار الدنيا إلاّ كان كفَّارةً لذنبٍ قد سلفَ منه ، ولم يكن الله ليعودَ في ذنبٍ قد عاقب منه .

جاء رجلٌ إلى بلال بن أبي بردة ، فسعى برجل ؛ فقال لصاحب شرطته : سَلْ عنه ،

فسأل عنه فقال : أصلح الله الأمير ، إنه ليقال فيه ، فقال : الله أكبر ، حدّثني أبي عن جَدّي أبي موسى قال : قال رسُول الله ﷺ : لا يسعى بالناس إلا ولد زنى .

قال جُويرة بن أسماء :

لَما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وفد عليه بلال بن أبي بردة فهنّأه ، فقال : من كانت الخلافة ـ يا أمير المؤمنين ـ شرّفَتْهُ [١٢٦/ ب] فقد شرّفتَها ، ومن كانت زانته فقد زنتها[1] ، وأنت ـ والله ـ كما قال مالك بن أسماء : [من الخفيف]

وتزيدينَ طَيِّبَ الطِّيبِ طيباً ... إنْ تَمَسَّيهِ أينَ مِثْلُكِ أَيْنا

وإذا الدُّرُّ زانَ حسن وجوهٍ ... كان للدُّرِّ حسنُ وجهِكِ زَيْنا[2]

فجزاه عمر خيراً ؛ ولزم بلالٌ المسجدَ يصلّي ، ويقرأُ ليلَهُ ونهاره ؛ فهمّ عُمر أنْ يولّيَهُ العراق ، ثم قال : هذا رجل له فضل ، فدسّ إليه ثقةً له فقال له : إنْ عملتُ لك في ولاية العراق ما تعطيني ؟ فضمِنَ له مالاً جليلاً ؛ فأخبر بذلك عمر ، فنفاه وأخرجه وقال : يا أهل العراق إن صاحبكم أعطى مقولاً ولم يُعْطِ معقولاً ، وزادَتْ بلاغته ونقصت رادَّتُه[3] .

وكان بلال بن أبي بردة يقول :

يا معشر الناس ، لا يمنعكم سوءُ ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون .

وقال بلال بن أبي بردة :

رأيت عيشَ الدنيا في ثلاثة : امرأة تَسُرُّك إذا نظرْتَ إليها ، وتحفظُ غيبك إذا غبتَ عنها ؛ ومملوكٌ لاتهتمُّ بشيءٍ معه وقد كفاك جميع ماينوبُك ، فهو يعمل على ما تهوى ، كان قد علم ما في نفسك ؛ وصديقٌ قد وضع مؤنة الحفظ عنك فيما بينك وبينه ، فهو لا يتحفّظ في صداقتك ما يرصد به عداوتك ، يخبرك بما في نفسه ، وتخبره بما في نفسك .

دخل مالكُ بن دينار على بلال بن أبي بردة فقال له : يا أبا يحيى ادْعُ الله لي ، فقال له : ما ينفعك دعائي لك وعلى بابك أكثر من مئتين يدعون عليك !.

---

(١) لفظ الجاحظ (زينتها) .

(٢) الخبر والبيتان في البيان والتبيين ١/١٩٥ .

(٣) يقال : هذا الأمر لا رادّة فيه ، أي لا فائدة . (التاج).وفي ابن عساكر ١٠/٣٨- ونسخة أحمد الثالث : (زهادته) .

قال محمد بن واسع :

دخلتُ على بلال بن أبي بردة فقلت له : يا بلال إن أباك حدَّثني عن أبيه ، عن النبيِّ ﷺ قال : إنَّ في جهنَّم وادياً يقال له : هَبْهَبْ ، حقاً على الله أنْ يُسْكنه كُلَّ جبَّار . وإياك يا بلال أن تكون ممن يسكُنُه .

قال المدائني :

أرسل بلال إلى قصَّابٍ في جواره في السَّحَر ، قال : فدخلت عليه وبين يديه كانون ، وفي صَحْنِ الدار تَيْسٌ ضَخْم ، فقال : أخرج الكانون [١٢٧/ آ] واذبح التَّيْس واسْلَخْهُ وكبب لحمه ، ففعلتُ ، ودعا بخوانٍ فوضع بين يديه ، وجعلت أكبب اللحم ، فإذا استوى منه شيء وضعتُه بين يديه يأكُله حتى تعرَّقت له لحم التيس ، فلم يبقَ إلاَّ بطنُه وعظامُه ، وبقيَتْ بضعةٌ على الكانون فقال لي : كُلْها ، فأكلتُها ، وجاءَتْ جارية بقِدْر فيها دجاجتان وناهِضَتان[1] ، ومعها صَحْفَةٌ مغطاة لا أدري ما فيها ، فقال : وَيْحكِ ما في بطني موضع ، فضعيها على رأسي ، فضحكَ إلى الجارية وضحكَتْ إليه ورجعَتْ ، ثم دعا بشرابٍ فشرب منه خمسة أقداح ، وأمر لي منها بقَدَح فشربتُه ، ثم قال : الحَقْ بأهلك .

وكان بلال يخافُ الجُذَام ، فَوُصِف له السَّمْن يستنقعُ به ، فكان يقعدُ فيه ثم يبيعه ؛ فترك أهلُ البصرة أكْلَ السَّمْنِ وشراءَه إلا ممَّن كان يسليه في منزله . وكان بلال موصوفاً بالبخل على الطعام .

قال ابن سلاَّم :

أمر بلالُ بن أبي بردة بالتفريق بين رجلٍ وامرأته ، فقالت : يا آلَ أبي موسى ، إنما خلقكم الله للتفريق بين المسلمين ـ أرادَتْ ما صنع أبو موسى بعليٍّ ومعاوية .

قال أبو زيد الأنصاري :

دعا ابنُ أبي بُرْدَة أبا علقمة ، فلما دخل عليه قال : تدري لم أرسلتُ إليك ؟ قال : لا ، قال : لأسخر بك ، فقال أبو علقمة : لئن فعلت ذلك لقد سخر أحدُ الحكَمَيْن بصاحبه ، فلعنه ابنُ أبي بُرْدَة وأمر بحبسه ، فمكث أياماً ثم أخرجه يوم السبت ، فلمَّا وقف بين يديه

---

(١) الناهض : الفرخ الذي استقل للنهوض ، وقيل : هو الذي وَفَر جناحاه ونهض للطيران . (لسان)

قال له : يا أبا علقمة ما هذا الذي في كُمِّك ؟ قال : طرف من طرف السجن ، قال : أفلا تَهَبُ لنا منه ؟ قال : هذا يوم لا نأخذ فيه ولا نعطي ، فقال له ، ما أبردَكَ وأثقَلَك يا أبا علقمة ! قال : أبْرَدُ مني وأثقل مني مَنْ كانَتْ جَدَّتُه يهوديَّةٌ من أهل السواد .

ورُوي :

أن بلالاً إنما قتله دهاؤه ؛ وذلك أنه قال للسجَّان : خُذْ مني مئة ألف درهم وتُعلِم يوسفَ أنّي قَدْ متُّ ، وكان يوسف إذا أخبر عن مَحْبُوسٍ أنه قد مات أمر بدفعِهِ إلى أهله ، فطمِعَ بلال أن يأمر يوسف بدفْعِه إلى أهله ، قال [١٢٧/ ب] السجَّان : كيف تصنعُ إذا دُفِعْتَ إلى أهلك ؟ قال : لا يسمعُ لي يوسف بخبرٍ ما دام والياً ؛ فأتى السجانُ يوسفَ بن عمر فقال له : إنَّ بلالاً قد مات ، فقال : أرنيهِ ميتاً فإني أحب أنْ أراه ميتاً ، فجاء السجَّان فألقى عليه شيئاً غَمَّه حتى مات ، ثم أراه يوسف .

١٤٧ ـ بلال بن أبي هريرة الدَّوْسِيّ

صاحب سيِّدنا رسولِ الله ﷺ ، شهد مع معاوية صِفِّين ، وجعله على بعض رجَّالته ، وبقي إلى أيام سُليمان بن عبد الملك .

حدَّث عن أبيه ، عن النبيِّ ﷺ قال :

يخرجُ الدَّجَّال من ها هنا ، وأشار نَحْوَ المشرق .

ورُوي عنه

أن رسولَ الله ﷺ أُتي بصَحْفَةٍ تفور ، فرفع يده منها ثم قال : إنَّ الله لَمْ يطعِمْنا ناراً .

١٤٨ ـ بلال بن عُوَيمر أبي الدَّرْدَاء ، أبو محمد الأنصاريُّ القاضي

ويقال : كان أميراً ببعضِ الشام ، وهو في عِداد أهل دمشق .

حدَّث عن أبيه أبي الدرداء عن النبيِّ ﷺ قال :

حُبُّكَ الشيء يُعْمِي ويُصِمّ .

وحدّث أيضاً عن أبيه أبي الدرداء قال :

ما أمكنهم من دمائكم فبا غيَّرْتُم من أعمالكم ، فإنْ يَكُ خيراً فواهاً واها ، وإنْ يَكُ شرّاً فآهاً آها . هكذا سمعتُ من نبيّكم ﷺ .

قال أبو سليمان الخطّابي :

قوله : واهاً . إنما يقالُ ذلك على التمنّي للخير ، قال الشاعر : [من الرجز]

واهاً لريَّا ثم واهاً واها

وقوله لـ آهاً : إنما يقال ذلك في التوجُّع ، قال نابغةُ بني شَيْبَان : [من الخفيف]

أقْطَعُ الليلَ آهةً وحنيناً ... وابتهالاً لِلّهِ أيَّ ابتهالِ

توفّي بلالُ بن أبي الدرداء في آخر سنة ثلاثٍ وتسعين . [١٢٨/ آ]

أسماء النساء على حرف الباء

١٤٩ ـ بُثَيْنَةُ بنتُ حبا[١] بن ثعلبة بن الهَوْذ[٢]

ابن عمرو بن الأحب بن حُنّ بن ربيعة بن حرام بن ضِنّة بن عبد بن كبير بن عُذرَة بن سعد هُذَيم بن زيد بن لَيْث بن سود بن أسْلَم بن الحافِ بن قُضاعة ؛ أمُّ عمرو ، ويقال : أمُّ الوليد ، ويقال : أمُّ عبد الملك ، ويقال : أم المسور العُذريّة ، صاحبة جميل بن معمر ، وفدت على عبد الملك ، ويقال : إنّ لأبيها حُبا[٣] صحبة ؛ وكان زوّجها بِنُبَيْه[٤] بن الأسود العذري والد سعيد بن الأسود ، ويقال : هي بنتُ خالة جميل .

قال محمد بن يزيد المبرّد :

دخلَتْ بُثَينة على عبد الملك ، فأحدَّ [النظر][٥] إليها ثم قال : يا بُثَينة ما رأى فيك جميل حين قال ما قال ؟ قالت : ما رأى الناس فيك حين ولَّوْكَ الخلافة يا أمير المؤمنين ؟ قال : فضحك عبدُ الملك حتى بدَتْ سِنٌّ له كان يخفيها ، فما ترك لها من حاجةٍ إلا قضاها .

قال أبو عثمان المازني :

حجّ عبد الملك بن مروان فنزل بوادي القُرى ، فدخلَتْ عليه بُثَينة عليها ثيابٌ من ثياب البادية ، وعلى وجهها بُرْقع ، فقال : أقسمتُ عليك إلا نحَّيْتِ البُرْقع عن وجهك ،

---

(١) اضطربت المصادر في ضبط هذا الاسم ، ففي جمهرة ابن حزم ٤٤٩ موافق لضبط المصنف ، أما ابن ماكولا ١٨٥/١ فضبطه (حبي) ضبط قلم . وأما ابن حجر في الإصابة (حَيّ) وأما شارح القاموس في (هوذ) والأغاني ٩٢/٨ : (حَبَأ) بالهمز .

(٢) في الأصل (العود) بالعين والدال المهملة وهو تصحيف ، وما أثبتناه من جمهرة ابن حزم والتاج (هوذ) وابن ماكولا .

(٣) كذا ضبطه المصنف وانظر تعليق (١) من هذه الصفحة

(٤) في الأصل (بثينة) وهو تصحيف وما أثبتناه من جمهرة ابن حزم ٤٤٩ والأغاني ١٢١/٨ طبعة دار الثقافة .

(٥) ما بين معقوفين من التاريخ (س) ٢-٣/١٩ آ .

ففعلَتْ ، فإذا وجهٌ ليس ببارعِ الجمال ، وعليه أثر كُلْفَة ، قال : ما أراك كما قال جميل : [من الكامل]

بيضاءُ آنسةٌ كأنّ حديثَها ... دُرٌّ تهلَّلَ سِلْكُهُ مَنْثُورُ
ولقد طربتُ إليكِ حتى إنني ... لأكادُ من طربٍ إليكِ أطيرُ[1]

ما أنتِ يا بُثَينةُ بهذه الصفة ! قالت : يا أمير المؤمنين لكنني كنتُ عنده كذلك ، أما سمعتَ قَوْلَ ابنِ أبي ربيعة : [من الرمل]

ولقد قالَتْ لأترابٍ لها ... وتعرَّتْ ذاتَ يومٍ تَبْتَرِدْ
أكما يَنْعَتُني تُبصِرْنَني ... عَمْرَكنَّ اللهِ أمْ لا يقتصِدْ
[١٢٨/ب] فتضاحكْنَ وقَدْ قُلْنَ لها ... حَسَنٌ في كُلِّ عينٍ مَنْ تَوَدْ[2]

فبرَّها وقضى حوائجها .

كانت عزَّةُ كُثَيِّر وبُثَينة يوماً تتحدَّثان ، فأقبل كُثَيِّر نحوهما ، فقالت بُثَينة لعزَّة : استَخْفي حتى أولع بكثير ، فتوارَتْ ، فأتى فسلَّم ، فردَّتْ بُثَينة عليه السلام وقالت له : أمَا آنَ لك أنْ تشبِّبَ بنا فأنشأ يقول : [من الطويل]

رمتني على قُرْبِ بُثَينةُ بعدما ... تولَّى شبابي وارجحنَّ شبابُها
بعينينِ نجلاوَيْن لو رقرقَتْهُما ... لِنَوْءِ الثُّريَّا لاستهلَّ سحابُها

قال : فأطلعَتْ عزَّةُ رأسَها فقال :

ولكنَّما ترمينَ نفساً مريضةً ... لعزَّةَ منها وُدُّها ولُبابُها[3]

قال أدهم التميمي :

لقيتُ كُثَيِّر عزَّة في البادية فقال : لقيني جميلُ بن مَعْمَر في هذا الموضع وأنا جاءٍ من عند أبي بُثَينة صاحبته ، فقال : من أين يا كُثَيِّر ؟ فقلت : من عند أبي الحبيبة - يعني

---

(١) البيت الثاني غير موجود في ديوانه والبيت الأول في الديوان ص ٩٨ تحقيق حسين نصار وروايته :
عذراء مبسام كأن حديثها ... در تحدَّر نظمه منثور
(٢) الأبيات في ديوان عمر ٣١٢ والكامل ٢٦٠/٣ .
(٣) الخبر والأبيات في الأغاني ٣٥/٩ طبعة دار الثقافة .

صاحبَتَه ـ قال : وأين تريد ؟ فقلت : أريد الحبيبة ـ يعني عَزَّة ـ فقال : ارجعْ من حيثُ جئت . وواعِدْ بُثَينة ، فقلت : لا أقدر ، مِنْ عندهم جئت وإذا رجعتُ من ساعتي اتهمني أبوها ؛ فقال : لابدَّ ، فقلت : متى كان آخِرُ عهدك بهم ؟ قال : بالدَّوْم وهم يَرْحَضُونَ أثواباً لهم[1] ، قال : فرجعت ، فلمَّا رآني أبو بُثَينة قال : يا كُثَيِّر أليس كنتَ عندنا الآن ؟ قلت : بلى ولكنْ ذكرتُ أبياتاً قلتُها في عَزَّة فأحببتُ أنْ أُنشِدَكَ إيَّاها ، قال : وما هي ؟ قال : وبُثَينة في خيمةٍ من وراء خيمته فأنشدتُه : [من الطويل]

فقلتُ لها يا عَزُّ أرسلَ صاحبي ... إليَّ رسولاً والمُوَكَّلُ مُرْسَلُ
بأنْ تجعلي بيني وبينَكِ مَوْعِدا ... وأنْ تأمريني بالذي فيه أفعلُ
وآخرُ عهدي منكِ يوم لقيتني ... بأسفل وادي الدَّوْم والثوبُ يُغْسَلُ[2]

قال : فضربَتْ بُثَينة بيدها على الخِباء وقالت : اخْسَأْ ، اخْسَأْ ، فقال أبوها : ما هذا [١٢٩/ آ] يا بُثينة ؟ قالَتْ : كلبٌ يأتينا من وراء الرابية إذا نام الناس يؤذينا ، قال فرجعتُ إلى جميل فقلت : قد وعدَتْكَ من وراء الرابية إذا نام الناس .

روى بعضُ أهلِ العِلْم لبثينة : [من الطويل]

تواعدني قومي بقتلي وقتلِهِ ... فقلت اقتلوني واخرجوه من الذنب
ولا تتبعوه بعد قتلي أذِيَّةً ... كفى بالذي يلقاه من شدة الحب

لما مات جميل بن معمر رثَتْه بُثَينة بهذَيْن البيتَيْن ، وقيل : إنها لم تَقُل غيرهما : [من الطويل]

وإن سُلُوّي عن جميلٍ لساعةٌ ... من الدهر ما حانَتْ ولاحان حينُها
سواءٌ علينا يا جميلُ بن مَعْمرٍ ... إذا متَّ بأساءُ الحياةِ ولينُها[3]

---

(١) الدوم : واد معترض من شمالي خيبر إلى قبليها (معجم البلدان) . ورحض الثوب : غسله .
(٢) الخبر والأبيات في الأغاني ١٠٧/٨ طبعة دار الثقافة .
(٣) انظر الخبر والأبيات في الأغاني ١٥٥/٨ طبعة دار الثقافة .

١٥٠ ـ بَحْرِيَّةُ بنتُ هانئِ بنِ قَبِيضة

ابن مسعود الشَّيْبانيَّة ، امرأة عُبَيد الله بن عمر ، كانَتْ حازمةً عاقلة ، ووردَتْ معه الشام ، وكانت معه بصِفِّين حين قتل .

حدَّثَتْ بحريَّةُ بنت هانئ :

أنها زوَّجَتْ نفسها من القعقاع بن شَوْر ، وبات عندها ليلةً وجاء أبوها فاستعدى عليّاً فقال : أدخلْتَ بها ؟ قال : نعم ، فأجاز النِّكاح .

حدَّث يزيد بن يزيد بن جابر :

أنَّ معاوية دعا عُبيد الله بن عمر فقال : إنَّ عليّاً كما ترى في بكر بن وائل ، قد حامَتْ عليه ، فهل لك أن تسير في الشهباء قال : نعم ، فرجع عُبَيد الله إلى خِبائه فلبسَ سلاحَه ثم إنَّه فكر وخاف أنْ يُقتل مع معاوية على حاله ، فقال له مولًى له : فِداك أبي إنَّ معاوية إنما يقدِّمُكَ للموت ، إنْ كان لك الظَّفَرُ فهو يلي ، وإنْ قُتلت استراحَ منك ومن ذكرك ، يقال : ابن عمر بن الخطاب ، فأطعْني واعتلّ ؛ قال : وَيْحك قد عرفتُ ما قلت ، فقالت له امرأته بحريَّةُ بنتُ هانئ : مالي أراك مشمِّراً ؟ قال : أمرني أمير المؤمنين أن أسير في الشهباء ، قالت : هو والله مثلُ التابوت لَمْ يحملْهُ أحَدٌ قطُّ إلا قُتل ، أنت تقتل [١٢٩/ ب] وهو الذي يُريد معاوية ، قال : اسكتي والله لأُكثِرنَّ من القَتْلِ في قومك اليوم ، فقالت : لا تَقُلْ هذا ، خَدَعَك معاوية ، وغرَّك من نفسك ، وثَقُل عليه مكانُك ، قد أبرم هذا الأمر هو وعمرو بن العاص قبل اليوم فيك ، لو كنتَ مع عليٍّ أو جلسْتَ في بيتك كان خيراً لك ؛ قد فعل ذلك أخوك وهو خير منك ، قال : اسكتي ـ وهو يتبسَّمُ ضاحكاً ـ لترينَّ الأسارى من قومك حول خِبائكِ هذا ، قالت : والله لكأنّي راكبةٌ دابَّتي إلى قومي أطلب جسدَك لأن أواريه ؛ إنك مخدوع ، إنما تمارس قوماً غُلْبَ الرِّقاب[1] ، فيهم الحرون ، ينظرونَ نَظَر القوم إلى الهلال[2] ، لو أمرهم تَرْكَ الطعامِ والشرابِ ماذاقُوه ؛ قال : أقصري من العَذْل ، فليس لك عندنا طاعة . فرجعَ عُبيد الله إلى معاوية فضمَّ إليه الشهباء ، وهم اثنا عشر ألفاً ، وضمَّ

---

(١) غلب : جمع أغلب ، وهو الغليظ الرقبة ، وهم يصفون أبداً السادة بغلظ الرقبة . (لسان) .

(٢) لفظ ابن سعد في الطبقات ٢٠/٥ (الهلاك) .

إليه ثمانية آلاف من أهل الشام فيهم ذو الكلاع في حِمْيَر ؛ فقصدوا يؤمُّون عليّاً ، فلما رأتهم ربيعةُ جَثَوْا على الرُّكَب وشرعوا الرِّماح ، حتى إذا غشَوْهم ثاروا إليهم واقتتلوا أشدَّ القتال ، ليس فيهم إلاَّ الأسَل والسيوف ؛ وقُتل عبيد الله ، وقُتل ذو الكلاع ؛ والذي قَتَل عُبيدَ الله زيادُ بنُ خَصَفَة التيميّ ، فقال معاوية لامرأة عُبيد الله : لو أتيتِ قومَكِ فكلَّمْتِهم في جسد عبيد الله بن عمر ؟ فركبَتْ إليهم ومعها من يُجيرها ، فأتَتْهم فانتسبت ، فقالوا : قد عرفناك ، مرحباً بك فما حاجَتُك ؟ قالت : هذا الذي قتلتموه ، فأُذِنُوا لي في حَمْله ، فوثَبَ شبابٌ من بكر بن وائل فوضعوهُ على بغل ، وشدُّوه ، وأقبلتِ امْرأتُه [إلى عسكرِ معاوية ، فتلقَّاها معاوية بسريرٍ فحمله عليه وحفر له وصلَّى عليه ودفنه ثم جعل] يبكي [و][1] يقول : قُتل ابنُ الفاروقِ في طاعة خليفتكم حيّاً وميتاً ، وإن كان الله قد رحمه ووفَّقه للخير ، قال : تقول بحرية وهي تبكي عليه ، وبلغها ما يقول معاوية فقالت : أمَّا أنت فقد عجَّلْتَ له يُتْمَ ولده وذهابَ نفسه ، ثم الخوف عليه لما بعد أعظمُ الأمر . فبلغ معاويةَ كلامُها فقال لعمرو بن العاص : [١٣٠/ آ] ألا ترى ما تقول هذه المرأة ؟ فأخبره فقال : والله لَعجبٌ لك ما تريد أن يقول الناسُ شيئاً ! فوالله لقد قالوا في خير منك ومنَّا ، فلا يقولون فيك أيها الرجل ، إنْ لَمْ تَغْضِ عما ترى كنت في نفسك في غمّ . قال معاوية : هذا والله رأيي الذي ورثتُ من أبي .

١٥١ ـ بَرْقُ الأُفُق المَدَنيَّة

قال دَحْمانُ الأشقر :

كتَبَ عاملُ الحجاز إلى عبد الملك بن مروان : إنَّ بالحجاز رجلاً يقالُ له ابن مِسْجَح ، أسود يُغَنِّي ، وقد أفسدَ رهبانَ قُريش ، وأنفقوا عليه أموالهم . فكتب إليه في نَفْيِهِ عن الحجاز وأخْذِ ماله ، فنُفِي ، فخرج إلى الشام في صُحبةِ رجلٍ له جوارٍ مغنِّيات ، فكان معه حتى بلغا دمشق ، فدخلا مسجدها فسألا مَنْ حضرَ عن أخصِّ الناس بالخليفة ؟ فقالوا :

---

(١) ما بين معقوفين ساقط من الأصل استدركناه من طبقات ابن سعد ١٨/٥ . وقد تصحفت العبارة أيضاً بسقوط الواو (وأقبلت امرأته تبكي تقول) .

هؤلاء النفر من قريش وأخصُّهم بنو عمه ؛ فعمد ابن مِسْجَح إلى القرشيِّين فسلَّم عليهم وقال لهم : يا فتيان هل فيكم مَنْ يُضيف رجلاً غريباً من أهل الحجاز ؟ فنظر بعضُهم إلى بعض ، وكانوا قد تواعدوا أنْ يذهبوا إلى قَيْنَةٍ يقال لها برق الأُفق ، فتثاقلوا به إلاَّ فتى منهم تذمَّم[1] فقال : أنا أضيفك ، وقال لأصحابه : انطلقوا أنتم وأنا أذهبُ مع ضَيْفي ، فقالوا له : لا ، بَلْ تجيءُ أنت وضَيْفُك ، فذهبوا جميعاً إلى بيت القَيْنة ؛ فلمَّا أتوا بالغَداء قال لهم ابن مِسْجَح : إني رجلٌ أسود ، فلعلَّ فيكم من يقذَرُني ، فأنا أجلسُ ناحية ، وقام ، فاستحوا منه وبعثوا إليه بما أكل ، فلما صاروا إلى الشراب ، قال لهم مثل ذلك ، ففعلوا به ، وأخرجت لهم القينة جاريتَيْن ، فجلستا على سريرٍ قد وضع لهما ، فغنَّتا إلى العشاء ، ثم دخلتا وخرجَتْ جارية حَسنةُ الوجهِ والهيئة ، وهما معها ، فجلسَتْ على السرير وجلستا أسفلَ منها عن يمينِ السرير وشماله ؛ قال ابن مِسْجَح : فتمثلتُ بهذا البيت : [١٣٠/ ب]

فقلت أشمسٌ أمْ مصابيحُ بِيعَةٍ ... بدَتْ لكَ خلفَ السِّجْفِ أمْ أنت حالِمُ

فغضبَتِ الجارية وقالت : أيضربُ لنا هذا الأسودُ الأمثال ؟! فنظروا إليَّ نظراً مُنكراً ، ولم يزالوا يسكتونها ، ثم غنَّتْ صوتاً فقلت : أحسنتِ والله ، فغضِبَ مَوْلاها وقال : هذا الأسود يقدمُ على جاريتي ! فقال لي الرجلُ الذي أنزلني عليه : قُمْ فانصرفْ إلى منزلي فقد ثقلتَ على القوم ، فذهبتُ أقوم ، فتذمَّم القوم مني وقالوا : بل أقِمْ وأحسِنْ أدَبَك ، فأقمت ، وغنَّت لحناً لي فقلت : أخطأتِ والله ـ أيْ زانية ـ وأسأتِ ، ثم اندفعتُ فغنَّيْتُ الصَّوْت ، فوثَبَتِ الجارية فقالَتْ لمولاها : هذا والله أبو عثمان سعيدُ بن مِسْجَح ، فقلت : إني والله أنا هو ، ولا أقيمُ عندكم ، فوثَبَ القرشيُّون فقال لي : هذا يكون عندي وقال هذا : لا بَلْ يكونُ عندي ، فقلت : لا والله لا أقيمُ إلاَّ عند سيِّدكم ـ يعني الرجل الذي أنزله ـ وسألوه عمَّا أقدمه ؟ فأخبرهم ، فقال له صاحب منزله : أنا أسمرُ الليلة عند أمير المؤمنين فهل تحسِنُ أنْ تحدو ؟ قال : لا والله ، ولكنِّي أصوغُ لحناً على الحُداء ، قال : فافعَلْ ، فصنع لحناً على ألحان الحُداء في هذا الشعر : [من مشطور الرجز]

إنَّكَ يا معاويَ المفضَّلْ ... إنْ زَلزل الأقوامُ لم تُزَلْزَلْ

---

(١) التذمم للصاحب : هو أن يحفظ ذمامه ويطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه . (لسان) .

عن دين موسى والكتـابِ المُنْـزَلْ تقيمُ أصـــداغَ القرونِ المُيَّـلْ
للحقِّ حتى ينتحوا للأعْدَلْ[1]

وسمعه الفتى فقـال : أحسنتَ والله ، وأجَـدْت ، رُحْ معي ، فراح معـه وجلسَ على الباب ، فلما طابَتْ نفسُ عبدِ الملك بعث القرشيُّ بغلامِـهِ إليـه أنْ يعلُوَ السُّور ويرفَع صَوْتَـه بالأبيات ، وكان من أحسنِ الناسِ صوتاً ، ففعل ، فلما سمع عبدُ الملك صوتـه طربَ وقـال : مَنْ هذا ؟ قـال الفتى : هـذا رجلٌ من أهل الحجـاز قـدِمَ علينـا فـأحببتُ أنْ تسمعَ حُـدَاءه ؛ قال : هاتوه فجاؤوا بـه ، فسمعـه من قريب ، ثم قـال : أتُغَنِّي غنـاءَ [١٣١/ أ] الرُّكبـان ؟ قال : نعم ، قال : فغنَّ ، فغنَّاه فازدادَ طرَبُه واستزاده ، ثم قال له : هل تُغني الغناء المُتقن ؟ قال : نعم ، قال : غنِّ ، فغنَّاه فاهتزَّ عبد الملك طَرَباً ، واستزادَهُ فقال لـه : أقسم إنَّ لـك في القوم اسماً كبيراً فَمَنْ أنت منهم ؟ قال : أنا المظلوم المَنْفيّ ، المقبوضُ مالُـه ابنُ مِسْجَح ، فـأمر بالكتاب إلى عامله بردِّ مـالـه ، وألاَّ يعرض لـه بسُوءٍ[2] إذا عـادَ إلى وطنـه . وأمر لـه بمئـة ، وسـأل القرشيَّ عن خبره ؟ فـأخبره بـه ، فضحـك حتى استغرب ، فقـال عن الصـوت الـذي أخطأت فيه الجارية فغنَّاهُ وهو للحادرة : [من الكامل]

بكرَتْ سميَّـــةُ غُـــدوةً فتمتَّـعِ وغـدَتْ غـدوَّ مفـارقٍ لم يرجـعِ
وتعرَّضَتْ لـك فـاستبنـكَ بواضـحٍ صَلْتٍ كمنتصِّ الغـــزال الأتلـــعِ
أسَمَيَّ مـا يـدريـك كم من فتيـةٍ بـــاكرت لـــذتهم بـــأدكن مترعِ
بكروا عليَّ بسحرةٍ فصحبتُهم من عاتقٍ كَـدَمِ الـذبيحِ مشعشعِ[3]

فطرب عبدُ الملك ورمى إليـه بِطُرفٍ كان عليـه وقـال لـه : كُنْ مع الحرس مـا دُمتَ مقيماً حتى نأنَس بصوتـك ، ففعل ، وتوسَّل مَوْلى برق الأُفق إليـه بصـاحبِ منزلـه حتى وصل إليه فوصله صلةً سَنِيَّة ، وأخذَتْ جاريتُه عنه فأكثرَتْ وانصرف .

---

(١) الشعر والخبر في الأغاني برواية مختلفة ، انظر الأغاني ٢٧٧/٣ وما بعدهـا طبعـة دار الثقـافـة و ٨٧/٣ طبعـة بولاق .

(٢) إلى هنا الخبر في الأغاني ٢٧٩/٣ .

(٣) من قصيدة للحادرة ، وهي من مختارات المفضل ، انظر شرح اختيـارات المفضل طبعـة مجمع اللغة العربيـة ٢١٠/١ .

١٥٢ ـ بِلْقِيسُ بنتُ شَرَاحيل

الهَدْهَادِ[١] بن شُرَحْبيل .

وفي نسبها اختلاف[٢]، ملكة سَبَأ . قيل : إنَّها ملكَت اليمن تسعَ سنين ، ثم كانت خليفةٌ عليها من قِبَلِ سليمان بن داود أربع سنين .

قال مسلمة بن عبد الله بن ربعي :

لما أسلَمَتْ بِلْقِيس تزوجها سليمان بن داود ومهرها باعَلبك[٣].

روى أبو هريرة قال : قال رسولُ الله ﷺ :

أحَدُ أبَوَيْ بلقيس كان جِنِّيّاً .

سُئل الحسن عن ملكةِ سبأ ، وقالوا : إنَّ أحد أبوَيْها جِنِّي ؟ فقال الحسن : لا يتوالدون ؛ أي إنَّ المرأة من الإنس لا تلدُ من الجن .

قال مجاهد :

كان تحت يدها اثنا عشر ألف قَيْل ، تحت يد كُلِّ قَيْل مئة ألف . [١٣١ / ب]

وعن مجاهد :

إن ذا القرنَيْن ملك الأرض كُلَّها إلاَّ بلقيس صاحبة مأرب ، وان ذا القرنَيْن كان يلبَسُ ثيابَ المساكين ثم يدخلُ المدائن فينظر من عَوْرتها قَبْلَ أنْ يُقاتل أهلَها ؛ فأُخبِرَتْ بلقيسُ بذلك ، فبعثَتْ رسولاً يصوِّرُ لها صورته في مُلْكِهِ حين يقعد ، وصورتَهُ في ثياب المساكين ، ثم جعلَتْ كُلَّ يومٍ تطعمُ المساكين فتجمعُهم ، فجاءها رسولُها بصورته ، فجعلَتْ

---

(١) في الأصل : (الهرهار) براءَين ، وما أثبتناه من التاج (هدهد ، بلقس) وباقي مصادر ترجمتها .

(٢) انظر في اختلاف نسبها تاريخ الطبري ٤٨٩/١ والكامل لابن الأثير ٢٣٠/١ وجمهرة الأنساب لابن حزم ٤٣٩ وحاشية أعلام الزركلي .

(٣) كذا ضبط في الأصل ، والخبر أورده ياقوت في معجم البلدان وضبطها (بَعْلَبَكّ) بالفتح ثم السكون وفتح اللام والباء الموحدة والكاف مشددة ، وهي مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة . وآثار عظيمة وقصور ، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام ، وقيل اثنا عشر فرسخاً من جهة الساحل . اهـ . وهي اليوم من مدن لبنان شمالي دمشق وإلى الجهة الشرقية الشمالية من بيروت . وانظر تفسير بعلبك ص ٢٤ ، ٢٥ من هذا الجزء في ترجمة إلياس .

إحدى صورتَيْه على باب بيتها ، والأخرى على باب الأُصطوان ، فكانت تطعم المساكين كل يوم ، فإذا فرغوا عرَضَتْهم واحداً واحداً حتى جاء ذو القرنين في ثياب المساكين ، فدخل مدينتها ، ثم جلس المساكين إلى طعامها ، فلما فرغوا أخرجَتْهم واحداً واحداً وهي تنظر إلى صورته في ثياب المساكين ، حتى مرَّ ذو القرنين فنظرت إلى صورته فعرفَتْه فقالت : احبِسُوا هذا ، فقال لها : لِمَ حبَسْتِني فإنما أنا مسكين من المساكين ؟ قالت : أنت ذو القرنين وهذه صورتك في ثياب المساكين ، والله لا تفارقني أو تكتبَ أماناً بملكي أو أضربَ عنقك ؛ فلما رأى ذلك كتب لها أماناً بملكها . فلَمْ ينجُ منه أحَدٌ غيرها .

وعن قتادة :

﴿ إني وجدتُ امرأةً تَمْلِكُهُم ﴾[1] قال :

بلغني أنها امرأة تُسمَّى بِلْقيس ـ أظنُّهُ قال : بنت شراحيل ـ أحَدُ أبوَيْها من الجن ، مؤخر أحد قدميها مثل حافر الدابّة ؛ وكانَتْ بأرضٍ يقال لها مأرب ، على ثلاثة أيام من صنعاء .

خرج ذو رُعَيْن ملكُ اليمن يتصيَّد ومعه العساكر ، فطاب له الصيد وانقطع عن عسكره ؛ فعطِشَ واشتدَّ عطَشُه ، فسار في تلك الصحراء يطلبُ ماءً إذْ رُفع له خِباء فقصدَه ، فإذا شيخٌ مُحْتبٍ بفناء الخيمة فقال : أنْعِمْ صباحاً أيُّها الشيخ ، قال : وأنت ، قال : اسقني ماءً ، فقال الشيخ : يا حَسْنه اسقي عمَّكِ ماء ، فخرجت جارية كأنها الشمسُ الطالعة ، أصاب الصحراء من نور وجهها ، وبيدها كأسٌ من ياقوتٍ أحمر ، فتعجَّب الملك من جمالها وقال : في قصري ألفُ جارية ما فيهنَّ جارية في جمالها ولا في مملكتي مثل هذا الكأس ؛ فأخذ الكأس من يدها فشرب حتى روي ، وانصرفَتْ ، فقال الملك : أيُّها الشيخ ما هذه الجارية منك ؟ قال : ابنتي ، قال : ألها زَوْج ؟ قال : لا ولا تزوَّجَتْ قطُّ ، قال : أفتزوِّجُني إيَّاها ؟ قال : لا ، قال : ولِمَ ؟ قال : لا تصلحُ لك ، قال : لأيِّ شيء ؟ قال : لأني من الجن وأنت من الإنس ، قال الملك : قد رضيتُ وأنا كُفُؤٌ كريم ، أنا ذو رُعَيْن ملكُ اليمن بيدي والحجاز والسِّنْد والهند ، وقد هويتُ ابنتَكَ [١٣٢ / آ] فلا تحرمْني إيَّاها ، فقال

---

(١) النمل ٢٧ الآية ٢٣ .

لها الشيخ : ما تقولين ؟ قالت : إنْ أجابني إلى خَصْلةٍ واحدة تزوجْتُ به ! قال الملك : وما هي ؟ قالت : لا تسألني عن شيءٍ أعملُه لِمَ عملته ، فإني لا آلوهُ نُصْحاً ؛ فمتى سألني عن شيءٍ فعلتُه لِمَ فعلته فهو طلاقي ، ولا يراني أبداً ، فأجابه الملك إلى ذلك وأحضر الشيخُ إخوانَهُ من الجِنّ وأقاربه ، وعقَدَ نكاحَ ابنته ، وسار الملك إلى قصره وحُمِلَتْ إليه ودخل بها وجُليت عليه ، فكانت كل يوم تتصوَّرُ له في صورةٍ جديدة ، وثيابٍ جدد ، وحليٍّ جديد ، ثم حملَتْ منه ؛ وكان للملك ذي رُعَين سبعونَ بنتاً وما رُزق ابناً قطُّ ، وهو يشتهيه ويتمنّاه ، فلمّا تم حملُها وَلَدتْ ابناً من أحسن البنين ، فبُشِّر الملكُ بذلك فسُرَّ سروراً عظيماً وفتح بيوتَ الأموال للصدقاتِ والجوائز ، وقُطعت ثيابُ الخِلَعِ للأمراء والقُوّاد ، وصُنعتِ السروج ، وأُعِدَّ الطعام كل ذلك الأسبوع ؛ فوثبت إلى الابن فذبحَتْه ، وإلى الطعام فأراقته ، وإلى الخلع والسروج فضرَّمت فيها النار ؛ ولما بلغَ ذلك الملكَ غَضِب غضباً شديداً وهمَّ بقتلها وقام ليسألها لِمَ صنعت ذلك ؛ فقال له وزيرُه : كيف حُبُّك لها ؟ قال : ما أحببتُ شيئاً قطُّ كحُبّي لها ، ولو غابَتْ عن بصري حسبتُ التلف على نفسي ، فقال : أيها الملك ، لا تَلُمْ إلاّ نفسك إذْ تَزوَّجتَ جنيَّةً ليست من جنسك ولا تحبُّكَ ولا تشفق عليك ، ولعلّها تُبْغِضُك وتريدُ فراقَك ففعلَتْ هذا ! لِتسَلْها فتخرجَ من قصرك فيكون ابنُ الملكِ قد مات ويزول عن الملك من يحبُّه ويهواه فلا يطيقُ فراقه ويعطيها مناها ، فقال الملك : أما بغض فما تُبغِضُني لأني أتتني محبّتُها لي وشفقتها عليّ . وتوقَّف الملك عن مسألتها ، وهي مع ذلك متحنِّنة على الملك غير مقصرة عن خدمته والتذلُّلِ له ، فلما طَهُرَتْ من نِفاسها واقعها الملك فحملَتْ ، فلما تمَّ حَمْلُها ولدت بنتاً ، ولا شيء أبغضَ إليه من البنات إذْ له سبعون بنتاً ، فلما ولدَتْها أرسلَتْ إليه : أيُّها الملك افتح بيوتَ الأموال وصدِّقْ وهَبْ وأعطِ ، وادعُ الأمراء والقواد ؛ فلمّا وصلَتْ إليه الرسالةُ لم يملك نفسه من الغَضَب أنْ صار إليها فقال : [١٣٢ / ب] ما هذه ؟ أنا لم يجئْني ابنٌ قطُّ ، فلما جاءني وسُررت به ذبحْتِه وحرمْتِني إياه ، فلما جاءتني ابنةٌ وأنا لها كاره أمرتِني بالفَرَح والسرور وهو عندي حُزْن ؛ فما الذي دعاكِ إلى ذبح ابني ومُهْجة قلبي ؟! فلمّا قال لها ذلك أسبلَتْ عينُها بالدموع والبكاء ، ولطمت وجهها وهتكَتْ ثيابها وحلقَتْ شعرها وقالت : أيها الملك طلقتني بعد صُحبة خمسِ سنين ، وما أحببتُ شيئاً قطُّ حُبّي إيّاك ، فكان هذا جزائي منك أو أملي فيك ! ثم قالت : أيها الملك ، اعلم أني ذبحْتُ ابني ومُهجة قلبي في هواك ومحبتك ، وذلك أنّ والدي الذي رأيتَهُ مِمَّن

يسترقُ السمْعَ من السماء ، فلما ولدتُ الابنَ عرج أبي إلى السماء فسمع الملائكةَ يقولون : إنَّ الله قد قضى على ابنك أنه إنْ عاش حتى يبلُغَ الحلم يذبَحُكَ على فراشك ، فمن شِدَّة حُبِّي لك آثرتُكَ على ابني ورأيتُ أنْ أذبحَهُ صغيراً ولا يكبر ، فيدخل قلبي من محبته ما أعاونُه عليك ، ولقد وجدتُ عليه مثلما تجِد الوالدةُ على ولدها ، إلاَّ أني رأيتُ أنها نار أُطفئت ، كل ذلك محبةً للملك ، وأما الثياب والسروج التي حرقتها والطعام الذي أهْرقتُه فإنَّ لي ابنَ عمٍّ كان مستَّى علي ، فلما صرتُ إليك حسدني وعاداني ، فلَّما ولدتُ الابنَ جاء ابنُ عمِّي فسمَّ الطعامَ والثياب والسروج ليهلك الملك ورجاله ؛ فلذلك فعلتُ الذي فعلت ، فلما ولدتُ هذه الابنة صَعِد أبي إلى السماء فاسترق السمعَ فسمع الملائكة يتحدثون أنَّ هذه البنت أبْرَكُ بنتٍ وُلدَتْ على وجهِ الأرض ، وأشرفه وأجلّه ، وإنها وارثةُ ملكك بعد أنْ يغصِبَهُ غاصبٌ ليس من أهله ، فهي التي ترتجُ منها البلاد ، وتملكُ اليمن وحضرمَوْت والحجاز ويجلُّ سلطانها ويعظُم شأنُها حتى يكون تحت يدها ألفُ أمير ، وتحت يد كل أميرٍ ألفُ قائد ، تحت يد كل قائدٍ ألفُ جندي ، وإنه يتزوَّجُ بها نبيٌّ يكونُ في زمانها يقال له سليمان ، تسمعُ له الجنُّ والإنس والشياطين والسحاب والرياح ويسخَّرُ ذلك كُلُّه له ويسمعون ويطيعون أمره ، ويفهمُ كلام الوَحْشِ والطير ، فيكون بيده نصفُ الأرض [١٣٣ / آ] فاستوصِ أيها الملك بها خيراً إذْ حرمتني قربها ، وانظُرْ كيف تكون لها بعدي ، فلن تراني أبداً ولا أراكَ بعد يومي هذا . ثم غابتْ عن بصره .

وعن ابن عباس قال :

كان سليمانُ إذا سار في ملكه فالإنس عن يمينه ، والجنُّ عن يساره ، والشياطينُ بين يديه ، والوحوشُ خلفه ، والطير تُظلُّه والريح تحمله ؛ وكان دليلَهُ على الماء في المفاوز الهُدْهُدُ ، فإذا احتاجوا إلى الماء جاء الهدهد فشمَّ الأرض ثم نقر بمنقاره ، فيحفر الماء على وجه الأرض ، فبينما سليمان يسيرُ بين المشرق والمغرب في مفازة احتاج الجنودُ إلى الماء ، وكان الهدهدُ غائباً ، فشكَتِ الجنودُ العطشَ إلى آصف ـ وكان صاحبَ أمرِ سليمان ـ فقال : أيها الملك إنَّ الجنود قد عطِشُوا ولا ماء ، فرفع سليمان رأسه فنظر إلى الطير ففقد الهدهد فقال : ﴿ ما لي لا أرى الهُدْهُدَ أمْ كان من الغائبين ﴾ فقالت الطير : هو من الغائبين ، فغضِبَ سليمان فقال : بعُدَ عني وأنا في المفازة معي الجنود ﴿ لأُعَذِّبَنَّهُ عذاباً شديداً أو لأَذْبَحَنَّهُ أو

ليَأْتيني بسُلْطانٍ مُبين ﴾[1] قال : عُذْرٌ مبين ، فلما سمعَ الطيرُ ذلك استقبلوا الهُدْهُدَ فقالوا : وَيْلك أين كنت ؟ قد غضِبَ عليك وحَلَف ليُعَذِّبَنَّك أو ليَذْبَحَنَّكَ أوْ لتأتينَّهُ بعُذْرٍ مبين يخرجُكَ من ذنبك ، فلما سمع الهُدْهُدُ ذلك أدْبَر راجعاً ، فارتفع حتى أشرفَ على الجبال والبحور ، فبينا هو كذلك إذْ أشرف على جبلِ سبأ ، ونظر إلى بِلْقِيس ملكتِهم وهي جالسةٌ على عرشها وبين يديها ألفُ رجل متقلِّدون السيوف ، قيام ، كُلُّ رجلٍ منهم ملك على قومه ؛ فلما رأى الهُدْهُدُ ذلك قال : هذا حجتي التي أرجعُ بها إلى سُليمان ، فرجع فوقَع بين يدَيْ سليمان فسجد فقال سليمان : ما لك ؟ وأين غِبْت ؟ فقال : ﴿ أحطْتُ بما لم تُحِطْ به ، وجئتُك من سَبَإٍ بنَبَإٍ يقين ﴾ قال : وما نبَؤك ؟ قال : ﴿ إني وجدْتُ امرأةً تملكُهم وأوتيَتْ من كُلِّ شيء ، ولها عَرْشٌ عظيم ﴾ إلى ﴿ فهم لا يهتدون ﴾[2] فدعا سليمان بِرَقٍّ فكتب فيه بيده وطواه وختمه بخاتمه ، ولَمْ يكتبْ فيه عنواناً ثم قال : ﴿ سننظُر أصدقتَ أَمْ كنتَ من الكاذبين ﴾ [١٣٣ / ب] إلى ﴿ فانْظُرْ ماذا يرجعون ﴾[3] فانطلق الهدهدُ بالكتاب حتى ألقاه في حجْرِ بِلْقيس .

وفي رواية :

فجاء الهدهدُ وقد غلّقت الأبواب ، وكانت تغلقُ أبوابها وتضع مفاتحها تحتَ رأسها ، فجاء الهدهدُ فدخل من الكَوَّة فألقى الصحيفةَ عليها ففرحَتْ وظنَّتْ أنه أُلقي إليها من السماء فقالت : ﴿ يا أيها الملأُ إني أُلقي إليَّ كتابٌ كريم ﴾ وظنَّتْ أنَّهُ من عند الله ، فمن هناك سمَّتْهُ كريماً ، فلو أنها علمَتْ أنه من سُليمان ما سمَّتْهُ كريماً ، كانت هي أعزَّ في نفسها من أن تسمِّيَ كتابَ سليمانَ كريماً ، فلمَّا فتحَتْهُ قالت : ﴿ إنه من سُليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألاَّ تعلُوا عليَّ وأْتُوني مسلمين ، قالت : يا أيها المَلأُ أفْتُوني في أَمْري ما كنْتُ قاطعةً أمْراً حتى تشهَدُون ﴾ قالوا : أيها الملكة ما أحَدٌ في الأرض أعزُّ منا مَنَعَةً ، ولا أقوى منا بمال ، ولا أشدّ منا بطشاً ولا أبعد منا صوتاً ، ولا أقهر منا عزاً ، فنرى أن نسير إليهم ﴿ والأمْرُ إليكِ فانظري ماذا تأمُرين ﴾[4] فقالت : إن سليمان قد ادَّعى أنه نبي ، فإنْ كان

(١) النمل ٢٧ الآية ٢٠ ، ٢١ .

(٢) سورة النمل ٢٧ الآيات ٢٢ ـ ٢٤ .

(٣) سورة النمل ٢٧ الآيات ٢٧ ـ ٢٨ .

(٤) سورة النمل ٢٧ الآيات ٢٩ ـ ٣٣ .

صادقاً فإنَّ الله معه ، ومَنْ يكُنِ اللهُ معه يَغلِبْ ، وإنْ كان نبيّاً ثم سرنا إليه أهلكنا بجنود الله ، وإن سار إلينا فوطِئنا بَمَنْ معه من الجنود كان فسادَ بلادكم وأهلِ ملتكم ، ولكنّي باعثةٌ إليه بهديّة ، فإن كان سُليمان مَلِكاً يرضى بالدنيا ويريدُها ، فإنه سيَرْضَى منّا بالهدايا واللُّطَف ، وإن كان نبيّاً فإنه لا يرضى دون أنْ نأتيَهُ مسلمين أو مقهورين ، فإنْ كان نبياً أتيناه مسلمين أحبّ إلينا من أنْ يطأ بلادَنا ، فقال القوم : فأمرك عندنا طاعة ؛ فبعثَتْ إليه بثلاثِ لَبِناتٍ من ذهب في كُلِّ لَبِنةٍ مئةُ رطل من ذهب ، وياقوتةٍ حمراء طولها شِبْر ، مثقوبة ، وثلاثين وصيفاً قد حلقَتْ رؤوسهم ، وثلاثين وصيفةً قد حلقَتْ رؤوسَهُنَّ ، وكتبَتْ إليه : إني قد بعثتُ إليك بهديّةٍ فاقبَلْها ؛ وبعثتُ إليك بياقوتةٍ طولُها شبر مثقُوبة فأَدْخِلْ فيها خيطاً ثم اختم على طرفَيِ الخيط بخاتمك ؛ وبعثتُ إليك بثلاثين وصيفاً وثلاثين وصيفةً تميِّزْ [١٣٤ / أ] الغِلْمانَ من الجَوَاري ولا تجرُدْ منهم أحداً . فلمَّا فصلَتِ الرسل من عندها جاء دمرياط ـ وكان أميراً على الشياطين ـ فقال لسليمان : إنَّ بِلْقِيس قد بعثَتْ إليك بثلاثِ لَبِناتٍ من ذهب ، وياقوتةٍ حمراء ، وثلاثين وصيفاً وثلاثين وصيفةً ؛ فقال سليمان لدمرياط : افْرُشُوا لي من بابِ مَجْلسي إلى طريقِ القوم ثمانيةَ أميالٍ في ميل عَرْضاً لبنَ ذَهَب ، فبعث دمرياط الشياطينَ فقطعُوا من الجبال المُلْس ، فمَوَّهُوهُ بالذهب ، ففرشوا من بابِ سليمان الطريق للرسل ثمانيةَ أميالٍ في ميلٍ عَرْضاً ، ونصبوا على جَنْبتي الطريق أساطينَ من ياقوتٍ أحمر ، فلما جاءت الرُّسُل فنظروا إلى الذهب والياقوت ! فقال بعضُهم لبعض : أين ننطلقُ إلى هذا الرجل بثلاثِ لبناتٍ من ذهب وعنده من الذهب ما قد فرشَ به الطريق !؟ فقال رئيسُهم : إنما نحن رُسُل نبلغ ما أرسل به معنا ؛ فمضَوْا حتى دخَلُوا على سليمان ، فقرأ كتابَ بِلْقِيس ، ووضعوا اللَّبِنات بين يديه فقال : ﴿ أَتُمِدُّونن بمال ﴾ إلى ﴿ تفرحون ﴾[1] قال : تفرحُون بثلاثِ لَبِناتِ ذَهَب ؟! انطلقوا فخذوا ما رأيتم ثلاثمائة أو ثلاثة آلاف أو ثلاثين ألفاً أو ثلاث مئة ألف أو ثلاثة آلاف ألف ، فقالوا : أيُّها الملك إنا نحن رُسُل ، فأمر بقبضِ اللَّبِنات ، ثم دعا بالياقوتة فأخذ ذَرَّةً فربط فيها خيطاً ثم أدخلها في ثُقبِ الياقوت حتى خرجت من الجانب الآخر ، ثم جمع طرفَي الخيط ثم ختم عليه ، ثم دعا بتَوْرٍ من ماء[2] ، فوضعوه ، ثم أمر أولئك الوصفاء أنْ يتوضَّؤوا واحداً واحداً فيَزهم

---

(١) النمل ٢٧ الآية ٣٦ .

(٢) التور : الإناء .

بالوضوء ، الغلمان من الجواري ثم قال : هؤلاء غِلْمان وهؤلاء جوارٍ . قالتِ الرسل : أيُّها الملك اكتُبْ إليها بجوابِ كتابها ، فقال : لا ، ارجعوا إليهم ﴿ فلنأتينَّهم بجنودٍ لا قبلَ لهم بها ﴾ الآية[1] ، فرجعتِ إليها الرسل فقالت : ما جئتم به من عند سُليمان ؟ فقالوا : ما كنتِ صانعةً حين يأتيك الجنود فالآن . فاستقلَّتْ ومَنْ معها وحملَت الخزائنَ والسلاح على سبعين فيلاً ، ثم توجَّهَتْ ومعها أولئك الألف الذين بين يديها ، وخلَّفَتْ عرشَها ، فلما فَصَلَتْ جاء دمرياط فقال : أيها الملك إنَّ بِلْقيس قد خرجَتْ إليك ومعها [١٣٤ / ب] ألفُ ملك قد حملَتْ خزائنها وسلاحَها على سبعين فيلاً ، فقال سليمان : ما فعل عرشُها أمْعَها أمْ خلَّفَتْه ؟ فقال : بل خلَّفته ، قال سليمان : ﴿ فأيُّكُمْ يأتيني بعرشِها قبل أنْ يأتُوني مُسْلِمين ﴾ ؟ قال دمرياط : ﴿ أنا آتيكَ به قَبْل أنْ تقومَ من مقامك وإني عليه لقويٌّ أمين ﴾ وكان سليمانُ يصلِّي الصُّبْحَ ثم يجلس للناس إلى طلوعِ الشمس ، فقال : آتيكَ به من حين تجلسُ إلى حين تقوم ، فقال سليمان : أريدُ أعجَلَ من ذلك ، فقال آصف : ﴿ أنا آتيكَ به قَبْلَ أنْ يرْتَدَّ إليك طَرْفُك ﴾ قال : يرتد إليك طرفك : هو أنْ تنظُرَ إلى الشيء فتتبيَّن أنه حمار أو دابَّة حتى ينتهي إليك أو تنتهي إليه ؛ وكان آصف يقوم على رأسِ سليمانَ بالسيف . قال : أنت ؟! قال : نعم ، قال : فافعَلْ ، فنزَّل آصف قائمَ السيف من يده ثم رفع يدَهُ فإذا العرشُ موضوعٌ بين يدي سليمان ، فكاد سليمان أن يفتَتِن ، فقال : ربِّ سالتَكَ مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي ، ربِّ فجعلْتَ في مُلْكِ يميني وفي خَوَلي ومَنْ يجري عليه رزقي مَنْ قَدَرَ على هذا ولَمْ أقدِرْ عليه ، هذا نقصانٌ في ملكي ، فدخلَتْ سليمانَ فتنةٌ ، ثم عُصم فراجع فقال : أليس ﴿ هذا من فَضْلِ ربِّي ، ليبلوَني أأشْكُرُ أمْ أكْفُر ﴾ الآية . ﴿ قال : نكِّرُوا لها عرشَها ﴾[2] ، وكان عرشُها عليه صفائحُ من ذهبٍ وفضة ، قد رُكِّبَتْ فيه فُصوص الياقوتِ الأحمر والزَّبَرْجَدِ الأخضر والدُّرِّ واللُّؤلؤ ، وكان للعرش قائمتانِ من زَبَرْجَد وقائمتان من ياقوتٍ أحمر ، فكان تنكيرُهم إيَّاه ، أنْ نزَعُوا صفيحةَ الذهب ، فجعلوها مكان الفضَّة ، وصفيحة الفضَّةِ مكانَ الذهب ، والياقوتَ مكان الزَّبَرْجَد والدُّرَّ مكان اللُّؤْلؤ والقائمتين للزَّبَرْجَد مكان القائمتين للياقوت ، فجاءَتْ بِلْقيس فدخلَتْ على سُليمان وقد وُضِعَ لها بين

---

(١) النمل ٢٧ الآية ٣٧ .

(٢) النمل ٢٧ الآيات ٣٨ ـ ٤١ .

يدي سليمان كرسي ، فجلستْ عليه ، فقال سُليمان : أنت امرأةٌ من العرب يا بِلْقِيس في بيتِ مُلْكٍ ومَمْلكة ، تعبدينَ الشيطانَ وتشركين بالله ، وتكفرين النِّعم ؟! فقالت : يا سليمان إنَّكَ نبيٌّ مصطفى وقد انتخبكَ الله لنفسه ، [١٣٥ / أ] واختارك لخَلْقه ، ورضي بك لعباده ، ولا ينبَغي لكَ أنْ تعيِّرني ، لأنَّ الله تعالى يغيِّر ولا يُغَيَّر ؛ فكفَّ سليمان عنها ، فأنشأتْ تذكرُ منزلتها ومجلسَها ، فقال سُليمان لآصف : خُذْ بيدها فأدخِلْها صَرْحي ، وكان صَرْحُ سُليمان ميلاً في ميل ، طولُ سقفِه ثمانون ذِراعاً قارورةً خضراء ، أرضُه وجُدْرُه وسقفه ، فلما قامَتْ بِلْقِيس على باب الصَّرْح حَسِبَتْهُ لُجَّةً وكشفَتْ عن ساقَيْها وكانت بيضاء ، كثيرةَ الشعر ، فنظر سليمانُ إلى ساقَيْها ثم صَرَف بصرَهُ فقال آصف : أرسلي ثيابَكِ إنه صَرْحٌ مُمَرَّدٌ من قوارير ، فلما مشَتْ في الصَّرْح ورفعَتْ رأسها ونظرَتْ قالت في نفسها : لا والله ما هذا عمل الإنس ، قالت : ﴿ ربِّ إني ظلمتُ نفسي وأسلمتُ مَعَ سليمانَ للهِ ربِّ العالَمين ﴾ ، فقال سُليمان لدمرياط : اصنعوا شيئاً يُذْهِبُ شعرَ بِلْقِيس ، فقال : الحلقة ، فقال سليمان : هذا يحلقُ ما ظهر فكيف بما بطَن ؟ فصنعوا النُّوْرَة[1] ، فكانت النُّورَةُ أوَّلَ ما صُنعت . فأمر سليمان ببِلْقِيس فانطلق بها إلى النساء فَهُيِّئَتْ ، فتزوَّجَها سُليمان فأحبَّها ونزلَتْ منه بمنزلةٍ لَمْ ينزلْها أحَدٌ من نسائه .

وكان سُليمان قبل أن يتزوَّجَ بِلْقِيس لا يدفعُ خاتمه إلى أحدٍ ولا يأمَنُ عليه أحداً ، فلمَّا تزوَّج بِلْقِيس أمَّنها على خاتمه ، وكان إذا دخل لحاجته جاءَتْ بِلْقِيس فدفع الخاتم إليها ، فإذا قضى حاجته خرج فقال لها : هاتي ماءً فتوضَّئُهُ ، ثم يأخذُ الخاتم منها فيخرج إلى الناس ، فبينما هو ذاتَ يوم قد دخلَ لحاجته ، وقد دفعَ الخاتم لِبِلْقِيس ؛ إذْ جاء دمرياط فدخل في صورة سُليمان ثم تسوَّر الحائط فخرج من باب المخرج فقال لِبِلْقِيس : هاتي ماءً ، فجاءَتْهُ بماء فوضَّأتْه ، قال : هاتي الخاتم فأخذ الخاتم فلبسَهُ فأُفْرِغَ على الخبيثِ بَهْجةُ المُلْك ؛ وكان سلطانُ سليمان في خاتمه ، فخرج الخبيثُ فجلس على عَرْشِ سليمان وبنو إسرائيل حَوْلَهُ جُلوسٌ لا ينكرونه ، وآصف قائمٌ على رأسه لا يعرفُه ، فخرج سُليمان من الحاجة ، فثارَتْ بِلْقِيس ، فقالت في نفسها : ما لِسليمان أنْ دخل معه الخاتم ؟! فقال لها سليمان : هاتي ماءً ، فجاءَتْه

---

(١) النورة : من الحجر ، الذي يحرق ويسوَّى منه الكلس ويحلق به شعر العانة . (لسان) .

بماء ، فتوضأ . ثم قال : هاتي الخاتم [١٣٥ / ب] قالت : قد دفعتُ إليك الخاتم ، قال سليمان : يا بِلْقِيس اتقي الله فإنَّ الله قد هداكِ على يدي للإسلام ، وأخرجَكِ من الشِّرْك وأهله ، وإني قد ائتمنْتُكِ على سُلطانِ ربِّي الذي وهبه لي فلا ينبغي لكِ أن تخونيني ، قالت بِلْقِيس : وأنتَ يا سُليمان فاتَّقِ الله ، فإن الله قد اصطفاكَ وأكرمكَ برسالاته ، ولا ينبغي لكَ أن تخونَني ، فإني لم أخُنْكَ ، فقال سليمان : مَنْ أخذ الخاتم ؟ قالت : أنت أخذته ولا أُنكرك ، فعرف سليمان أن البليَّة قد نزلَتْ ، فاطَّلع إلى مجلسه فإذا دمرياط جالسٌ على عرشه ، فطرحَ سليمانُ ثيابه ولبس ثياباً دونها ثم خرج يسيحُ في الأرض ، فإذا جاع دخل بعض القُرى فيأتي العجوز جالسةً بباب بيتها فيستطعمها فتردّه فيقول : أطعميني فإني سُليمان ، فتقول : سليمان ملك الدنيا وتأخذ التراب والحجارة وترميه به وتقول : لم تكذِبُ على سليمان ؟ فلم يزَلْ يطوفُ حتى انتهى إلى بحر القُلْزُم ، فإذا صيَّادون في سفينة يصيدون الحيتان ، فقال لهم سُليمان : أؤاجِرُكم على نفسي على أن تطعموني . قالوا : نعم ، فاستأجروهُ كُلَّ يومٍ بأربعةِ أرْغفة وحُوتَيْن ، فكان معهم فإذا جاءتِ السفينة فيها حيتان أخذ سُليمان مكيلاً فنقَلَ الحيتان من السفينة إلى البر ، فلم يزَلْ مع الصيَّادين .

وأنكرَتْ بنو إسرائيل أحكامَهُم وأمورهم وقضاياهم ؛ ففزِعَ بعضُهم إلى بعض ولقي بعضهم بعضاً ، وفزِعتِ الأشرافُ إلى الفُقهاء فقالوا : ما أنكرْتُم ما أنكرنا من أمْرِ سُليمان ؟ فقال الفقهاء : بلى ، فقالوا : لئن كان هذا سليمان لقد خُولِط فهلكتِ الأرضُ ومَنْ عليها ، فلقي الفقهاءُ آصف ، فقالوا : هل أنكرتَ من أمر سُليمان ؟ فقال : لئن كان هذا سليمان لقد هلكنا ، وكان آصفُ غلاماً من أولاد الأنبياء ، كان في حجر سُليمان قد تبنَّاه ، وكان يدخلُ على نسائه ، فقال الفقهاء : لآصف : ادخُلْ على النساء فسَلْهُنّ ؛ فدخَل آصفُ على النساء فسألهنّ ، فقلن : ما هذا سليمان وبكين ، وقُلْن : لئن كان هذا سليمان لقد هلكنا وهلكتم وهلكتِ الأرض ، لا والله ما هو سُليمان . وكان ذلك لتسعٍ وثلاثين ليلةً من بَلِيَّةِ سليمان ، فخرج آصف فقال : يا معشر بني إسرائيل افعلوا ما أنتم فاعلون ، فإن هذا ليس بسليمان ، واجتمعَتْ بنو إسرائيل [١٣٦ / أ] وأجمعوا على أن ينهضُوا بالفاسق دمرياط ؛ فبلغَهُ ذلك فهرب وذهب معه بالخاتم صبيحة أربعين ليلة من بليَّة سليمان حتى أتى بحر القُلْزُم ، وكان القلزم من أبعد البحور قعراً ، فرمى بالخاتم في البحر وقال : لا يرجع إلى سليمان ملكُه أبداً ، ثم أتى جزيرةً من القُلْزُم فكان فيها ، وبعث الله حُوتاً تَدْعى الملكة فالتقمت الخاتم

حين طرحه الفاسق ، فانطلق الصيَّادون الذين معهم سليمان فألقَوْا شبكتهم ، فجرُّوا الشبكةَ وألقَوْا ما فيها في السفينة ، فأخذ سليمان مكيلاً ينقل الحيتان على عنقه إلى الشاطئ حتى حان غداؤه ، فقال لأصحابه : هاتوا غدائي فأعطوه رغيفَيْن ، ثم تناول بعضهم حوتاً وطرحه إليه وهي الملكة ، فأخذها وشق بطنها ، فبدر الخاتمُ فأخذه سُليمان فقبَّله ووضعه في يده فجاءَتْه الطير فأظلَّتْه وجاءتِ الرِّيح فحفَّتْ به وجاءتِ الجنُّ فطارَتْ بجنبيه ، فنظر إليه الملاَّحون فكبَّروا وخرُّوا سُجَّداً له ، فقالوا : أيها الملك إنَّا لَمْ نعرِفْك ، فقال سُليمان : لستُ ألومُكم على ما كان ولا أحمَدُكم على ما صنعتم إنما هو سلطانُ ربِّي أعطانيه قهر به خَلْقَه ، وسخَّرهم لي .

وأمر الريح فحملَتْه ومَنْ معه من الجنود تَزيفُ[1] بهم على وجه الأرض وعلى البحور حتى أتى منزله ؛ ثم قال للشياطين عليَّ بالفاسق دمرياط ؛ فطافَتِ الشياطينُ حتى وجدوه في جزيرةِ القُلْزُم ، فصرَخُوا به فخرج ، فقالوا : يا دمرياط أجِبْ سُليمان ، قال : وأين سليمان ؟ أليس قد هَلَك ، ألقيتُ خاتمه حيث لا يرجع ملكُه إليه أبداً !؟ فقالوا : وَيْلك ، إنَّ سليمان قد ردَّ الله إليه خاتمه ورجع إليه ملكه ، فقال الفاسق : لا والله لا آتيه أبداً ، فرجعوا إلى سليمان فقالوا : إنه قد أبى ، فدعا سليمانُ بطينة فختمها بخاتمه ثم قال : انطلقوا بهذه الطِّينةِ واصْرُخوا به ، فإذا خرج فاطرحوا الطِّينة إليه فإنَّه سيأتي صاغراً ، فانطلقوا فصرخُوا به ، فلمَّا خرج إليهم ، قالوا : انطلقْ إلى سليمان ، قال : لا والله ، قالوا : فانظُرْ في هذه الطينة ، فطرحوا إليه الطِّينة ، فنظر فيها ، فبكى وقال : قهرني سُليمان بسلطانِ ربِّي ، فجاء حتى عبر إليهم فأخذوه وأوثقوه ، وأتَوْا به سليمان ، فلما كلمه سليمان قال له دمرياط : لا عُذْر لي فاصنَعْ ما أنت صانع . فأمَر سليمان [١٣٦ / ب] الشياطين ، فأتَوْهُ بحجر طولُه أربعون ذراعاً فقال : خذوا الخبيث فأدخِلُوهُ في جَوْفه ، ثم أمر بالقِطْر ـ وهو النُّحاس الأحمر ـ فصُبَّ عليه ، ثم قال : خذوا هذه الصخرة فانطلقوا بها إلى القُلْزُم فاطرحوه في قَعْرها ففعلَتِ الشياطين .

قال ابنُ عباس :

لم يَجْرِ عَرْشُ صاحبةِ سَبَأٍ بين السماء والأرض ولكنه انشقَّت له الأرض ، فجرى تحت

---

(١) تزيف : تسرع .

الأرض حتى ظهر بين يدي سُليمان .

وكان عرشُها ثلاثة أبيات بعضُها على بعض من ياقوتةٍ حمراء ، على أربع دعائم .

قال أبو المليح :

أردتُ سفراً فأتيت مَيْمون بن مِهْران أودِّعه فقال لي : لا تَيْأسْ أنْ تصيبَ في سفرك هذا أفضلَ ما طلبت ، فإنَّ موسى خرج يقتبسُ لأهله ناراً فكلَّمه الله ، وإنَّ صاحبةَ سَبَأ خرجت ليس شيءٌ أحبَّ إليها من مُلْكها فرزقها الله الإسلام .

قال همّام بن مُنَبِّه :

قدمتُ مكة فجلستُ إلى ابن الزبير ومعه جماعةٌ من قريش . فقال رجل من قريش : ممَّنْ أنت ؟ قلت : من اليمن . قال : ما فعلَتْ عجوزُكم ؟ قلت : أيّ عجوز ؟ قال : بِلْقِيس . قلت له : عجوزُنا أسلَمَتْ مع سليمان عليه السلام . وعجوزُكم حمَّالةُ الحطب في جيدها حَبْلٌ من مَسَد .

روى الأوزاعيُّ قال :

كُسِر بُرْجٌ من أبراج تدمر ، فأصابوا فيه امرأةً حسناء ، دعجاء ، مُدْرَجةً مُدْمَجة ، كأنَّ أعطافها طي الطوامير المُدْرَجَة[1] ، عليها عمامة طولها ثمانون ذراعاً مكتوبٌ على طرف العمامة بالذهب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أنا بِلْقِيس ملكةُ سَبَأ ، زوجةُ سليمان بن داود ملكتُ الدنيا كافرةً ومؤمنة ، ملكتُ ما لَمْ يملكْهُ أحدٌ قبلي ، ولا يملكه أحدٌ بعدي ، صار مصيري إلى الموت ، فأقصِروا يا طلاَّب الدُّنيا .

ولما تزوَّج سُليمان بِلْقِيس قالت ما مَسَّتْني حديدةٌ قطُّ ، فقال للشياطين : انظُروا أي شيءٍ يذهب بالشعر غير الحديد ، فوضعوا له النُّورَة ، فكان أول من وضعها له شياطين سليمان . [١٣٧ أ]

---

(١) الشيء المدمج : المدرج مع ملاسة ، والطوامير : مفردها طامور وطومار وهو الصحيفة .